

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ



الحياة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية خلال الفترة:

1233-1321هـ / 1817-1903م .

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

تحت إشراف:

أ.د. محمد حوتية

إعداد الطالب:

عومار عطية

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الأساتذة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
01	أ.د. صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيساً
02	أ.د. محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
03	أ.د. محمود علاي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأغواط	عضواً مناقشاً
04	د. عبد الله بابا	أستاذ محاضر أ	جامعة أدرار	عضواً مناقشاً
05	د. جلول بن قومار	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً
06	د. الشيخ لكحل	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1442-1443هـ / 2020-2021م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ



الحياة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية خلال الفترة:

1233-1321هـ / 1817-1903م .

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

تحت إشراف:

أ.د. محمد حوتية

إعداد الطالب:

عومار عطية

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الأساتذة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
01	أ.د. صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيساً
02	أ.د. محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
03	أ.د. محمود علائي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأغواط	عضواً مناقشاً
04	د. عبد الله بابا	أستاذ محاضر أ	جامعة أدرار	عضواً مناقشاً
05	د. جلول بن قومار	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً
06	د. الشيخ لكحل	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1442-1443هـ / 2020-2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

الحمد والشكر لله العليّ القدير على إتمام هذا العمل الذي أهدي ثمرته إلى:

سندي في هذه الحياة الوالدة الكريمة الغالية خديجة

إلى روح والدي الغالي أحمد الشايب

إلى روح جدي الغالي الحاج المدني

إلى روح جدتي الغالية فاطنة بن عليّة

إلى روح الجدّة بنت المعزة رقاب

إلى روح أخي الغالي عبد السلام

إلى روح أخي الغالي البشير

إلى زوجتي وسيلة وأولادي سليم، مروة، مصعب، عبيدة، قصي

إلى من أضفوا عليّ حياتي طعما خاصا إخوتي تومية، عامر وزوجته وأولاده، وخليفة وزوجته

سعدية وزوجها وأولادها

إلى العم محمد وعماتي وأودلاهم وأخوالي وخالاتي وأولادهم

إلى كل عائلتي الكبيرة عطية

إلى أهلي بقصر الحيران

إلى كل الأصدقاء

و إلى كل من ساعدني ومدّ لي يد العون في إنجاز هذا العمل

عومار عطية

شكر

قال تعالى: « رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » سورة النمل ، الآية 19.

نشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى لله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه لله الحمد من قبل ومن بعد على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل

نتقدم بالشكر والعرفان للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور محمد الصالح حوتية على صبره معنا وإشرافه وتوجيهاته القيّمة، التي ذللت لنا الصعاب، وكانت الطريق لإنجاز هذا العمل، نتمى من الله أن يمدّه بوافر الصحة ومزيديا من النّجاحات في مهمة النبيلة في نشر رسالة العلم.

والشكر موصول لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد خاصة الأساتذة الكرام صديقي ابراهيم حامد لمين، ومحمد عطية، عبد الحميد عطية والأستاذة سعيدة عطية.

فجزاهم الله جميعا خيرا الجزاء على تعاؤهم وكريم فضلهم

والله الموفق

الباحث: عومار عطية

لائحة الرموز والمختصرات

باللغة العربية:

الرمز	الكلمة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ت	توفى
ج	الجزء
دت	دون تاريخ
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
مج	مجلد

باللغة الأجنبية:

IRI	Islamic Research Institute
BSOAS	Studies Bulletin School of Oriental and African
J HSN	Journal Historical Society of Nigeria
JAH	Journal of African History
JMER	Journal of Modern Education Review
JOAS	Journal of the African Society
JRAI	Journal of the Royal Anthropological Institute
JRAS	Journal of the Royal Asiatic Society

المقدّمّة

- التعريف بالموضوع:

لقد كان للمسلمين عبر تاريخهم نشاطاً مشرفاً في ميادين الحضارة المختلفة؛ فالتاريخ الإسلامي المجيد حافل بالكثير من وجوه الإبداع الحضاري والتي هي أحق ما يكون بالدراسة والبحث. ومن الأمثلة الحضارية خلافة سكوتو الإسلامية في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي وهو ما يعرف بدولة نيجيريا الحالية، هذه الحضارة كانت شاهدة على ازدهار شامل في كافة وجوه النشاط الإنساني خاصة المجال العلمي.

إن المتتبع لتاريخ الحركة العلمية يلمس مدى عناية واهتمام علماء الأمة الإسلامية وعظم نتاجهم ودورهم في التقدم العلمي وأثره الإيجابي على الحياة الإنسانية بشكل عام، وفي أي قطر من أقطار البلاد الإسلامية. ولا شك أن الكثير من حواضر الدولة الإسلامية، نالت حظاً وافراً واهتماماً كبيراً من الباحثين والدارسين خاصة في المراحل المتأخرة، ومع ذلك هناك من الأقاليم والمدن الإسلامية التي عرفت تقدماً وازدهاراً حضارياً مميّزاً لم تحظ بعناية الباحثين من بينها خلافة سكوتو التي تم التركيز من طرف الباحثين الذين درسوها على الجانب السياسي والاقتصادي، وبقي الجانب العلمي يفتقر للبحث والدراسة، خاصة وأن خلافة سكوتو الإسلامية كانت مركزاً من مراكز العلم على مرّ تاريخها الإسلامي، حيث وصفها العلماء بأنها قبة الإسلام، ودار الفقه، وذلك بفضل الجهود العلمي الكبير للعديد من العلماء والحكام من خلافة سكوتو الإسلامية، ومن هذا المنطلق كان اختياري لموضوع:

"الحياة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية خلال الفترة: (1233-1321هـ / 1817-1903م).".

وسنحاول من خلال هذه الدراسة تتبّع الحياة العلمية لخلافة سكوتو الإسلامية في بلاد الهوسا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، من حيث التعرض للأوضاع العامة؛ والتطرق لجهود قادتها وعلمائها وكذلك استعراض تاريخ حواضرها ومؤسساتها التعليمية، وإنتاجها العلمي في مختلف العلوم.

دوافع اختيار الموضوع:

من جملة الأسباب التي دفعتنا لاختيار موضوع الدراسة نذكر ما يلي:

- تعود بداية اهتمامي بموضوع الدراسة إلى فترة إعدادي لمذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر الموسومة ب: حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية جذورها وتأثيراتها على غرب إفريقيا، ما أثار فضولي للتعرف أكثر على النهضة العلمية التي شهدتها خلافة سكوتو الإسلامية.

- محاولة جادة منّا لدخول باب التخصص في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، خاصة المتعلق بإفريقيا جنوب الصحراء الذي تميّز بكثرة أحداثه وتباينها، بالإضافة إلى تسليط الضوء على الجانب العلمي لخلافة سكوتو الإسلامية في بلاد الهوسا.

- إطلاعي على مجموعة من المخطوطات العربية التي توضح الدور الحضاري لعلماء خلافة سكوتو الإسلامية منها ما هو مكتوب باللغة العربية والبعض مكتوب باللغة المحلية كالهوسوية والفلائية.

- الوقوف على الجوانب المختلفة من النشاط الكبير للحركة العلمية لخلافة سكوتو الإسلامية.

- كثرة مؤلفات علماء خلافة سكوتو الإسلامية التي تحتاج إلى المزيد من الاهتمام والدراسة.

- دعم أستاذي الدكتور محمد الصّالح حوتية بتشجيعه وتوجيهه في الخوض في هذا الموضوع كونه متخصص في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

- الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إبراز الدور الحضاري لخلافة سكوتو الإسلامية في جانبه العلمي، وذلك من خلال إظهار تراجم علمائها، والتطرق لإسهاماتهم العلمية في المنطقة، وكذلك التعرف على الواقع الثقافي والإنتاج العلمي في مختلف علوم العربية وآدابها والعلوم الإسلامية.

الإسهام في تسليط الضوء على أصالة خلافة سكوتو الإسلامية، وعراقتها في صنع الحضارة الإفريقية بطابعها العربي الإسلامي في ربوع بلاد الهوسا خلال القرن الثالث عشر هجري والتاسع عشر ميلادي، والتي ما تزال مجهولة لدى الكثيرين فضلا عن التعريف بهذه الخلافة وحكامها لسدّ النقص الكبير في الدراسات الأكاديمية حولها في هذا الجانب، وهو ما لمسناه من خلال رحلة البحث عن المادة العلمية لهذه الدراسة، وكذلك محاولة لإمطة اللثام عن دور العلماء في خلافة سكوتو الإسلامية، وإنتاجهم العلمي في مختلف مجالات الحياة العلمية، والنهضة الفكرية التي أثرت بشكل أو بآخر في غرب إفريقيا عامّة وبلاد الهوسا خاصّة.

-الإطار الزمني والمكاني لموضوع الدراسة:

يحدّد الإطار الزمني للموضوع بالفترة (1233-1321هـ / 1817-1903م)، أي على امتداد القرن الثالث عشر هجري/ التاسع عشر الميلادي من بداية الظهور على مسرح الأحداث انطلاقا من حركة الشيخ عثمان بن فودي حتى تأسيس خلافة سكوتو الإسلامية؛ إلى مرحلة ازدهارها وانتعاش دورها الحضاري، ومدى إسهامات علمائها وفقهائها ودورهم في إثراء الحضارة الإفريقية؛ والتراث الإسلامي في غرب إفريقيا، وهي المرحلة التي يمكن دراستها من خلال المصادر سواء المخطوطة أو المطبوعة. وتنتهي الدراسة مع بداية القرن 20م؛ حيث تعرّضت خلافة سكوتو الإسلامية للاحتلال البريطاني وسقوطها سنة 1321هـ/1903م لتدخل المنطقة في مرحلة جديدة، ممّا أثر سلبا على الحياة العامة وظهور ما يعرف بمحمية نيجيريا.

- إشكالية الدراسة:

تتمحور هذه الدراسة حول إشكالية رئيسية وهي: فيم تتمثل مظاهر ازدهار الحركة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية؟ وما هي أسبابها؟ وما هو دور الخلافة العثمانية بسكوتو نحو الثقافة الإسلامية واللغة العربية؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية مرتبة على النحو التالي:

- كيف كانت الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لخلافة سكوتو الإسلامية خلال القرن الثالث عشر هجري/ التاسع عشر الميلادي؟، وما هي أهم تأثيراتها في الحياة العلمية والثقافية؟
- ما هي جهود الحكام والعلماء في إثراء النهضة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية؟
- ما هي أهم الحواضر العلمية التي احتضنت الحركة العلمية والثقافية في خلافة سكوتو الإسلامية؟
- كيف كان النظام التعليمي ومناهجه، وما هي أهم مؤسساته التعليمية؟
- ما هي أهم مظاهر ازدهار الحركة العلمية؟
- ما مدى إسهامات علماء خلافة سكوتو الإسلامية في الإنتاج العلمي في الدراسات الإسلامية واللغة العربية وآدابها، والعلوم الاجتماعية والعلمية؟
- الدراسات السابقة:

من خلال بحثنا عن الدراسات السابقة التي تناولت خلافة سكوتو، سواء كانت عربية أو أجنبية، فإني لم أعث على دراسة شاملة تغطي الموضوع من كل جوانبه، بل هي عبارة عن دراسات جزئية، وحتى مصادر الدراسة تناولت موضوعات جزئية متناثرة في مختلف الجوانب البحثية لهذه الدراسة، وهو ما حتم علي الرجوع إلى العديد منها لإخراجها في طابع شمولي، يتناول الحياة العلمية لخلافة سكوتو الإسلامية، وهذا ليس بالأمر الهين نتيجة لوجود عدة ثغرات علمية كان لزاما علي أن أجد لها جوابا في التساؤلات التي كنت أطرحها على نفسي طيلة تحضير هذه الرسالة العلمية.

ومن أبرز الدراسات الهامة التي تناولت الموضوع من بعض جوانبه نذكر:

دراسة علي أبو بكر، **الثقافة العربية في نيجيريا**، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، 1963، وقد ركزت على جوانب هامة من تاريخ خلافة سكوتو منذ نشأتها إلى سقوطها،

كما تعرّضت للحياة العلمية بالتطرق لأهم الحواضر العلمية، وذكر معاهدها الدّينية، كما أنّها ركّزت فقط على مؤلّفات قادة الخلافة وذكر بعض العلماء في مختلف العلوم.

ونجد من الدّراسات الهامة تلك التي قام بها شيخو أحمد سعيد غلادينث الذي ألف كتاب حركة اللّغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804م – 1966م، وفيها رصد تطوّر اللّغة العربية في بلاد الهوسا، وفي فترة خلافة سكوتو الإسلامية، كما ذكر مؤلّفات بعض العلماء، وتطرّق أيضا إلى تاريخ الحواضر العلمية، والعلماء الذين زاروا المنطقة.

ومن الدّراسات أيضا التي لها صلة بالموضوع تأليف محمّد بن علي السّكاكر بعنوان: دعوة الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب ودعوة الشّيخ عثمان بن محمّد فودي، دراسة تاريخية مقارنة، وأيضا دراسة أحمد محمّد لواء الدّين: الإسلام في نيجيريا ودور الشّيخ عثمان بن فودي في ترسيخه. بالإضافة إلى الدّراسة التي أعدّها أحمد بوعتروس تحت عنوان: الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا جنوب الصّحراء إبان القرن الثالث عشر هجري والتاسع عشر ميلادي. وفيها صورة مجملّة عن الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا ومنها حركة الشّيخ عثمان بن فودي.

ومن الدّراسات الأجنبية التي تطرّقت للموضوع من بعض الجوانب كالّتعريف بقيادة خلافة سكوتو ومساهماتهم المختلفة خاصة الشّيخ عثمان بن فودي والشّيخ عبد الله بن فودي والسّلطان محمّد بلو ومن هذه الدّراسات نذكر دراسة إسماعيل بولغان (Ismail Balogun) بعنوان حياة وأعمال الشّيخ عثمان بن فودي، (The Life and Works of ‘Uthmān Dan Fodio) حيث تطرق لحياة الشّيخ عثمان بن فودي مؤسس خلافة سكوتو وأعماله الفكرية، وهناك دراسة أخرى لعبد الحكيم كيك (Abdullah Hakim Quick) تناولت جانبا مهما لخلافة سكوتو من خلال شخصية الشّيخ عثمان بن فودي بدراسة تحت عنوان: جوانب من تاريخ الفكر الاجتماعي الإسلامي في بلاد الهوسا

"Aspects Of Islamic Social Intellectual History In Hausaland Uthman Ibn Fudi, 1774-1804 C.E"

بالإضافة إلى الدراسة محمد ساني زهر الدين (Zahradeen Sani Mohammed) تحت

عنوان مساهمة عبد الله بن فودي في جهاد الفلاني خلال القرن التاسع عشر ببلاد الهوسا

"Mohammed Sani Zahradeen, Abdullahi B. Fudio's Contribution of the Fulani Jihad in Nineteenth Century HausaLand "

حيث تطرق إلى جوانب مختلفة من حياة الشيخ عبد الله بن فودي الذي يعتبر أبرز المساهمين في

الحياة العلمية في خلافة سكو تو الإسلامية.

كما استفدت من دراسة عمر بلو (Omar Bello) بعنوان: الفكر السياسي عند السلطان

محمد بلو من خلال كتابه الغيث الوبل في سيرة الإمام العدل.

"The Political Thought Of Muhammad Bello (1781-1837) As Revealed In His Arabic Writings) More Especially Al-Ghayth Al- Wabl Fl Sirat Al-Imam Al_Adl"

التي تناولت أهم إنجازات السلطان محمد بلو وأعماله خلال فترة حكمه.

- المنهج المتبع في الدراسة:

إن طبيعة الموضوع التي تركز على تاريخ العلوم، وتطور الإنتاج المعرفي من جهة، وطبيعة المصادر

والمراجع المتوفرة من جهة أخرى حتماً علي استخدام مجموعة من المناهج:

المنهج التاريخي الاستقرائي وطبقته في قراءة المتأنيّة كتب ومؤلفات قادة الخلافة وعلمائها للحصول على

مادة خبرية، تتصل بالتطورات التي حدثت في بلاد الهوسا مطلع القرن التاسع عشر الميلاد والتي مهدت

لنهضة علمية وثقافية ظهرت آثارها في تأسيس خلافة سكوتو الإسلامية في بلاد الهوسا.
 -المنهج التاريخي الإحصائي في إحصاء العلماء البارزين الذي ساهموا وأثروا في الحركة العلمية، وذلك
 بخصر مصنفاهم في مختلف العلوم الإسلامية والاجتماعية، وعلوم اللغة العربية وآدابها.

وفي هذه الدراسة أتبع المنهج التاريخي التحليلي، ذلك أنني تناولت هنا تاريخ الحركة العلمية في
 فترة زمنية محدّدة، ورصد تطورها، محاولة عدم انتهاج السرد التاريخي فحسب، بل أوجدت موضوعات
 للتحليل والتقد والاستنتاج في كثير من أوراق هذا العمل.

- الخطة المعتمدة في الدراسة:

وقد انتظمت هذه الدراسة في مقدمة، وستة فصول، تتبعها خاتمة.

فخصّصت الفصل الأول للحديث عن أثر التّطورات والحياة العامّة في الحياة العلمية خلافة سكوتو
 الإسلامية خلال فترة البحث. وتناولت في المبحث الأول الحياة السياسيّة وهو عبارة عن لمحة تاريخية
 تشمل التّطورات السياسيّة للخلافة منذ تأسيسها على يد المصلح الشّيخ عثمان بن فودي إلى أهمّ
 المحطّات والمراحل الهامّة في تاريخها، والتي كان لها تأثيراً مباشراً على الحركة العلمية. أمّا المبحث الثاني
 من هذا الفصل تناولت فيه الواقع الاقتصادي كالقطاع الرّاعي للوقوف على تنوّع المحاصيل واستغلال
 الأراضي، وقطاع الصّناعة بذكر أهمّ الصّناعات والحرف التي كان يمارسها سكان خلافة سكوتو
 والنشاط التجاري لخلافة سكوتو وذلك بذكر أهمّ السّلع والبضائع التي لاقت رواجاً في أسواقها، إضافة
 إلى العملة المتداولة في التجارة، ومسالك القوافل التي ربطت التّواصل بين ضفّي الصّحراء الكبرى، وفي
 المبحث الثالث فقد خصصته للواقع الاجتماعي في خلافة سكوتو وما يتعلّق به من عادات وتقاليد التي
 تخصّ الرّواج، والأعياد والاحتفالات، وعادات المنطقة، أمّا المبحث الرابع والأخير فقد تناول تطور الحياة
 الثقافيّة.

أمّا الفصل الثاني: فيتناول عوامل ازدهار الحياة العلمية في خلافة سكوتو وقسمته إلى خمسة مباحث ففي المبحث الأول استعراض جهود المصلح الشيخ عثمان بن فودي في تأسيس هذه الدولة، وإسهاماته في تطوير التعليم وفي المبحث الثاني تناولت جهود الشيخ عبد الله بن فودي في تنشيط الحركة العلمية من خلال أعماله وإنجازاته، والمبحث الثالث تناولنا فيه جهود السلطان محمد بلو بذكر أعماله وإسهاماته في تنشيط الحركة العلمية أثناء ولايته في الحكم، وتناولنا في المبحث الرابع العاملة السيدة أسماء بنت عثمان بذكر مشاركتها في الحكم ودورها في تنشيط الحركة العلمية، أمّا المبحث الخامس فتطرقت فيه إلى دور علماء ووزراء خلافة سكوتو الإسلامية وإسهاماتهم في تنشيط التعليم وتطويره

وقد تضمّن الفصل الثالث: سبعة مباحث المراكز العلمية الرئيسية في خلافة سكوتو الإسلامية وفيه تمّ تناول أهمّ الحواضر العلمية حيث خصّصنا في المبحث الأول لعاصمة الخلافة حاضرة سكوتو بذكر موقعها وتاريخها أهميتها وأهم علمائها ومعاهدها العلمية، والمبحث الثاني تناول حاضرة كانو بالوقوف على أهمّ محطّاتها التاريخية وذكر دورها وإسهاماتها في تنشيط الحركة العلمية من خلال التعريف بأهم علمائها ومراكزها التعليمية. والمبحث الثالث تطرقت فيه بالدراسة لحاضرة كاتسينا بذكر تاريخها الثقافي وأهمّ أدوارها العلمية قبل فترة الخلافة وبعدها، والمبحث الرابع خصّص لحاضرة زاريا بذكر تاريخها وإسهاماتها في الحياة العلمية، والمبحث الخامس تناول حاضرة باوتشي بالوقوف على تاريخها وأهمّ إسهاماتها وذكر أبرز معاهدها الدينية، والمبحث السادس تعرض لحاضرة آدموا بتعريف تاريخها ودورها في نشر العلم وذكر أهمّ علمائها ومعاهدها، والمبحث السابع تطرقت فيه إلى حاضرة إلورن باستعراض تاريخها وذكر أهمّ علمائها ودورهم في الحركة العلمية وتأسيس المعاهد الدينية فيها.

وبالتّسبة للفصل الرابع: فقد تضمّن أماكن التّعلم، ونظمه ووسائله، وقد خصّصت المبحث الأول للمنشآت العلمية، والتعليمية والدينية بالتّطرق إلى أهمّ مؤسّسات التّعليم ومراكزه كالمساجد والكتاتيب والمعاهد الدينية، وقصور السّلاطين، ومنازل العلماء، والرّباطات، والزّوايا، وكذلك ذكر خصائصها ودورها في تنشيط الحركة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية. أما المبحث الثاني فقد تناول نظام التّعليم ومواد الدّراسة بالتّطرق النّظام التّعليمي في خلافة سكوتو، ومناهجه وطرق التّدرّيس ونظامه في المدارس

القرآنية والمعاهد الدينية، دون أن ننسى صفات المعلمون ودورهم العلمي. أما المبحث الثالث سلّط الضوء فيه على الحركة العلمية في خلافة سكوتو وفيه تمّ التطرق إلى الإجازات العلمية والرحلات العلمية، والمجالس العلمية والدينية والمراسلات الديوانية والإخوانية ودور ذلك في تنشيط الحركة العلمية في خلافة سكوتو أما عن المبحث الرابع، فقد كان موضوعه الكتب وحركة التأليف؛ فذكرت تجارة الكتب ونسخها وحرص العلماء على اقتنائها، وأهميتها في النهضة العلمية في خلافة سكوتو.

أما الفصل الخامس فعنوانه: الإنتاج العلمي في العلوم العقلية في خلافة سكوتو، وهو عبارة عن دراسة شاملة عن الإنتاج العلمي الذي خلفه علماء سكوتو في شتى العلوم الثقيلة، وبيان حجم هذا الإنتاج، وأثره في إثراء المكتبة الإسلامية، حيث تناول المبحث الأول الدراسات الشرعية؛ كالعقيدة والتفسير وعلوم القرآن والحديث والفقهاء بذكر أهم المؤلفات في هذه العلوم أما المبحث الثاني فيتناول الدراسات اللغوية كالتحوي والصرف والشعر والنثر التعليمي باستعراض الإسهام الكبير لعلماء خلافة سكوتو الإسلامية في هذه العلوم.

والفصل السادس: والأخير فقد تناول في المبحث الأول موضوع التاريخ والجغرافيا، حيث تم ذكر حركة التأليف في هذه العلوم ودرجة الاهتمام بها في خلافة سكوتو الإسلامية، والمبحث الثاني تناول بالدراسة لموضوع التصوف باستعراض أهم المؤلفات الصوفية وأهم أعلامها، أما المبحث الرابع فقد تطرقت فيه للفلسفة والمنطق وأهم المؤلفات في هذا المجال، وفي المبحث الخامس فتعرضت للعلوم الطبية وأهم علمائها ومؤلفاتهم في هذا الميدان، أما المبحث السادس فقد تفصّلت بالدراسة لعلم الفلك في خلافة سكوتو وذكر أهم ما ألف فيه بإبراز العلماء الذين برعوا في هذا العلم أما المبحث السابع فتحدّثت فيه عن علم الرياضيات وذكرت أهم المؤلفات والعلماء الذين اهتموا بهذا العلم في خلافة سكوتو الإسلامية.

وقد أهديت البحث بخاتمة بيّنت فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة، كما عزّزت الخاتمة بتوصيات تكون مساهمة في تكملة هذه الدراسة العلمية، وذلك لاستثمارها في مختلف المجالات البحثية التي لها علاقة بهذا الموضوع. ونقول تعتبر هذه الدراسة بداية لدراسات أخرى لمن يريد

أن يتناول غرب إفريقيا تحت مظلة الحضارة العربية الإسلامية.

– عرض نقدي لأهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا في تحرير هذا الدراسة على مجموعة متنوعة من المصادر التاريخية من مخطوطات علماء خلافة سكوتو الإسلامية، وبعض المصادر العربية، كما اعتمدنا على بعض المراجع المفيدة في هذا الباب، المشتملة على المؤلفات والمقالات والمدخلات، وعلى وثائق متنوعة معربة وغير معربة، فضلا عن إفادتنا من بعض المراجع الأجنبية من كتب ومقالات ومذكرات وموسوعات، ومن أهم المصادر التي رجعنا إليها:

– المصادر المخطوطة العربية:

من بين المصادر التي اعتمدها المخطوطات التي خدمت الموضوع بشكل هام، وهي من المصادر المحلية ألفها علماء خلافة سكوتو حيث أمدتنا بمعلومات قيمة نذكر منها:

– مخطوط "تبشير الأمة الأحمدية" لعثمان بن فودي، الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 2، المرجع O/R6، وأفاد في المعلومات التاريخية والأفكار السائدة في بلاد الهوسا في مرحلة الحركة الإصلاحية.

– مخطوط كتاب "النسب لعبد الله بن فودي"، الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 1، المرجع 27 O/AR، وهو من المصادر الهامة التي تحوي معلومات عن قبيلة الفلان التي تنتمي إليها الأسرة الحاكمة، كما يحكي جوانب من تاريخها.

– مخطوط "إيراد أصحاب أمير المؤمنين محمد بل" للوزير غداد بن ليم، الأرشيف الوطني كادونا، تحت رقم: NHRS 41/6، وهو ترجمة للسُلطان محمد بلو وذكر أصحابه وأعوانه ووزراءه.

– ومخطوط محمد البخاري بن أحمد بن عثمان، "ما جرى بيني وبين أمير هطيجا"، مخطوط، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، المادة رقم 8، المرجع رقم 27 O/AR، حيث استفدنا منه في معرفة بعض

الأحداث التاريخية الهامة في خلافة سكوتو خلال وزارة محمد البخاري ودوره في إخماد فتنة الحرب الأهلية في كانو.

- مخطوط محمد بلو، "كشف الغطاء والستر في موالاة الكافرين"، مخطوط رقم 53، المرجع P/AR2، الذي أبان عن جانب من الفكر السياسي التي انتهجه قادة الخلافة في تسيير شؤون الدولة وفق منظور السياسة الشرعية.

- مخطوط محمد بلو، "القول السنّا في وجوب التمشي في السنّا"، مخطوط الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، المادة رقم 70، المرجع رقم P/AR 1، ويعتبر أحد المساهمات الطبية الجادة للسُلطان محمد بلو الذي ذكر فيه معلومات كثيرة في مجال الطب وطرق العلاج لكثير من الأمراض.

- مخطوط حياة سعيد، "طبّ الإعانة إلى أهل المودة"، مخطوط بالأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، المادة رقم 70، المرجع رقم P/AR 2، وهو من المؤلفات الطبية الذي يحوي معلومات طبية هامة، كما يبين مدى الاهتمام بالمجال الطبي في خلافة سكوتو الإسلامية

-الوثائق المنشورة باللغة الانجليزية:

من الوثائق المنشورة التي تعتبر مصادر أساسية في تاريخ بلاد الهوسا، نذكر منها حوليات كانو التي نقلها إلى الإنجليزية بالمر (Palmer):

"The Kano Chronicle, The Journal of the Royal Anthropological, Vol 38 Institute of Great Britain and Ireland, 1908"

حيث تعرضت هذه الحوليات لتاريخ مدينة كانو وأهم ملوكها، ومن الوثائق المنشورة أيضا "وثيقة أهل السودان" للشيخ عثمان بن فودي التي تبين أوضاع بلاد الهوسا، بالإضافة إلى كتابه "تعليم الإخوان" الذي تطرق فيه الشيخ عثمان بن فودي إلى عدّة مواضع تخص بلاد الهوسا.

-المصادر العربية:

اعتمدنا في هذا الموضوع على المصادر التي ألفها الشيخ عثمان بن فودي، والتي عكست لنا الصورة الكاملة لمجتمعات بلاد الهوسا، نذكر منها على سبيل المثال:

كتاب "إحياء السنة وإخماد البدعة" الذي يبين جانب الدعوة في محاربة البدع والخرافات التي انتشرت في بلاد الهوسا. وكتاب: "نور الألباب"، الذي ذكر فيه المصائب والبلوى التي حدثت في البلاد السودانية وكتاب "فتح البصائر لتحقيق العلوم البواطن والظواهر" الذي بين فيه صفات العالم وظيفته في مجتمعه مما يدل على اهتمام الشيخ بإصلاح المجتمع. وكتاب "نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان"، وكتاب "بيان وجوب الهجرة على العباد ونصب الإمام وإقامة الجهاد"، وغيرها من المؤلفات.

واعتمدنا أيضا على كتاب: "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" لمحمد بلو الذي يعتبر من المصادر التاريخية الهامة عن تاريخ غرب إفريقيا بصفة عامة، وتاريخ بلاد الهوسا خاصة، كما أن مؤلفه ممن عايشوا أحداث الجهاد والحركة الإصلاحية.

ومن المصادر الهامة أيضاً كتاب: "تزيين الورقات"، للشيخ عبد الله بن فودي تحقيق مورفين هيسكت (M. Hiskett)، حيث نظم ديوانه الذي يحتوي على عشرين قصيدة في أغراض مختلفة من مدح وثناء وهجاء وفخر ونصيحة ووصف؛ بالإضافة إلى تخميسه لقصيدة الشيخ عثمان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، كما يحتوي على أشعار ذات صلة وثيقة بالجهاد، ويعتبر هذا الكتاب وثيقة تاريخية ذات أهمية أولية، أما الجانب الشعري فيها فقيمتها تكمن في محتوياته لأن صاحبه أيضاً قد عايش هذه الأحداث التاريخية، وكان من المشاركين فيها فنقل لنا جوانب كثيرة تتعلق بحياة عثمان بن فودي وجهاده ضد حكام بلاد الهوسا.

-المراجع العربية:

من أهمّ المراجع التي استفدنا منها كتاب "الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني" لحسين عيسى عبد الظاهر الذي تحدث فيه عن بعض الجوانب الهامة في مختلف مراحل تطورات خلافة سكوتو، كما بين دور قادتها في النهضة العلمية والفكرية، وكذلك كتاب "الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا" لعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: التي دعمنا بكثير من المعلومات المتعلقة بالنهضة الحضارية لخلافة سكوتو موضوع الدراسة، بالإضافة لكتاب "الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا" لأحمد كاني الذي استفدنا منه في توضيح الكثير من الجوانب التي تخصّ مؤسس خلافة سكوتو الشيخ عثمان بن فودي.

كما اعتمدنا على كتاب "حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا" لعبد الفتاح مقلد الغنيمي الذي أمدنا بنظرة شاملة عن انتشار الإسلام في غرب إفريقيا عامة وبلاد الهوسا خاصّة، وتأثيراته الحضارية.

وكذلك كتاب "الإسلام في نيجيريا" لعبد الله آدم الألوري النيجيري، فقد أفادني جوانب هامة عن بداية الحركة الإصلاحية وتأسيس خلافة سكوتو، كما أفادني كثير من تراجم علماء هذه البلاد، وللمؤلف كتاب آخر بعنوان "مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية" الذي رجعت إليه في موضوع تطوّر اللغة العربية آدابها من شعر ونثر في فترة هذه الدراسة، كما استفدت أيضا من مؤلفاته الأخرى مثل كتاب "لمحات البلور"، وكتاب "نسيم الصبا"، وكذلك دراسة أحمد مهدي رزق الله "حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية"، فقد أمدتني ببعض الجوانب الهامة من الحياة العلمية لخلافة سكوتو بذكر بعض دور قادتها كالشيخ عثمان بن فودي، والشيخ عبد الله بن فودي، والسُلطان محمد بلو وعرض أهمّ مؤلفاتهم.

كل هذه المؤلفات جاءت تصبّ في موضوع الدراسة الخاصّة بالحياة العلمية لخلافة سكوتو وإن اختلفت في مواضيعها، فإنّها منسجمة في معانيها ومحتوياتها، التي أمدتنا بأفكار خاصّة بغرب إفريقيا يصعب على الدارس أن يصل إليها لولا مثل هذه الكتابات.

-المراجع العربيّة:

كما اعتمدنا على جملة من الكتب العربيّة التي لها صلة بموضوع البحث من أهمّها كتاب: الدّعوة إلى الإسلام لمؤلفه توماس أرنولد (Tomas Arnold)، ترجمة حسن إبراهيم حسن، الذي يتكلّم عن انتشار الإسلام واللّغة العربيّة في بلاد الهوسا.

وكتاب بانيكار (Madhu Panikar)، الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزّنجية في غرب إفريقيا، الذي يوضح جوانب كثيرة من العادات، والتّقاليد الزّنجية، وكذلك تاريخ الإسلام في إفريقيا وفيه إشارات عن خلافة سكوتو وحضارتها.

وكذلك كتاب هوبكتر (Hopkins): التّاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تر: أحمد فؤاد بلبع، الذي قدّم لنا معلومات قيّمة من النّاحية الاقتصادية عن بلاد الهوسا واستفدنا منها في معرفة الأوضاع الاقتصادية لخلافة سكوتو الإسلامية.

-المقالات بالعربيّة:

اعتمدنا على مجموعة من البحوث والمقالات منها: مقال عثمان دان فوديو وسياسة الجهاد الإسلامي لصاحبه الجمل شوقي عطاء الله، ومقال بلاد إفريقيا الإسلامية عبر التّاريخ الدّور الحضاري والثقافي تعرض فيه الكاتب السير سيّد أحمد العراقي لبلاد الهوسا وبعض جوانبها الحضارية، وكذلك مقال لمنغا محمّد الأمين بعنوان اللّغة العربيّة واللّغات الإفريقية الأخرى، تناول فيه انتشار اللّغة العربيّة في بلاد الهوسا، كما اعتمدنا أيضا مقال لإسماعيل رفاعي الحاج: دور المخطوطات العربيّة الإسلامية لقادة الخلافة الصّكّنية، في إثراء اللّغة العربيّة في نيجيريا، بالإضافة إلى مقالات لها صلة بالموضوع وعالجت بعض الجوانب التي تخصّ الحياة العلميّة في خلافة سكوتو الإسلامية.

-المقالات العربيّة:

ومن المقالات المترجمة اعتمدنا على مقال هانويك جون في مجلة معهد المخطوطات العربيّة بعنوان: اللّغة العربيّة ومظاهرها في غرب إفريقيا، وفيه تطرق الكاتب انتشار اللّغة العربيّة في بلاد الهوسا وتأثيراتها.

-المصادر باللغة الإنجليزية:

ومن المصادر الأجنبية كتاب الرحالة الإنجليزي كلابرتون (Clapperton)، الذي زار خلافة سكوتو وسجل ملاحظاته حول المنطقة في كتاب سرد الأسفار والاكتشافات في شمال ووسط إفريقيا 1823-1824م، وأيضا الرحالة الألماني هانريش بارث (Henry Barth) كان ممن زاروا المنطقة أيضا، ودونوا مشاهداتهم التي ظهرت في كتاب: أسفار واكتشافات شمال ووسط إفريقيا 1857م.

-المراجع باللغة الإنجليزية:

إعتمدنا على مجموعة من الكتب الأجنبية متعلقة بموضوع الدراسة مثل كتاب الإسلام في غرب لجون سبنسر ترنجهام، وكتاب حكومة كانو 1350-1950م لميشال سميث (Michael Smith)، وكتاب جون هانويك (John O. Hunwick) الأدب العربي في إفريقيا: كتابات السودان الأوسط.

- صعوبات البحث:

ومما لاشكّ فيه أن البحث في تاريخ الحركة العلمية يتطلّب من الباحث جهداً كبيراً وبجثاً مضنياً في بطون أمّهات المصادر المختلفة، ومن أهمّ المصاعب التي واجهتني:

- صعوبة الحصول على العديد من المخطوطات المهمّة الخاصّة بالموضوع، إضافة إلى ذلك ندرة المعلومات الخاصّة ببعض الحكّام والعلماء في خلافة سكوتو الإسلامية.

- صعوبة التعامل مع المخطوط من حيث الخط، ومحتوى المخطوط، وأحيانا تكون الآفات الطبيعية كالمناخ ومكان الحفظ نجده لا يخضع لموصفات علمية مما جعلني لا أستفيد من المخطوطات نظراً لبتها أحيانا في أولها أو في آخرها أو هما معا.

- عدم تمكّني من زيارة خزائن المخطوطات المغربية التي تسلط الضوء على خلافة سكوتو الإسلامية في بلاد الهوسا، وقد تزامن ذلك مع الوباء العالمي جائحة كورونا 19.

- إضافة إلى الظروف الاجتماعية التي حالت بيني وبين التفرغ للبحث العلمي بسبب المهام البيداغوجية الموكلة إلي في التدريس.

كل هذه الصعوبات زادتني تحدي وإصراراً بعون الله تعالى في إنجاز هذه الدراسة العلمية، التي سعيت جاهداً أن تحقّق الإضافة العلمية المنشودة، كما لا يفوتني أن أتقدّم بواجب الشكر الجزيل لكل من ساهم وساعد في إنجاز هذه الأطروحة العلمية من قريب أو بعيد.

الفصل الأول: الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لخلافة سكوتو الإسلامية
(1233-1321هـ / / 1817-1903م).

- تمهيد
- المبحث الأول: الحياة السياسية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا)
- المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا)
- المبحث الثالث: الاحتفالات الدينية والعادات والتقاليد والطبقات الاجتماعية (بلاد الهوسا).
- المبحث الرابع: الحياة الثقافية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا)
- خلاصة الفصل

الفصل الأول: الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لخلافة سكوتو الإسلامية (1804م-)

(1903م.)

- تمهيد:

إنَّ الحديث عن الحياة العلمية زمن خلافة سكوتو خلال القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر الميلادي، يتطلب التعرف على الخلفية العامة للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وذلك لما لها من تأثير في تحديد البعد الثقافي والوعي الفكري في حياة هذا المجتمع، وتعتبر التغيرات التي مسّت مختلف جوانب الحياة في خلافة سكوتو الإسلامية (نيجيريا حالياً) نتاج تطوّر سريع لأحداث الحركة الإصلاحية في بلاد الهوسا خلال مطلع القرن التاسع عشر ممّا انعكس ذلك الأوضاع السياسية ونظام الحكم الذي أصبح يماثل أنظمة الحكم السابقة في البلاد الإسلامية وامتد أثره إلى الحياة الاقتصادية والاجتماعية، انجر عنه تغيّر جذري ونمط تفكير ساهم في نهضة ثقافية علمية وحضارية مسّت مختلف الجوانب، وهذا ما سنتعرف عليه في الحياة العامة لخلافة سكوتو الإسلامية.

المبحث الأول: الحياة السياسية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا)⁽¹⁾

لقد تسنى للشّيخ عثمان بن فودي تأسيس دولة إسلامية في بلاد الهوسا عاصمتها سكوتو⁽²⁾ على منهج الخلافة الإسلامية، وقد اتضحت معالمها بعد عدّة مراحل ذكرها في كتابه: "نجم الإخوان يستعينون

(1)-بلاد هوسا: الهوسا هو اسم يطلق على البلاد واللغة كما يراد به أيضا كل شعوب المنطقة وهي جماعات قَبَلية وعرقية كثيرة امتزجت فيما بينها من السّودانيين أهل البلاد الأصليين والطوّارق والفلّوآن التي تتكلّم هذه اللّغة باعتبارها لغة قومية فكلمة الهوسا تعني: اللّغة، والنّاس الذين يتحدّثون بها، والولايات التي يتركز فيها الشّطر الأكبر من الشّعوب الناطقة بها. وهي كلمة مركّبة من مقطعين: هو (Hau)، بمعنى اركب ، و سا (Sa). بمعنى ثور؛ أي أنّ اسم القبيلة هو اركب الثور. وبالنسبة للإطار الجغرافي لبلاد الهوسا تشكّل جزءاً من إقليم السّافانا التي تمتدّ عبر إفريقيا من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر، وتقع في المنطقة الممتدّة بين جنوب الصحراء الكبرى شمالاً وإقليم الغابات الاستوائية جنوباً وبحيرة تشاد شرقاً ونهر النّيجر الأوسط في الغرب. وكانت تعرف عند العرب ضمن ما يطلق عليه اسم بلاد السّودان، أرض السّود، والسّودان هو اسم عام، وتحتلّ الجزء الأكبر من المنطقة بين بحيرة تشاد ونهر النّيجر في الغرب الأوسط. انظر: عطية عومار، حركة الشّيخ عثمان بن فودي الإصلاحية جذورها وتأثيراتها على غرب إفريقيا 1168-1233هـ/1804-1903م، مذكرة ماجستير، إشراف محمد حوتية، جامعة غرداية، 2016، ص ص2-17.

(2)- ينظر خريطة خلافة سكوتو الإسلامية، الملحق رقم 1.

به في أمور الزّمان" حيث كانت أولى مراحلها: الدّعوة إلى الإسلام، وإصلاح المجتمع، ثم القيام بالهجرة لوجوبها، وأخذ البيعة من المسلمين، واتّخاذ لقب أمير المؤمنين، ثمّ الجهاد ضدّ ملوك الهوسا وأخذ العدة لذلك، ثم ظهور المملكة وتنظيم الجيش وتقسيم البلاد إلى ولايات، وتأمير على كلّ ولاية أمير وتعيين الخازن، والكتّاب، والرّسل إلى الملوك، وتعيين القضاة، وأمير الحج⁽¹⁾.

وبعد سنوات الجهاد وتوحيد ممالك الهوسا الوثنية، واجهت الخلافة الكثير من المشاكل من النّاحية الإداريّة والدّفاعيّة، فبعد التّقليد الطّويل لأنظمة السّابقة لبلاد الهوسا، أصبحت هذه الأمور مطلوبة لتسهيل تسيير إمارات الخلافة الجديدة، فهذا التّشكيل، والتّعديل في المؤسّسات التّقليديّة، وإنشاء مؤسّسات أخرى جديدة نتج عنه تحوّل جذري في هياكل الخلافة في مختلف التّنظيمات الإداريّة وحتى الأجهزة العسكريّة التي نمت وتطوّرت بسرعة⁽²⁾، وقد استعملت خلافة سكوتو في مختلف مؤسّساتها ودواوينها اللّغة العربيّة بعدما أصبحت تمثّل اللّغة الرّسميّة⁽³⁾، فكانت تصدر بها مختلف المراسيم، كما تجرى بها المراسلات الدّيوانيّة، والمكاتبات في الشّؤون الدّاخلية، والعلاقات الخارجيّة، هذا إلى جانب استعمالها في الشّعائر الدّينيّة، ولغة التّدريس، والتّعليم والتّأليف نثراً وشعراً⁽⁴⁾، وبذلك أصبحت اللّغة العربيّة مظهرًا أساسيًا تدار به مختلف الشّؤون العامّة، والمعاملات الخاصّة بخلافة سكوتو الإسلاميّة.

وكانت لكلّ إمارة مجلسها الشّوري؛ يُعرف باسم مجلس الأمير (many sarakuna)، مهمّته الوقوف على شؤون الإمارة، وأهم اختصاصاته اختيار الأمير الجديد، وتكون بطريقة عادلة ونزيهة⁽⁵⁾، كما كانت مستقلّة بذاتها في تّنظيمها العسكري، من حيث التّجنيد والتّسليح والتّدريب، وفي الحالات الاضطراريّة تُستدعى الجيوش من هذه الإمارات للقيام بمختلف العمليّات العسكريّة، والحملات

(1) - عثمان بن فودي، نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان، تقدم أحمد مصطفى أبو الخير، مركز أبحاث الوثائق والمخطوطات وتحقيق التراث، جامعة المنصورة، 1990، ص 25-26.

(2) - Joseph Smaldone, **Warfare In The Sokoto Caliphate**, Cambridge University Press, London, 1977, P 38.

(3) - باري محمد، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2007، ص 195.

(4) - محمد مي أبوبكر، أثر اللّغة العربيّة في شعوب شمالي نيجيريا دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربيّة، دبي، 7-10 ماي 2014، ص 3.

(5) - السر سيد أحمد العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكّية، ط 1، كلية الدّراسات العليا، جامعة الخرطوم، السودان، 1983، ص

الرئيسية للخلافة لردّ العدوان الخارجي أو تقوم بمهام أخرى كجمع المؤونة للجيش، والقيام بحملات تأديبية للقبائل المتمردة. ثمّ تعود إلى مراكزها في هذه الإمارات لتنتظر أوامر جديدة من قادم المملكة كالخليفة أو قادة الجيوش⁽¹⁾، مثل ما كانت تفعل إمارة كاتسينا بمشاركتها في الكثير من حروب خلافة سكوتو ضدّ تمرد قبائل كبيي، فقد ساهمت بشكل كبير بتمويل الجيوش وتوجيه الحملات العسكرية، للدّفاع عن خلافة سكوتو طوال القرن التاسع عشر الميلادي⁽²⁾.

وقد كان الأمراء يقودون الجيوش بأنفسهم في الحروب التي يقومون بها ضدّ المناطق المجاورة، أو ضدّ القبائل الوثنية المتمردة داخل إماراتهم، حيث أنّ مهمّة القيادة العسكرية في هذه الإمارات هي العمل على حماية الجيش وتقويته، والمحافظة عليه، واختيار مواقع المعارك. وتزويد الجنود بالعتاد والأسلحة، وحثّهم على الجهاد في سبيل الله، وتوزيع الغنائم بعد نهاية المعارك، وكان الخليفة في بعض الأحيان يعيّن الموظفين لقيادة الجيوش، وعلى مستوى الإمارات فالقيادة العسكرية هي من مسؤولية قائد الجيش، ومع ذلك كان الأمير يعيّن بعض القواد لأغراض خاصّة⁽³⁾، ومن أشهر القادة العسكريين الذين قادوا معارك الجهاد القائد عبد الله بن فودي ومحمّد بلو بن عثمان، والقائد التارقي آغال⁽⁴⁾. والقائد على جيد الذي لقّب أمير الجيوش⁽⁵⁾، والقائد يعقوب الذي أصبح أميراً على منطقة باوتشي، والقائد عمر دلاجي الذي حمل لواء الجهاد في كاتسينا، وغيرهم كثير ممن حمل لواء الجهاد في بلاد الهوسا.

وعندما تولّى محمّد بلو الخلافة في سنة 1232هـ/1817م، واجه عدة مشكلات وعقبات في طريق الحكم، فطالما كانت هناك معارضة فالجهاد لم ينته، والحرب مستمرة، فكانت خلافة محمّد بلو فترة البناء

(1)- أحمد محمد لواء الدّين، الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص140.

(2)- Joseph Smaldone, Op.cit, p 51.

(3)- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دت، ص ص 142-145.

(4)- كلمة تارقية من كلمة إيومهاغ يطلقها التوارق على أنفسهم وتعني الرّجل الحر النبيل. الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، ط1، مكتبة، النور، طرابلس، 1968، ص 240.

(5)- علي بن أيوب ناجي، لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، دار الكتاب الحديث، الكويت، دت، ص ص 84-85.

وتدعيم التأسيس حتّى امتدت خلافة سكوتو من ماسينا غرباً إلى باغرمي شرقاً على مسافة أربعة أشهر، ومن بلاد اليوروبا جنوباً إلى طرفي أدار وأغاديس شمالاً على مسافة رحلة شهرين⁽¹⁾، ومن هذه العقبات والمشكلات، الثورات والفتن التي قامت في غوبر وزنفرا وكبي، إضافة إلى ثورة الأمير عبد السلام، وخلاف محمد بلو مع عمه عبد الله حول الإمارة⁽²⁾. ويمكن تقسيم مراحل تطوّر خلافة سكوتو الإسلاميّة إلى ثلاث مراحل كبرى هي:

أ. مرحلة البناء والتوسّع (1232-1276هـ/ 1817- 1859):

اتّسمت هذه المرحلة بتدعيم كيان خلافة سكوتو الإسلاميّة وتأمين حدودها، وكذلك القضاء على الاضطرابات الداخليّة التي كانت تشنّها بعض القبائل التي لم تقبل حكم الفلانيين، وفي هذه المرحلة تم اختيار محمد بلو (1233 - 1253هـ/ 1817-1837م) خليفة لوالده، وقد ارتد أهل زنفرا مباشرة بعد مبايعته، فجهز لها الجيوش وافتتحها، كما كانت فتنة خروج حاكم مدينة إلورن الأمير عبد السلام عن الطاعة وقد استطاع السلطان محمد بلو إخماد هذه الفتنة⁽³⁾، وبذلك تعتبر فترة حكمه الأقوى في تاريخ خلافة سكوتو حيث ثبت دعائمها، وأرسى النّظم، وثبت الشرائع، واهتمّ بالحرف، وعمل على تطوير الصّحة العامّة، كما اهتم بتنظيم المجتمع، وشجّع الزراعة ودعمها، وشق الطرق، كما ركز على السياسة الدفاعية، وازدهر أيضاً في عهده النشاط الفكري والثقافي⁽⁴⁾.

(1) - Murray Last, The Sokoto caliphate. Ibadan History Series, Longmans, London, 1967, p63.

(2) - السكاكر محمد بن علي بن محمد بن محمد بل والدولة الصكيتية في عهده 1232-1235هـ/ 1817-1837م، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 2000، ص118.

(3)- Ahmed Mohammed Kani, The Life And Works Of Cabd Al-Q.Adir B. Al-Mustafa A Critical Edition Of His Works And Historiographical Approach, A Thesis For The Degree Of Doctor Of Philosophy In History, Department Of History, Faculty Of Arts And Social Sciences, Ahmadu Bello University, Zaria, 1987, P351.

(4)- السير سيد أحمد العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكيتية، المرجع السابق، ص 24.

وفي عهد الخليفة علي بابا(1842-1859م) قضى على كثير من التمردات والفتن ممّا ساعد على استتباب الأمن، وكان فصيحاً فطناً كثير التيقظ في الأمور مدركاً لمجريات الأحداث وأسبابها، محباً للعلم وأهله، عادلاً لا يقتل إلاّ من قتله الشرع⁽¹⁾.

ب . مرحلة الاستقرار والأمن (1276-1299هـ / 1859-1881م):

تميّزت خلافة سكوتو الإسلامية في هذه المرحلة بقلة الحملات العسكرية، ويرجع ذلك إلى تراجع حدّة التمرد، وإذا كانت الفترة الأولى قد اتّسمت بطول فترة الحكّام، فإن الفترة الثانية تميزت بقصر مدة حكم معظمهم، ورغم ذلك فقد عرفت خلافة سكوتو الإسلامية أوضاعاً مستقرة، خاصّة في عهد الخليفة أحمد الرّفاعي بن الشّيخ عثمان (1867-1873م) حيث أصبحت الدّولة أكثر قوة، وبلغت أقصى اتّساعها وازدهارها⁽²⁾.

ج. مرحلة الاضطرابات والتمرد (1299-1321هـ/1881-1903م):

تميّزت هذه المرحلة بزيادة حدّة التمرد والاضطراب، والتّوغل البريطاني في أراضي خلافة سكوتو الإسلامية، إلى أن تمّ إسقاط الخلافة سنة (1321هـ/1903م)، ومن الخلفاء الذين واجهتهم المشاكل في هذه المرحلة الخليفة علي بابا (1842-1859م)، بسبب الضعف الذي دبّ في ربوع الخلافة وهذا ما ذكره صاحب كتاب تنبيه الإخوان في أمر السّودان حيث أشار إلى اشتغال النّاس بالدنيا وتركهم الجهاد بقوله: "...وبعض النّاس اشتغلوا بالبساتين، وهمّة بعضهم الأسواق... وبعضهم التّجارة وبعضهم اشتغل بالصّنائع وأضاعوا أمرهم للجهاد وأذوا أميرهم وإذا ناداهم ضعفوا..."⁽³⁾

(1) - الحاج سعيد، تاريخ سكت، مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشر هوداس، باريس، 1966، ص ص 209-218.

(2) - السر سيد أحمد العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكّية، المرجع السّابق، ص 29.

(3) - عمر بن محمد البخاري، تنبيه الإخوان على أمر السودان، الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 5، المرجع O/AR1،

وقد دبّ الضّعف أكثر في عهد الخليفة عمر بن عليّ بابا 1881-1891م حيث تفشت الأمراض في عهده، ونفقت أعداد كبيرة من الماشية، وتمّ اعتماد ضريبة تقدر بـ: 1250 ودعة على كل فرد ممّا أدى إلى سخط الرّعية، وكرهه له، ومن بعده الخليفة عبد الرحمن بن أبو بكر عتيق (1891-1902م)، الذي تميز عهده أيضا بالضعف، وعدم تحكّمه في تسيير الدّولة وتدبير شؤونها، ونشبت في عهده الحرب الأهلية في كانو، وتوغّل البريطانيون في أجزاء كبيرة من خلافة سكوتو الإسلامية⁽¹⁾.

إنّ هذا التقسيم لمراحل تطور خلافة سكوتو الإسلامية خلال القرن الثالث عشر هجري والتاسع عشر ميلادي يعكس مدى خطورة المناخ السّياسي، وصعوبة التحكّم في التّقلبات التي تحدث في أطراف مختلفة في أنحاء البلاد؛ هذا ما يفسر عدم توقف آلة الحرب والجهاد خاصّة في المرحلتين الأولى والثالثة، ممّا ساعد في التّهاية وجود فرصة سانحة للتّوغلّ البريطاني وإسقاط الخلافة سنة 1903م.

1- أثر الحياة السّياسية على النّاحية العلمية:

يقول بن خلدون: "إنّ اختلاف الأجيال في أحوالهم إنّما هو باختلاف نحلّتهم في المعاش"⁽²⁾. وانطلاقا من هذا القول، يتبين لنا أنّ اختلاف أحوال النّاس، سواء: السّياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية التي لها تأثير على ثقافتهم وتفكيرهم ونتائجهم العلمي، وممّا لاشكّ فيه أنّ الحركة العلمية التي شهدتها خلافة سكوتو الإسلامية بلغت من الرّقي والعطاء مرحلة متقدّمة جاءت انعكاساً لهاته الأوضاع، خاصّة السّياسية ولم يتوقّف دور الحكّام الفوديين على المجال السّياسي فحسب، إنّما أضافوا إليه مجدا حضاريا وحرصوا على تطوير الدّولة في المجال الأمني والعسكري، إلى جانب تطوير الاقتصاد وتنويعه.

كما كان لهم اهتمام بالغ بنشر العلم، والعناية بالعلماء، واهتمّوا أيضا باللّغة العربية لغة الإسلام وأهله حتّى أصبحت اللّغة الرّائعة في أيامهم، حيث أصبحت لغة دواوين الدّولة ومؤسساتها، وبها أيضا تطورت اللّغات المحليّة وظهرت كتاباتها العجمية بالحرف العربي كالهوساوية والفلانبة واليورباوية وغيرها

(1)- أحمد السر العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكّية، المرجع السّابق، ص 29

(2)- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح، جمعة شيخة، الدار التونسية للنشر، 1984، ص 165.

من اللغات الإفريقية المتعدّدة.

ومجمل القول، فقد استطاع حكام خلافة سكوتو الإسلامية فرض النظام وبسطه في أجزاء مهمّة من البلاد، خاصّة في المدن الكبرى التي تعرف تجمّعا سكانيًا كبيرًا، ونشاطًا اقتصاديًا حيويًا، كما أن آلة الحرب والجهاد لم تتوقّف ضدّ المتمرّدين من القبائل الوثنية، لذا نجد حكام خلافة سكوتو الإسلامية قد اهتموا أيضًا بحماية الثغور، وتشديد الحراسة عليها بإنشاء الحصون والرباطات، وحرصوا على تطويرها وتقويتها، ممّا ساعد على استقرار الدولة، وأمنها في كثير من الأحيان، وأدّى هذا الاستقرار إلى ازدهار الاقتصاد في مختلف جوانبه بصفة كبيرة حيث نمت التجارة الداخليّة، والخارجية، وذلك لتوفّر المحاصيل، والمنتجات التجاريّة بفضل النشاط الزراعي الذي شهد أيضًا تطوّرًا كبيرًا، كما ازدهرت الصنّاعة المحليّة وبرزت العديد من الحرف، ونشطت أسواق خلافة سكوتو، واكتظت بالسّلع المحليّة، والمستوردة، وهذا ما سنتطرّق إليه في المبحث الموالي.

-المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا)

لقد كان لظهور خلافة سكوتو الإسلامية تأثيرات جذرية على المنطقة، بحيث تغيّرت تشريعات وقوانين الحكام السّابقين، وظهرت مكائها تشريعات وأنظمة نابعة من الشريعة الإسلامية، طبّقها الشيخ عثمان بن فودي وواصل مسيرته من جاء بعده، ولقد مسّت هذه التشريعات والتنظيمات كلّ جوانب الحياة، منها النظام الاقتصادي وطرق تسييره وفق ما سطرته الشريعة الإسلامية.

لقد عُرف عن ملوك الهوسا الجشع والاستبداد وأنهم يحكمون وفق أهوائهم⁽¹⁾، وقد كان الشيخ عثمان بن فودي في بداية دعوته ينتقد هؤلاء الملوك في فرضهم الضرائب الباهظة على العامّة ممّا أدّى إلى سوء أحوالهم الاقتصادية، وكذلك أكلهم السّحت وغصب الأراضي المملوكة بغير مبرر شرعي ورعي ماشية الملوك في مزارع الرّعية وزيادة على ذلك سجنهم زورًا لاغتصاب أموالهم، فكان الشيخ عثمان بن فودي يعمل على تنمية الاقتصاد حيث شجّع جميع أفراد رعيته بالاعتماد على النّفس واكتساب حرف مختلفة تمكّنهم من دخل حلال دون اعتماد على بيت مال الخلافة⁽²⁾.

(1)- عبد السلام الشّباني، من فاس إلى تمبوكتو، تر: محمد عبد الغني، إرث للنّشر والترجمة، 2020، ص 52.

(2) - slahi Abdul Azim, Shehu Uthman dan fodio and his economic ideas, MPRA, no 40916,29, August,2012 , p 6.

اهتمّ الشيخ عثمان بن فودي وخلفائه من بعده بتوجيه السياسة الاقتصاديّة، وكان اعتمادهم في بداية الأمر على الزراعة والرعي إلى جانب ذلك بعض الصناعات الحرفيّة التقليديّة، وقد منح للجانب المالي اهتماماً بالغاً مثل الضرائب التي تساهم بقدر كبير في إنعاش الاقتصاد نظراً إلى التنامي الكبير للتجارة العابرة لأراضي الدولة⁽¹⁾، هذا وكان تطبيق وجه الشريعة الإسلاميّة في ذلك كلّه، ومن بين أهمّ الأنشطة الاقتصاديّة التي أولى لها حكّام خلافة سكوتو الإسلاميّة الاهتمام بالتنظيم والرعاية هي الزراعة؛ والصناعة؛ والتجارة كما عملوا على تنميتها وتطويرها، بالاعتماد على ما تملكه الدولة من ثروات متنوّعة، سمح بظهور حرف كثيرة، يقوم بها صنّاع مهرة، وكذلك وجود أراضي خصبة، ومياه وفيرة، ويد عاملة كثيرة، تمثلت في العبيد بالدّرجة الأولى، ساهمت في نهضة زراعية كثر إنتاجها وتنوّعت محاصيلها.

1- الزراعة في خلافة سكوتو الإسلاميّة:

وتعدّ الزراعة قطاعاً مهمّاً، ومحور الحياة الاقتصاديّة في بلاد الهوسا وقد عرفت بأسماء؛ ومصطلحات عديدة؛ فالهوسا يسمونها غاندي (gandu)؛ ورنجي (rinji)؛ وفي لغة الفولان رمدي (rumde)؛ وفي بلاد التّوبة تنغازي (Tungazi)، وفي القرن التاسع عشر الميلادي أصبحت تعرف بمصطلح عام وهو غاندي (gandu)⁽²⁾، وما يميّز الزراعة أنّها مازالت بدائيّة وسائلها تقليديّة ممّا انعكس على مردود الإنتاج لمختلف المحاصيل الزراعيّة، إلا ان قوة اليد العاملة المتمثّلة في العبيد جعل قطاع الزراعة نشيطاً ومنتجاً.

لقد أسفر نجاح الجهاد في القرن التاسع عشر ميلادي في إحداث تغييرات كبيرة في انتهاج سياسة اقتصاديّة؛ إذ عمدت خلافة سكوتو على تطبيق الشريعة فيما يتعلق بجيازة الأرض في إمارة كانو ومختلف الإمارات الأخرى، فالأمير هو الذي يسهر على كيفية تملكها والانتفاع بها، والتّصرف فيها، فيما كان حكّام الإمارات يعملون على جلب اليد العاملة التي تمتلك قدرات ومهارات في المجال

(1)- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 117.

(2) - Paul E. Lovejoy, Plantations in the Economy of the Sokoto Caliphate, J A H, Vol. 19, No. 3 Cambridge University Press ,1978, p343.

الزراعي، وتقديم إجراءات لإعادة توطين السكّان الأصليين الفارين من الحرب⁽¹⁾، وذلك لتنمية الزراعة عن طريق الإنتاج الأسري التقليدي أو ما يسمّى الغانداي بمعنى: مزرعة الأسرة الجماعية، وعن طريق المزارع الكبرى التي يعمل فيها العبيد والأتباع⁽²⁾.

وهكذا عمل قادة خلافة سكوتو الإسلامية على جلب كل ما من شأنه أن يطور الزراعة و ينمّيها وكان من بين اهتمامات محمد بلو بناء الرّباطات؛ وهي عبارة عن مدن محصّنة دورها الدّفاع عن ثغور المملكة، وانتشرت الكثير من المزارع حول هذه الرّباطات، ممّا أدّى إلى توسّع العمران ما بين العاصمة سكوتو ورباط ورنو أين يعيش الخليفة محمد بلو⁽³⁾، وقد أشاد الرّحالة كلابرتون (Clapperton) بالمستوى الذي وصلت إليه الزراعة من الازدهار، حيث شاهد المزارع الواسعة من النيله والقطن والقمح في نواحي إمارة كاتسينا⁽⁴⁾، وبالقرب من مدن الشّمال المتمثّلة في سكوتو وكانو وكاتسينا وشمال زاريا نشأت منطقة زراعية دائمة، وتتميّز بمزارع صغيرة وسهلة الفلاحة، لوجود التّربة الخصبة، وتوفّر المياه الجوفية القريبة من السّطح⁽⁵⁾.

ومن ناحية أخرى تنوّعت المنتجات الزراعيّة بين حبوب وخضر وفواكه في خلافة سكوتو الإسلامية، وأهم هذه المحاصيل: القمح؛ والشّعير؛ والبقول السّوداني؛ والذّرة؛ والأرز؛ والقطن؛ والبطاطا؛ والسّفرجل؛ والبّطيخ؛ والكاكاو؛ واللّيمون؛ والتّين؛ والرّمان؛ والبصل؛ والتّمور؛ وجوز الهند؛ والمانجو⁽⁶⁾، وكذلك محاصيل الدخن، بالإضافة إنتاج زيت النخيل، وهو من الزيوت النباتية التي يكثر عليها الطلب⁽⁷⁾ في أسواق خلافة سكوتو الإسلامية وغيرها من أسواق غرب إفريقيا، كما تزخر أيضا خلافة

(1) - ج. ف. أ. أجايب، إفريقيا في مطلع القرن التاسع عشر قضايا و توقعات، تاريخ إفريقيا العام، ج 6، ص 37 .

(2) - نفسه، ص 42.

(3) - Paul E. Lovejoy, Op.cit, p. 341.

(4) - كلابرتون، دهام، أوديني، رحلة لأكتشاف إفريقيا، تر، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003

كلابرتون، دهام، أوديني، رحلة لأكتشاف إفريقيا، تر، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، 183.

(5) - كرافيه دو بلانفول تاريخ أرض الإسلام الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام، تر معاوية سعيدوني، ط1، دار الغرب

الإسلامي، تونس، 2008، ص 363.

(6) - Clapperton and others, Op-cit, pp 173-178-216-218-219.

(7) - كلابرتون وآخرون، المصدر السابق، ص 208.

سكوتو الإسلامية بثروة حيوانية هائلة، ومتنوعة وقد شاهد الرحالة كلابرتون (Clapperton) انتشار كبير للماشية بأنواعها، خاصة الماعز، والأغنام، والأبقار ذات القرون الطويلة⁽¹⁾.

يعتبر قطاع الزراعة من أهم القطاعات الرئيسية في اقتصاد خلافة سكوتو الإسلامية، رغم أنه حساس لتأثره بالعوامل الطبيعية والتغيرات المناخية، فقد اهتم حكام الخلافة وأمراءها به اهتمامًا بالغًا، فتطوّرت وتنوّعت المنتجات الغذائية، وبذلك انتعشت الأسواق والتجارة الداخلية، وانتعشت معها أيضًا التجارة الخارجية لفائض الإنتاج لكثير من المحاصيل، وهذا ما نوّه به الرحالة خاصة الأوربيين منهم، الذين زاروا المنطقة خلال القرن التاسع عشر ميلادي، حيث وصفت تقاريرهم كثرة الإنتاج وتنوّع وجودته، وانتشار المزارع الواسعة، ووفرة اليد العاملة في هذا القطاع المتمثلة خاصة في العبيد، الذين جلبوا كأسرى من الحروب المستمرة في خلافة سكوتو الإسلامية.

2- الحرف والصناعة التقليدية في خلافة سكوتو الإسلامية:

عمدت خلافة سكوتو الإسلامية على إيجاد طرق وحلول من أجل تنمية الصناعة، وكانت المناطق الأكثر سكانًا خاصة المدن الكبرى مثل زاريا، وكانو، وكاتسينا، وزمفرا، وغيرها هي المناطق الصناعية بالدرجة الأولى حيث تواجدت بها أنواع من الصناعات مثل صناعة النسيج والصناعة الجلدية والحديدية⁽²⁾، كما تمتعت هذه المدن بإنتاج مادة الخشب لقربها من الغابات الاستوائية، والسافانا، التي وفّرت لها الكثير من الأخشاب ذات الأحجام المختلفة والتي تستخدم في العديد من المجالات حسب الاحتياجات خاصة التي تتعلق بصهر المعادن حيث يتم استعمالها في العديد من الصناعات التي تحتاج إلى كميات كبيرة من الوقود الخشبي⁽³⁾.

(1) - نفسه، ص 174.

(2) - Paul e. Lovejoy, Op.cit, p347.

(3) - أ ج هوبكتر، التاريخ الاقتصادي لافريقيا الغربية، تر: أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، ص 87.

مهدي آدمو، الهوسا وجيراهم بالسودان الأوسط، إشراف ج. ت. نياني، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1988، مج4، ص 299. أنظر أيضا فيج جي دي، تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 40.

وقد عرفت البلاد نظاما محليا للإنتاج الصناعي وشملت الصناعات المحلية صناعة السلال وتشكيل الحديد والفخار، وكانت الصناعات الحرفية غالبا ما تدار داخل المنازل، باستثناء صناعات أخرى مثل بناء زوارق الصيد، والتعدين، أما جودة المنتج فتعتمد أساساً على مهارة الحرفي وكانت المواد الخام والأدوات يوفّرها عادة الحرفي بنفسه⁽¹⁾.

أمّا عن المواد الأوّلية المتمثلة في المعادن؛ فمع تنوعها عرفت شعوب المنطقة قبل القرن التاسع عشر الميلادي بزمن طويل استخراج الحديد؛ والقصدير؛ والذهب؛ والمعادن الأخرى، وتوجد صناعة الحديد في العديد من المناطق، مثل إيجيبو، أودي؛ وإلورن؛ وبيدا؛ وأوكا⁽²⁾، كما كانت خلافة سكوتو الإسلامية تستورد بعض المعادن مثل النحاس من إقليم دارفور غرب السودان لاستعماله في بعض الصناعات مثل صناعة الأسلحة والأواني وركاب الخيل⁽³⁾، كما نمت زراعة القطن أيضا التي ساعدت على توفير المواد الخام الضرورية من أجل صناعة الأقمشة القطنية المحليّة⁽⁴⁾.

ويشير عدد من تقارير المستكشفين والرحالة الأوروبيين إلى أن الصناعات المحليّة ازدهرت في خلافة سكوتو الإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي التي وفرت الاحتياجات الأساسية للسكان قبل مجيء التجارة الحديثة⁽⁵⁾، كما أشارت إلى وجود مؤسسات كبيرة لصناعة النسيج وصبغة الأقمشة القطنية في مدينة كانو كما عرف سكانها فنّ التعليب ومن الصناعات التي اشتهرت بها أيضا صناعة الزّلع من الجلد التي تستخدم لحفظ بعض المواد الغذائية كالدهون والزبدة والعسل⁽⁶⁾ كما توجد أيضا صناعة الصّابون في العديد من المقاطعات الجنوبية لخلافة سكوتو الإسلامية⁽⁷⁾.

(1) - R.Olufemi Ekundare, An Economic History of Nigeria, 1860 -1960, Methuen & Co Ltd, london, 1973, p 44.

(2) - Ibid, p 42.

(3) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 170.

(4) - R.Olufemi Ekundare, Op.cit, p41.

(5) -Ibid, p 58.

(6) - كلابرتون وآخرون، المرجع السابق، ص 168.

(7) - R.Olufemi Ekundare, Op.cit, p 44.

واشتهرت أيضا قرى نوبي بالعديد من الصناعات، مثل صناعة الزجاج، ويعتقد أن عمال الزجاج جلبوا فنهم التقليدي من مصر، كما برزت أعمال فنية في الصناعة النحاسية تميزت بتصاميمها الإبداعية⁽¹⁾، ومع زيادة النمو السكاني تطورت الحرف، وانتشرت بشكل واسع مما أدى إلى ازدهار الصناعات التقليدية في عدة مدن مثل كورا، ورانو، وتاريا، وبوروم، وبوكور، وجاركو، وروجو وبيلي⁽²⁾،

أما في شمال خلافة سكوتو الإسلامية اشتهرت الصناعة الجلدية في سكوتو وكانو التي تستخدم جلود الحيوانات حيث ساهمت في ظهور أسواق عديدة لأنواع من السلع الجلدية مثل السرج، والتعال وحقائب اليد، وتتميز هذه الصناعة الجلدية بجودة نوعيتها، وكثرة الطلب عليها، ما جعل لها سوقا خاصا بها في إمارتي سكوتو وكانو، وتعتبر الصناعة الجلدية من أهم المواد الرائجة في تجارة القوافل التي تصل إلى موانئ شمال إفريقيا ومنها إلى أوروبا⁽³⁾.

ساهمت الصناعة بشكل كبير في تنويع الاقتصاد ومصادر الدخل في خلافة سكوتو الإسلامية خاصة الصناعات الحرفية التي لا تحتاج إلى إمكانيات كبيرة مما أتاح الفرصة لكثير من السكان إلى امتهاها والتكسب بها، هذا بالإضافة لتشجيع الحكام ودعمهم لهذه الصناعات، هذا ما لاحظته الكثير من الرحالة والمستكشفين الذين زاروا المنطقة ودونوا ملاحظاتهم الدقيقة ووقفوا على إمكانيات هذا القطاع الإنتاجية من حرف وصناعات ومعادن متنوعة.

3- التّجار والمبادلات التجارية في خلافة سكوتو الإسلامية:

تعتبر التجارة إحدى أهم قطاعات الاقتصاد التي اهتمت بها خلافة سكوتو الإسلامية اهتماما بالغا، نظراً لما توفره من سلع وبضائع متنوعة، التي يحتاج إليها الناس في حياتهم اليومية، حيث ساهم التّجار المسلمون في عملية التّبادل التجاري لخلافة سكوتو مع غيرها، وأصبح الإسلام أداة لتطوير النظام

(1) -NADEL, S. F., A Black Byzantium, London, Oxford University, Press, I942·, p274.

(2) - Paul e. Lovejoy, Op.cit, p 356.

(3) - R.Olufemi Ekundare, Op.cit, p 44.

الاقتصاديّ للدولة، وصارت المعاملات الإسلاميّة أساس التّعامل في أسواق الخلافة⁽¹⁾.

وقد اتّجهت أنظار تجار الشمال الإفريقيّ من بلاد المغرب، منذ وقت مبكر إلى بلاد الهوسا، فقد اتخذوا الطرق التجاريّة بعد الإغريق والرّومان، وذلك بعد الفتح الإسلاميّ لشمال أفريقيا، فجعل العرب بعدئذ يجتازون الصّحراء الكبرى متوغّلين في دواخل إفريقيا، بتجارهم حاملين بضائع متنوّعة، ومن هذه البضائع المطلوبة في بلاد الهوسا الحرير والسّروج والسّيوف والتّحاس والملح والأدوات المنزليّة والمنسوجات⁽²⁾، ونظراً للمناخ الاقتصاديّ المناسب للنشاط التجاريّ استقرّ العديد من التّجار في بلاد الهوسا التي تمتاز بحظّ معتبر من النشاط والمهارة، الذين كانوا يمارسون الزّراعة والتّجارة معاً، كما اشتهروا بمواهب عديدة خاصّة في الصّناعات اليدويّة، منها التّسيج والصّبّاغة ودبغ الجلود، وقد شيّدوا عدداً من المدن المحاطة بأسوار عالية، وهذا يبعث شعوراً بأن شعوب المنطقة شعوب حركيّة نشطة ومسالمة وفعّالة في مختلف الأنشطة الاقتصاديّة⁽³⁾.

وتؤكّد مختلف المصادر على قدم الاتّصالات التجاريّة لبلاد الهوسا مع شمال إفريقيا، حيث تذكر أنّها من أكبر المناطق تبادلاً عن طريق القوافل التجاريّة العابرة للصّحراء الكبرى وفيها يتمّ تبادل مختلف الموادّ والسّلع بالمنتجات الإفريقيّة عن طريق المقايضة⁽⁴⁾، ويستخدم التّجار الأجانب الوسطاء أو الوكلاء في عقد الصّفقات التجاريّة، والتكفّل بدفتر الحسابات، والديون إلى غير ذلك من الأعمال التجاريّة⁽⁵⁾.

(1) - محمد باي بلعام، قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم و المعرفة والمآثر، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 211.

(2) - Fage J., An Introduction to the History of Africa , Cambridge, London, 1961, p120.

(3) - إسماعيل العربي، الصّحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1983، ص 324.

(4) - R .Olujemi Ekundare, Op.cit, p21.

(5) - عبد السلام الشّيباني، المصدر السابق، ص 54.

ومن بين أهم الطرق التجارية التي تربط شمال إفريقيا مع بلاد الهوسا الطريق الغربي الرئيسي عبر الهقار بالجنوب الجزائري إلى محطة غدامس⁽¹⁾ ثم يتجه إلى مرزق⁽²⁾، ومنها إلى غات⁽³⁾، ثم إلى مختلف مدن، وأسواق بلاد الهوسا، وكان الطوارق هم الذين سيروا هذا الطريق وطوّروه منذ القرن الحادي عشر ميلادي عبر أراضيهم، حيث احتكروا توزيع الملح من مناجم بلما، كما كانوا وكلاء في نقل البضائع مقابل عمولة، ومهمته إيصال السلع وتحملوا مسؤولية التسليم الآمن⁽⁴⁾، كما يصل إلى أسواق سكوتو ملح تاودني⁽⁵⁾ عن طريق تمبكتو التي تشتهر بها أقمشة بلاد الهوسا كسلعة رائجة في أسواقها⁽⁶⁾ وفي فترة خلافة سكوتو الإسلامية سعى قادتها على تنمية التجارة، حيث عملوا على شق الطرق وتسويتها وتوفير الأمن للقوافل التجارية⁽⁷⁾، مما ساهم في ازدهار الحركة التجارية ببلاد الهوسا وأصبحت تستقبل أنواعاً كثيرةً من سلع بلاد المغرب، وأوروبًا من المرايا والورق والإبل والتّمر والحنّاء والملح والسيّوف والخيول، ومقابل ذلك كانت بلاد الهوسا تصدر منتجاتها من الجلود والتّبر والذّرة الرّفيعة وجوز الكولا ومختلف السلع الأخرى⁽⁸⁾، وتنظم هذه المبادلات التجارية في أسواق خارج أسور المدن، وذلك لتوفير مكان فسيح تلتقي فيه القوافل التجارية سواء كانت خارجية أم داخلية⁽⁹⁾.

(1)- غدامس: تقع هذه الواحة في الحدود الجنوبية الغربية من ليبيا حاليًا، من أهم المراكز الصحراوية التجارية، تشتهر بالزراعة ودباغة الجلود، وقد خلها الإسلام مبكرًا، واشتهرت بموقعها الاستراتيجي الهام كطريق للقوافل التجارية، وركب الحجاج من البلدان المغاربية. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص ص 241-242.

(2)- مرزق: هي عاصمة بلاد فزان تقع إلى الجنوب الشرقي من طرابلس على طريق مصراتة وسبها، من أهم المراكز الصحراوية التجارية، وملتقى القوافل، ومواكب الحجاج. نفسه، ص 310.

(3)- غات: من أهم الواحات الصحراوية الليبية، تقع في الجهة الجنوبية الغربية من فزان، وتعدّ محطة تجارية هامة للقوافل التجارية القادمة من غدامس باتجاه السودان الأوسط، غنية بالمياة، وعامرة بالبساتين، سكانها من الطوارق. نفسه، ص ص 238-241.

(4) -Roland Oliver Anthony Atmore Medieval Africa, 1250 1800 Cambridge University Press 2001 P47-48

(5)- تاودني: تأسست في القرن 16م عند تحول العمال من تغازي بسبب سيطرة المغاربة عليها، وهي تقع في الشمال الغربي من أزواد في منطقة مقفرة، مياها غير صالحة للشرب، تبعد عن تمبكتو حوالي ستمائة كلم شمالاً، تعتبر من أهم مناجم الملح وهو من السلع الرئيسية في إفريقيا جنوب الصحراء. أنظر عبد الرحمن السّعدى، تاريخ السودان، طبعة هوداس، فرنسا، 1، 1898، ص 107.

(6) - Baillaud Emile, Sur les routes du Soudan, Toulouse E. Privat, 1902, p 199.

(7)- ج. ف. أ. أجايب، المرجع السابق، ص 43.

(8)- د. لايا، دول الهوسا، إشراف ب. أ. أغوث، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، مج 5، 1997، ص ص 533-535.

(9)-Clapperton, Op.cit, p 174.

وبما أن الهوسا يمارسون التجارة بالدرجة الأولى، فهم يميزون بين التجارة الداخلية "السينيكي" (Siniki)، وهي للمتاجرة بالمنتجات الفلاحية والصناعية على نطاق محدود يتولاها المنتجون أنفسهم، والتجارة الخارجية "الفتوشي" (Fatawtchi) فهي تجارة الجملة عبر مسافات بعيدة، وهي بيد التجار المحترفين⁽¹⁾، وبهذا النظام نشطت التجارة بين بلاد الهوسا ومختلف مناطق السودان الغربي، حيث وجدت في المنطقة أسواق دولية، ففي الشمال كانت أغاديس وبلما إذ تربط المنطقة بشمال إفريقيا، وفي الوسط كانت كاتسينا وكانو حيث تؤدي دور الوسيط بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب، وفي الجنوب كانت مدينة زاريا التي تمتد علاقاتها إلى بلاد اليوربا⁽²⁾.

ومن بين أهم المراكز التجارية في خلافة سكوتو الإسلامية مدينة كانو التي تتجه إليها طرق تجارة القوافل⁽³⁾ فيسمح دائما بتدفق التجار إليها، وهي أيضا تضم المزارع الواسعة الغنية التي تنتج مواد غذائية كافية لأعداد كبيرة من سكانها، بالإضافة إلى ذلك ازدهارها الصناعي ومهارة حرفيها، ولا سيما الحياكة، وصناعة الجلود والمحففات، مما جعلها منتجا مصدر جذب الكثير من التجار من كل أنحاء إفريقيا⁽⁴⁾، وقد تحدت عنها الرحالة كلابرتون (Clapperton) الذي زارها عام 1824م، حيث اعتبرها من أحسن أسواق إفريقيا تنظيما، ويبيّن أن سوقها مقسم حسب نوعية البضائع فهناك أماكن مخصصة لبيع الخشب والحشائش الجافة والبقول والبصل والقمح وأخرى لبيع الماشية والماعز والأغنام والخيول والإبل، وأخرى لبيع الخضروات والفاكهة مثل البطاطس والمأخو، وكان النظام المعتمد في سوق كانو يشبه نظام أسواق البلاد الإسلامية الأخرى⁽⁵⁾.

(1) - دجيبو سايبو، الدور الحضاري لشعب هوسا في الفضاء التيجيري من القرن الرابع عشر الميلادي إلى بداية الاستعمار الأوربي، إشراف، نجم الدين الهنتاني، رسالة دكتوراه، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2008، ص ص 208-209.

(2) - د، لايا، دول الهوسا، المرجع السابق، ص 533.

(3) - ينظر خريطة الطرق التجارية بين شمال إفريقيا وخلافة سكوتو الإسلامية الملحق رقم 2

(4) - R.Olufemi Ekundare, Op.cit, p 23.

(5) - كلابرتون، المصدر السابق، 253-254.

كانت التجارة محلّ اهتمام حكامّ خلافة سكوتو الإسلاميّة، فقد حاول السّلطان محمّد بلو ربط علاقات تجاريّة مع إنجلترا، حيث اتّفق مع الرّحالة كلابرتون (Clapperton) على منع تجارة الرّقيق، والسّمّاح بإنشاء مراكز تجاريّة على ساحل المحيط الأطلسي للتبادل التجاري ومحاربة تجارة الرّقيق وضمن ذلك برسالة بعثها إلى ملك إنجلترا⁽¹⁾، كما كانت فرنسا قد أولت اهتمامها بخلافة سكوتو الإسلاميّة وذلك بربط علاقات تجاريّة حيث وقعت في 28 أكتوبر 1891م مع الخليفة عبد الرحمن 1891-1902م معاهدة تجاريّة عن طريق قائد البعثة الاستكشافيّة الفرنسيّة الكابتن بارفيه لويس مونتيل (Parfait-Louis Monteil)⁽²⁾، كما دعت هذه المعاهدة إلى التعاون السياسي، والاقتصادي، وذلك بتوسيع الأنشطة التجاريّة وبموجب هذه المعاهدة سمح بتوسيع المعاملات التجاريّة بين الدولتين بحرية التجارة والإعفاء الضريبي للقوافل التجاريّة⁽³⁾ كما استطاع أن يقيم علاقات طيبة مع كلّ حكام المناطق التي وصل إليها⁽⁴⁾.

وقد لاحظ الرّحالة بارث (Barth) أهميّة السوق في مجتمع غرب إفريقيا خاصة في بلاد الهوسا، حيث شاهد التنوّع الكبير للسلع المعروضة للبيع، وتحدّث في كتاباته عن المعاملات التجاريّة بين البائع

(1) - نفسه، ص 205.

(2) - بارفيه لويس مونتيل Parfait-Louis Monteil (1855 - 29 سبتمبر 1925) ضابط ومستكشف استعماري فرنسي، له عدة رحلات استكشافية أهمها رحلته من السنغال إلى طرابلس عبر خلافة سكوتو وبرنو والصحراء الكبرى، وعقد عدة معاهدات صداقة وتجارة مع الكثير من حكام المنطقة منها خلافة سكوتو حيث ربط علاقات طيبة مع الخليفة عبد الرحمن بن أبو بكر عتيق 1891م، أنظر:

Pierre Kalck, Historical dictionary of the Central African Republic, Lanham (Md.) Scarecrow Press 2005, p141.

(3) -Harry Alis, Nos africains, Jules Hippolyte Percher, Librairie Hachette, paris 1894, p 368.

(4) - Bonnefon, Louis-Edmond ، Afrique politique en1900, paris HENRI Charles-Lavauzelle ,Éditeur militaire, p234. Monteil, Parfait-Louis, De Saint-Louis à Tripoli par le lac tchad, paris, p253. Claire Hirshfield , The Diplomacy Of Partition، Britain, France And The Creation Of Nigeria, 1890-1898, Studies in Contemporary History, number 2,Martinus Nijhof, Boston, p40.

والمشتري التي تصل إلى حوالي 30 حصانا، و300 بقرة، و50 ثورا، وعدد كبير من العبيد إلى جانب كمّيات كبيرة من المنتجات الحديدية، والجلدية. ومن أهمّ الصادرات المنتجات الجلدية أمّا الملابس القطنية فكانت تنسج، وتصبغ داخل بلاد الهوسا ثمّ تصدّر إلى برنو شرقا وإلى بلاد الإيبيو جنوبا وإلى تمبكتو والسّنغال غربا أو إلى واحات الصّحراء شمالاً، وتصدّر الجلود إلى بلاد المغرب العربي عن طريق أغاديس وفزان إلى توات ومرّاكش⁽¹⁾.

لقد قويت الأسواق في خلافة سكوتو واشتهرت⁽²⁾، وكانت الأسواق المحليّة مقصداً لتبادل السّلع المحليّة في يوم معلوم، وإلى جانب ذلك فهي ملتقاً لتبادل الأخبار والمعلومات، وممارسة الألعاب، خصوصاً في الأسواق القروية. أمّا الأسواق الكبرى فمنها ما يتواجد في وسط المدن الكبيرة أو على أطرافها، ومنها ما يقام خارج الأسوار على طرق التجارة والقوافل وتتميّز هذه الأسواق بمنتجاتها وسلعها الخارجية⁽³⁾، وهذا ما ذكره الرحالة كلابرتون عن سوق مدينة كانو الذي تباع فيه السّلع العالميّة كأدوات الزينة، والملابس، وأوراق الكتابة المصنوع في فرنسا، والسيوف من جزيرة مالطا، وكذلك توجد الألبسة المغربية من مختلف الأثواب والعمامة والشّال، فضلا عن القماش المصري من الصّوف المطرّز بالذهب، والمقصّات والسّكاكين من الانتاج المحلي، بالإضافة إلى العقود من النّحاس والودع والمرجان، وخواتم الفضة، وغيرها من السّلع الأخرى⁽⁴⁾.

وبازدهار الزراعة والصّناعة التقليديّة؛ ازدهرت معها الأسواق وظهرت المراكز التجاريّة الكبيرة، وأصبحت أكثر تنظيمًا مثل سوق مدينة كانو الذي عبّر عنه الرحالة كلابرتون (Clapperton) بأنّه

(1) - Heinrich Barth, Travels and discoveries in North and Central Africa. Being a journal of an expedition undertaken under the auspices of H.B.M.'s government, in the years 1849-1855 New York, Harper & Brothers, 1857, ,vol 1, p515.

(2) -Paul e. Lovejoy, Op.cit, p346.

(3) - د، لايا، دول الهوسا، المرجع السّابق، ص531.

(4) - كلابرتون وآخرون، المصدر السّابق، 163.

من أحسن أسواق إفريقيا تنظيمًا، من حيث حركة البيع والشراء، وتحديد الأسعار وإيجار المحلات⁽¹⁾، ومع وجود هذه العلاقات التجارية الجيدة توفّرت السلع وتنوّعت، ممّا أدّى إلى تنشيط حركة التجارة الخارجية ويؤكد هودر (Hodder) أنّ للتجارة الخارجية دوراً كبيراً في دعم وتنشيط حركة التجارة الداخليّة المحليّة بجلب السلع والمنتجات النادرة والمفقودة في هذه الأسواق⁽²⁾.

وتسببت حالة الحرب المستمرّة في خلافة سكوتو الإسلامية في كثرة الرقيق؛ بسبب الأسر في الحرب ممّا زاد من نشاط تجارة الرقيق في إمارات الخلافة، وكانوا يستخدمون في الكثير من المهام، مثل حراثة الأرض وزراعتها، وقلع الأعشاب، وجني مختلف المحاصيل، وكانوا أيضا يستخدمون في مختلف المصانع المنتشرة في أرجاء المملكة، ومنهم من يستعمل خدمة منازل أسيادهم⁽³⁾.

والجدير بالذكر، أنّه يمكن أن تتأثر هذه التجارة سلبيّاً سواء الداخليّة كانت أم الخارجية، بسبب انعدام الأمن، فإذا كانت هناك حروب فإنّها تسبب تعطّلاً للتجارة في المناطق المعرّضة للمعارك، وهذا ما حدث أثناء الحرب التي دارت بين محمّد بلو ومحمّد الأمين الكانمي في بورنو، حيث استغلّ هذا الظرف من طرف الطوّارق وأهل فزان، واعترضوا سبيل الكثير من القوافل التجارية ممّا أدّى إلى إفلاس الكثير من التجار بضياغ حمولتهم من السلع⁽⁴⁾.

كما كانت هناك قافلة تسمى أزلاي (Azlai) لا تقل عن 20 ألف جمل، تنطلق كل خريف من مركز آير محملة بالملح من مدينة بلما (Balma) لسدّ حاجيات بلاد الهوسا، والتي استمر وجودها إلى غاية 1908م⁽⁵⁾، وهذا ما أكّده الرحالة كلابرتون عندما كان في سوق كانو حيث وصلت قافلة

(1) - Paul e. Lovejoy, Op.cit, pp 253-254.

(2) - W. Hodder, some comments on the origins of traditional markets in africa south of the sahara, transactions of the institute of british geographers, no. 36, 1965, pp. 97-105.

(3) - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السّابق، ص 168.

(4) - Clapperton, Op.cit, p 171.

(5) - بوفيل إدورد، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي بولقمة - محمد عزيز، منشورات جامعة قارونس، بنغازي، ط2، 1988، ص 393.

تجارية للطّوارق من بلما تتكوّن من ثلاثة آلاف جمل محمّلة بالملح فقط⁽¹⁾. ومن خلال الحجم الكبير لهذه القوافل وحمولتها يتبيّن أنّ النشاط التجاري لخلافة سكوتو الإسلاميّة مع مراكز شمال الصحراء الكبرى يتميّز بالحيوية خاصّة المواد الأساسيّة كالملح، ممّا يؤدّي تطوّر الاقتصاد، ويزيد في قوة الدولة.

أ- الأسواق التجاريّة والنّظم الماليّة في خلافة سكوتو الإسلاميّة:

نظراً لأهميّة للسّوق ودوره القويّ في اقتصاد خلافة سكوتو الإسلاميّة، فقد حظي باهتمام الشيخ

عثمان بن فودي، حيث حثّ الولاة على الأقاليم بتنظيم أمور السّوق وإصلاحها، والوقوف على ما يحتاجه الفقراء والمساكين، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر⁽²⁾، ومن الأمور التي نبه إليها وحذّر منها ظاهرة الغش، التي انتشرت في الأسواق، كما أمرهم بالوقوف على تغيير المناكر التي تحدث فيها، كالنّظيف في الكيل والميزان، بالزيادة أو النّقصان والغشّ في الذهب والفضّة بالنّحاس، أو خلط اللّبن بالماء، وردّ السلعة لصاحبها إذا لم يجد فيها ربّحاً إلى غير ذلك من المناكر، وشدّد على زجر أهل الغشّ والخديعة أشدّ الجزر⁽³⁾، وأوضح أنّه من باع فليتنجّب الخلابة والخديعة، وليذكر عيب سلعته⁽⁴⁾.

وباعتبار أنّ الأسواق مركز نشاط اقتصادي كبير، حيث تدار فيها مختلف المبادلات التجاريّة، ويطلق على السّوق في بلاد الهوسا اسم كازوة (Kasuwa)؛ أي المكان المخصّص لعرض البضائع، والمنتجات وتبادلها بين النّاس، كما تمثّل ملتقاً اجتماعياً لهم⁽⁵⁾. ومن الوظائف المهمّة الموجودة في السّوق كانت هناك وظيفة السّمسار التي انتشرت في كلّ أسواق بلاد الهوسا، حيث يتقاضى نسبة مئويّة من المبيعات مقابل خدماته، وكان هذا الأخير له دراية بكلّ أسعار المنطقة، وله أن يتوقّع ارتفاع الأسعار

(1) - كلابرتون وآخرون، المصدر السّابق، ص 164.

(2) - عثمان بن فودي: كتاب الفرق، مجلة دراسات إسلاميّة مسيحية، المعهد البابوي للدراسات العربيّة و الإسلاميّة، مطبعة دون بوسكو، ع 6، 1980، ص 194.

(3) - Celeste Intartaglia, Il Sirāğ Al-Iḥwān Del Muğaddid Nigeriano 'UṭMān Dan Fodio (1754-1817 A. D.), Celeste Intartaglia, Oriente Moderno, Nuova Serie, Anno 4 (65), Nr. 7/9 , 1985, p 163.

(4) - محمد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السّابق، ص 84.

(5) - مهدي آدامو، المرجع السّابق، ص 300.

وانخفاضها، وتغييرات العرض والطلب⁽¹⁾، وبالتسوية لعملة التداول كانت الأصداف التي لا يمكن تقليدها وهذا لسهولة استخدامها كوسيلة للتبادل في كل العمليات التجارية الصغيرة والكبيرة⁽²⁾، فهي عملة التعامل الأساسية، ولم يحاول الحكام سكّ عملة خاصة بخلافة سكوتو الإسلامية حتى نهايتها عام 1321هـ / 1903م⁽³⁾.

أما عن الموازين والمكاييل، فقد استعملت في خلافة سكوتو الإسلامية مختلف المعاملات التجارية المعروفة في البلاد الإسلامية، وكانت المقاييس هي الشبر والذراع والميل والفرسخ، والبريد، وقد وردت هذه المقاييس في كتابات السعدي وأحمد بابا لكن دون ذكر مقاديرها. ومن الموازين: المثقال والأوقية، ومن المكاييل المدّ والصّاع والقنطار والمودي⁽⁴⁾. وقد عمل الشيخ عثمان بن فودي على تنظيم السوق من ناحية المكاييل والموازين، وضبط أمورها لدورها في تنمية الأسواق التجارية، ولحصول العدل ومنع التطفيف في الميزان، وبيّن صفة كلاً من الوزن والكيل وبيّن طريقتهما كالآتي:

- صفة الوزن وطريقته هو: "أن ييسط الوازن جلدًا صحيحًا ليناً أملس ويوقف الميزان فوقه حتى يعتدل، فإذا اعتدل يضع فيه التبر برفق، والصنوج، ويرفع من غير تميل ولا تسنيد ولا حيلة ويرم ويهزّ ثم يسكن يده ويزيد وينقص حتى يعتدل لسان الميزان في وسط الكفة ساكنا بلا حيلة فيعطي الذي في الكفة لربه ويجمع ما تساقط ويذره في مدة أجله"⁽⁵⁾.

- صفة الكيل وطريقته تكون بـ: "أن يقعد المكيال معتدلاً ثم يصب فيه المكيل برفق حتى يمتلئ كاملاً من غير تذكير ولا تسنيد ولا زلزلة ولا حيلة، وإثماً يعدل المكيال في موضعه ويصب فيه حتى يمتلئ بطبعه"⁽⁶⁾.

(1) - مهدي آدامو، المرجع السابق، ص 301.

(2) - كلابرتون وآخرون، المرجع السابق، ص 162.

(3) - السر سيد أحمد العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكبية، المرجع السابق، ص 28.

(4) - عبد القادر زبادية: الحضارة العربية و التأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص ص 53-54.

(5) - Celeste Intartaglia, Op.cit, p 164.

(6) - عثمان بن فودي، كتاب نور الألباب، تح: إسماعيل حامت، المجلة الإفريقية، مج، 42، 1898، ص 68، ينظر أيضا:

Celeste Intartaglia, Op. cit, 164 .

ونشير أيضا إلى الدور الكبير البالغ الأهمية للتجارة في نشر اللغة العربية، فالتجارة العابرة للصحراء كانت الوسيلة المهمة لانتشارها في إفريقيا جنوب الصحراء، ومن الطبيعي كذلك أن يلتقطها التجار الأفارقة من إخوانهم العرب وينشرونها فيما بينهم، فكانت هذه التعاملات التجارية الحجر الأساس لانتشار اللغة العربية في هذا الجزء من إفريقيا، وهكذا بدأ أولئك التجار يدخلون كلمات عربية في تلك المناطق من إفريقيا، فانتشرت تلك الكلمات تدريجيا حتى توغلت في ربوع إفريقيا، واندمج بعضها في اللغات المحلية وبخاصة بعد انتشار الإسلام، ومما يؤكد هذا تلك المجموعة الهائلة من الكلمات العربية الكثيرة الموجودة في العديد من اللغات الإفريقية. كاهوسا، والفلان، والكانوري، خاصة أسماء البضائع والسلع التي كانت تأتي من بلاد المغرب⁽¹⁾.

ب- مصادر الدخل لبيت مال خلافة سكوتو الإسلامية:

تعددت مصادر الدخل لبيت مال خلافة سكوتو الإسلامية، فقد اعتمدت على مصادر تراعي نصوص الشريعة الإسلامية، وقد سهر حكامها على تنظيمها والوقوف عليها مما ساعد على ثراء الخزينة، كما عكفوا على تأليف الكتب لتوضيح شروطها وبيان وجوه توزيعها فيما يخدم مصالح الأمة، منها كتاب أصول العدل لولاية الأمور وأهل الفضل للشيخ عثمان بن فودي، وكتاب الغيث الويل في سيرة الإمام العدل للسلطان محمد بلو.

اعتمدت خلافة سكوتو الإسلامية نظام مالي محكم لإدارة مختلف الشؤون المالية للبلاد، فهو نظام دقيق مستوحى من النظم الإسلامية وفق الشريعة الإسلامية، فقد كان الشيخ عثمان بن فودي حريصا على تسيير شؤون المسلمين في كل ما يتعلق بحياتهم الدنيوية والدنيوية؛ لذلك نجده لم يغفل عن تنظيم أمورهم المالية وأوكل مهمة إدارتها إلى من هم أهل لها، من ذوي الصلاح والتقوى، وبيّن بالتفصيل كيفية تصريف هذه الأموال وفق أحكام الشريعة الإسلامية، حيث يقول يجب على من بيده شيء من مال الله أن يصرفه إلا في المصارف التي شرع الله، فمال الله الذي جعله رزقا لعباده قسمان: قسم

(1)- مصطفى حجازي السيد، أدب الهوسا الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2000، ص 31.

لأصناف معينة، وقسم يصرفه الإمام في المصالح⁽¹⁾، وعلى الأمير معرفة مصاريف هذه الأموال المرفوضة على أهلها، وتعيين العمال لجبايتها وصرفها على مستحقيها على حسب ما حدّده الشرع⁽²⁾.

ومن أنواع بيت المال التي حدّدها الشرع هي الزكاة، والخمس والفيء والخراج، والجزية، والعشر، وإرث من لا وارث له، ومال جهل صاحبه⁽³⁾، وتصرف أموال بيت مال المسلمين في مصالح عديدة؛ كأجور أجناد الإسلام، وعمارة الثغور وتحصيل السلاح، وشق الطرق وإنشاء القناطر وحفر الأنهار، ومنها أجور القضاة والولاة والعلماء والمفتين والعيون والرسل والأئمة والخطباء والمؤذنين، ومنها حق الفقراء والمساكين إلى غير ذلك مما يستدعي مصلحة الأمة⁽⁴⁾.

1- الزكاة:

فرّق الشيخ عثمان بين الزكاة ومصادر الموارد المالية الأخرى، لأنّ الزكاة مصارفها مبنية شرعاً بأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية، لذا قال الشيخ أنّه يجب على كلّ واحد أن يؤدّي زكاة ماله بتمام حوله، كما أمره النبي صلّى الله عليه وسلّم وأكد على إعطائها لمستحقيها من الفقراء، كما حذر من بدعة تأخيرها عند وجوبها إلى يوم عاشوراء، وتقديمها لأناس لا يستحقون نفقة الزكاة كتخصيصها لأحد الأقارب⁽⁵⁾، وعيّن الساعي الذي يقوم بمهمة جمع الزكاة من القبائل الفولانية وغيرها من القبائل الأخرى⁽⁶⁾، وكان يطلق عليها اسم جنقلي *junguli*، وتدفع لبيت مال المسلمين لتصرف في

(1)- عثمان بن فودي، أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، تح ثاني يوسف برنن تد، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايبو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013، ص ص 210-211

(2) -Omar Bello, The Political Thought Of Muhammad Bello (1781-1837) As Revealed In His Arabic Writings) More Especially Al-Ghayth Al-Wabl Fl Sirat Al-Imam Al Adl , Thesis submitted for the degree of Ph.D, School of Oriental and African Studies in the University of London, 1983 ,p391.

(3)- عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السابق، ص ص 195-196.

(4)- Omar Bello, Op.cit , p364.

(5)- عثمان بن فودي، إحياء السنة وإخماد البدعة، تح: أحمد عبد الله باجور، مجمع البحوث الإسلامية، ط2، 1985، ص 189.

(6)- علي بن أيوب ناجي، المرجع السابق، ص 84.

أبوابها⁽¹⁾. وأمّا أموال الضرائب المأخوذة من تجارة المسلمين من غير الزكاة فهي ليس من حق بيت مال المسلمين بل هي مكوس وفيها ظلم ولا يبيحها شرع؛ ولا يجيزها عدل⁽²⁾.

2- الفبيء والغنائم:

تعتبر الغنائم من المصادر الهامّة لأموال الدولة التي كان يحصل عليها الشّيخ وجماعته من جهادهم ضدّ الكفار، فكانوا يغنمون أموالاً كثيرة من المدن والقرى والحصون، التي يفتحونها فيقومون بتخميمها وتقسيمها على الغانمين، ومن الموارد الهامّة أيضاً الفبيء الذي يتمثّل فيما أصابه المسلمون من أموال بغير قتال⁽³⁾، كما قدّم الشّيخ بيانا لوجوه تصريف هذه الأموال وذكر أبواب صرفها في المواطن التي تجب فيها، خصوصاً وأنّ مرحلة الجهاد قد كثرت فيها الغنائم وأموال الفبيء، ومن بين هذه الأبواب سدّ المخاوف والثغور، وتوفير آلات الحرب، وإعطاء نصيب منها للمقاتلين، ثم ينتقل للقضاة والعمّال، والفقراء، والأمر يعود إلى اجتهاد الإمام ليصرفه في مصالح المسلمين وهو مسؤول عنه⁽⁴⁾ كما أكدّ على تصريف أنواع مال الله في مواضعها بما شرّع الله⁽⁵⁾.

ومن النّظم الإداريّة الهامّة في خلافة سكوتو الإسلاميّة وظيفة المحتسب، حيث أولت بها عناية خاصّة، حيث كان الحاكم يقوم بتأمير والى الحسبة، والذي يشترط فيه أن يكون حرا عدلا، ذا رأي وعلم بالمنكرات الظاهرة، ويختصّ بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، كما يقوم على أمر السّوق ومن مهامه التي يقوم بها، ما يتعلق بالبخس والتّطفيف في الكيل والأوزان، أو الغشّ أو التّدليس في البيع والأثمان، وزجر المماطل في تأخير مستحقّاته من الدّيون، كما يهتم بالمحافظة على الآداب العامّة في الأسواق والطّرقات كمنع اختلاط الرّجال مع النّساء في الأماكن العامّة⁽⁶⁾.

(1) - مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة و الإسلام و التعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار و آثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث للدراسات الإسلاميّة، ط1، الرياض، 1998، ص256.

(2) - Omar Bello, Op.cit,p364

(3) - محمد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السّابق، ص 101-154.

(4) - عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السّابق، ص195-196.

(5) - Celeste Intartaglia, Op.cit, p 160.

(6) - Omar Bello, Op.cit, p388.

3- الجزية:

تتعلّق الجزية بأهل الدّمة، حيث يفرض عليهم قدرًا من المال، يساهم به في خزينة بيت مال المسلمين ولم تغفل خلافة سكوتو الإسلامية عنها فقد حرصت كلّ الحرص على تنظيمها والاستفادة منها فكانت تدّر أموالاً كثيرة، لذلك تعتبر من المصادر الماليّة الأساسيّة حيث كانت تفرض على الوثنيين الذين بقوا على وثنيّتهم وتسمّى جانديو⁽¹⁾، ويتعين على الأمير بأن يلزم أهل ذمته بالشّروط التي حددها الشّرع، ومتى نقض الذميّ العهد بمخالفة الشّروط المأخوذة عليه، وجب على الحاكم أن يختار بين قتاله أو استرقاقه⁽²⁾، وقد عيّن مسؤولين يسعون في جمعها بمساعدة أصحاب الشّروط، وهي من الوظائف المهمّة في خلافة سكوتو الإسلامية⁽³⁾.

4- ضريبة العشور التجاريّة:

أولت خلافة سكوتو الإسلامية اهتماماً كبيراً بتنظيم التجارة، ومراقبة الصّادات والواردات، ففرضت عليها رسوماً وهي ضريبة العشر تسمّى أيضاً جنقلي *junguli*⁽⁴⁾، وقد زادت مداخيلها بسبب اتّساع رقعة الخلافة وازدهار تجارها الخارجيّة لكثرة القوافل التجاريّة.

5- الضّرائب:

كانت بلاد الهوسا تعاني من المظالم الماليّة كثيراً نتيجة ممارسات حكامها السّابقين في تحصيل الضّرائب المحققة، حيث كانوا يفرضونها بلا هوادة على النّاس، وقد انتقد الشيخ عثمان بن فودي بشدّة الطّبقة الحاكمة في بلاد الهوسا لهذه الممارسات الجائرة، نظراً لثقل الضّرائب وكثرتها بالإضافة إلى انتهاك حرمة الدّين ومخالفة الشّرع في جبايتها. وعلى إثر ذلك انتشر الظّلم بكلّ أنواعه كالرّشوة، وفرض

(1) - مهدي رزق الله أحمد، المرجع السّابق، ص256.

(2) - Omar Bello, Op.cit, pp393-396.

(3) - Sa'ad Abubakar, The Emirate-Type Of Government In The Sokoto Caliphate, Vol. 7, No. 2, J.H.S.N, 1974, P 215.

(4) - مهدي رزق الله أحمد، المرجع السّابق، ص256.

الضرائب الثقيلة، والاستيلاء على الأراضي بالقوة من أصحابها، وابتزاز أموال الفقراء، والسجن استناداً إلى اتهامات باطلة، إلى غير ذلك من المظالم⁽¹⁾.

وكان الشيخ عثمان بن فودي من أشدّ الناس دفاعاً عن الحقوق بمطالبته الحثيثة لتخفيض هذه الضرائب التي أثقلت كاهلهم، ممّا ساعد على انتشار دعوته، وقبولها وعند نجاحها وقيام خلافته عمل على إبطال تلك المظالم، وحاول إصلاح الأوضاع في وقت يسير فقام بتنظيمها وتحديد الضرائب التي أقرّها الشرع وأسقط التّحصيلات المالية غير الشرعية⁽²⁾، فكانت نظم تسيير الأموال وفق الشريعة الإسلامية، خاصة تلك التي تتعلّق بالضرائب التي عدّت من المصادر الهامة لأموال الدولة، ومن مصادر جبايتها المتعدّدة ضريبة الخراج على الأرض والتي تسمى كوردين كاسا (courdin kassa)، وهناك ضريبة على الماشية تسمى جانجالي (janjali)، وضريبة أخرى على أصحاب الصناعات الحرفية، وتتمّ جباية الضرائب مرتين خلال السنة في موسمي العيدين من السنة الهجرية، وغالباً ما تتمّ بعد فترة الحصاد بصرف النّظر عن تاريخ حلول مناسبة العيد⁽³⁾

المبحث الثالث: الاحتفالات الدّينية والعادات والتقاليد والطبقات الاجتماعية في خلافة سكوتو الإسلامية
(بلاد الهوسا)

أثّمت الحياة الاجتماعية في خلافة سكوتو الإسلامية بمظهر ديني إسلامي، تجلّى في مراعاة قواعد الإسلام، ومن أبرزها الاحتفالات الدّينية في شهر رمضان والأعياد الدّينية والمواسم الشعائرية، وهذا له انعكاس على مختلف المظاهر الاجتماعية كاللباس التقليدي مثل: العمائم والعباءة وغيرها، وله كذلك تأثير على طبقات المجتمع وهذا ما سنتعرف عليه في مظاهر الحياة الاجتماعية في خلافة سكوتو الإسلامية.

(1) - Abdul Azim Islahi, Shehu Uthman Dan Fodio and his economic ideas, Islamic Economics Institute, King Abdulaziz University, Jeddah, 2008, p6.

(2) - إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 175.

(3) - موري لاست، دولة الخلافة في سكوتو وبلاد بورنو، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، 1996، مج6، ص638.

كان لظهور هذه الخلافة أثره الكبير على الحياة الاجتماعية في بلاد الهوسا، فقد قيض لثلة من العلماء على رأسهم الشيخ عثمان بن فودي وحركته الإصلاحية أن يقوم بدور هام في الحياة السّياسية وقلب الأنظمة الوثنية وتوحيد ممالك الهوسا تحت زعامة واحدة، تتقيّد بأحكام الشريعة الإسلامية ممّا أثر على الحياة الاجتماعية، وبذلك حلّت قيم الإسلام ومبادئه محلّ العادات الوثنية والتقاليد الجاهلية، التي كانت سائدة في المنطقة رغم وجود الإسلام في بلاد الهوسا منذ قرون.

كما كان المجتمع الهوساوي قبل قيام خلافة سكوتو الإسلامية يمارس الكثير من العادات الجاهلية السيئة، وقد أشار إلى ذلك الشيخ عثمان بن فودي في كتابه الفرق بين ولاية أهل الإسلام وأهل الكفر، حيث أحصى ما يقارب ثلاثين تهمّة ضدّ حكّام الهوسا، من بينها تفشّي الفساد في السّلطة، واغتصاب الممتلكات الخاصّة بغير وجه حقّ، واختلاس المال العام، والضرائب المححفة التي لا تقرّها الشريعة، ومصادرة أملاك الموتى، ناهيك عن الحياة الفارهة التي ميزت قصور السلاطين، وإهمال مصالح الناس⁽¹⁾.

هذا وقد أشار الشيخ عثمان بن فودي في كتابه: نور الأبواب؛ أنّ العادات والتقاليد في مجتمعات الهوسا لم تكن توافق ما جاءت به الشريعة، من هنا كانت الحاجة ماسة إلى إعادة تشكيل المجتمع بما يوافق أصول ومبادئ الدين، وقد ذكر الشيخ عثمان بن فودي في كتابه مختلف المشاكل الاجتماعية التي تفشّت في بلاد الهوسا، ومن جملة ما ذكره من هذه الآفات ترك العلماء أزواجهم و بناتهم مهملة كالأنعام دون تعليم أمور دينهم، والتمسّح والتبرّك بالقبور، وبناء المساجد عليها، والذّبح عندها، وغير ذلك من البدع والخرافات، ومن البدع تخصيص أيام وليالي للصلاة والإكثار من التّوافل وإهمال الفرائض، ومن الخرافات تحصيل المغيّبات بالقرعة وعلم النجوم والاستقسام بالأزلام والذهاب إلى الكهانة والسّحرة، ومن البدع أيضاً تعظيم أعياد الكفّار مثل الحاجوج أي: الناير والعنصرة. كما انتشرت ظاهرة اختلاط النساء بالرجال في الأسواق والطّرات⁽²⁾، وعدم احتجاب المرأة ممّن يحرم عليها، وكثرة اللّهو والمجون من رقصٍ وغناءٍ، ولقد كان الخمر والاختلاط بين النساء والرجال في الأسواق والشّوارع وأماكن التّجمع أهم أسباب اختلال التّوازن في المجتمع، إضافة إلى الحرية المطلقة للنساء وهو

(1) - عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السّابق، ص 188-199.

(2) - عثمان بن فودي، نور الأبواب، المصدر السّابق، ص 65-66.

ما أطلق عليه الشيخ عثمان بن فودي اسم جونودودو⁽¹⁾.
ومما شاع أيضاً في الأسواق الغش في البيوع، مثل خلط اللبن بالماء، والتطيف في الميزان بالزيادة والتقصان، وعدم تساوي المكايل في بلاد الهوسا، كما انتشرت عادات عدم التوارث، وأخذ كل ذي حق حقه، فقد كان الأخ الأكبر هو صاحب الميراث، فإذا مات استولى عليه الأقوى فيما بعد، ومن الظواهر المشينة التي تفتت المبالغة في التعظيم ومطلق الانحناء عند التحية، إلى غير ذلك من البدع والعادات السيئة⁽²⁾.

وبالرغم من هذه العادات السيئة المنتشرة في بلاد الهوسا، إلا أن الشيخ عثمان بن فودي استطاع أن يساهم في إصلاح هذا المجتمع، وأن يعمل جاهداً على محاربة هذه البدع والعادات التي تتنافى مع الشريعة الإسلامية، حتى أصبحت المظاهر الإسلامية تكتسي خلافة سكوتو الإسلامية شيئاً فشيئاً إلى غاية القضاء التام على كل تلك العادات السيئة، فأصبح سكان خلافة سكوتو الإسلامية يولون عناية كبيرة بالشعائر الإسلامية؛ والاحتفالات الدينية.

1 - الشعائر الإسلامية:

أ- عيد الفطر وعيد الأضحى:

تعتبر صلاة العيدين من أهم الشعائر الدينية التي يجتمع فيها المسلمون، لذا حرص الشيخ على تأديتها كما وجب الشرع، وأزال كل ما تعلق بها من بدع أحدثها الناس في زمانه⁽³⁾، حتى أن الشيخ كان يقيمها وهو في حالة الحرب مع ملوك الهوسا⁽⁴⁾، وتقام الصلاة في صعيد خارج المدن والقرى، وفي

(1) -Mukhtar Umar Bunza , The sokoto caliphate after 200 years : A Reflection, Being a paper presented at the ulam'conference on the bieentenary commemoration of the sokoto caliphate helde at attahiru bafarawa institute for qur'an and general studies, sokoto, 23-24 july 2004, p 6.

(2) - عثمان بن فودي، نور الأبواب، المصدر السابق، ص ص 64-69.

(3) - عثمان بن فودي، إحياء السنة وإخماد البدعة، المصدر السابق، ص ص 167-171.

(4) - محمد بلو، إنفاق المسور، المصدر السابق، ص ص 72-103.

بعض المدن تجتمع وفود كثيرة من أهالي المدن الصّغيرة والقرى المجاورة في مواكب خلف أمرائهم ورؤسائهم؛ لحضور الصّلاة وتزيّن المواكب في العيدين، التي تجوب الشّوارع الرئيسيّة على الخيول المزركشة مع قرع الطبول كما تعمّ مظاهر البهجة التي تصاحبها أصوات التّكبير والتّحميد والتّهليل⁽¹⁾.

ب- المولد النّبوي الشّريف:

كانت الاحتفالات بالمولد النّبوي الشّريف تأخذ طابعاً فريداً وخاصّةً في المدن، حيث يخرجون ليلة المولد النّبوي الشّريف إلى الشّوارع، ويمدحون الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم بشكل جماعي؛ ويضربون الطبول ويزينون المساجد؛ ويخرج النّاس رجالاً ونساءً، ومعهم حرائرهم وإمّاؤهم يرتدون ألبسة الملابس؛ وتقام حلقات المديح في الجوامع؛ والمساجد؛ والرّباطات؛ والزوايا؛ والسّاحات العامّة؛ وتبدأ الاحتفالات بذكر مولد النّبوي صلّى الله عليه وسلّم من يوم السّابع والعشرين من شهر صفر في مساجد وزوايا بلاد الهوسا، وتستمرّ الاحتفالات إلى الثّلاث الأخير من اللّيل.

وكانت هناك مناسبات أخرى، مثل الاحتفال بأوّل يوم السنّة الهجرية، وعاشوراء، وختم القرآن، وكذلك الاحتفال بمرور أربعين يوماً على وفاة العلماء إلى غير ذلك من الاحتفالات والعيادات التي كانت سائدة في مجتمع خلافة سكوتو الإسلاميّة.

ج- شهر رمضان:

شهر رمضان من الشّعائر الدّينية المفروضة على المسلمين، وكان الاستعداد لها في هذه البلاد بالغاً في الأهميّة حيث يقول الشّيخ عثمان بن فودي: "أنّه ينبغي إذا دخل الشهر الكريم أن يكرّم ويعظّم ويحترم الاحترام اللاّئق باتّباع السنّة، فهو موسم الخيرات والبركات"⁽²⁾، فنجد الجموع تترقّب خارج المدن رؤية الهلال؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "صوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيته فإن غمّ عليكم فأكملوا

(1)- السيّد مصطفى حجازي، أدب الهوسا الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، الرياض، هـ-1419، ص 24.

(2)- عثمان بن فودي، إحياء السنّة، المصدر السّابق، ص 204.

عدة شعبان ثلاثون⁽¹⁾، وينتظر الأمراء أخبار الرّؤية من أيّ مكان ليعلنوا بدء الصّيام، ويهتّون بعضهم البعض بحلول الشّهر المبارك، فتعقد مجالس التّفسير في قصور الأمراء، وبيوت الأعيان، وفي المساجد، والحارات، وساحات القرى الصّغيرة، ويجتهدون في قراءة القرآن طيلة الشهر، ويستمعون إلى تفسيره بلغاتهم المحليّة⁽²⁾.

2- العادات والتقاليد:

كانت لمجتمعات السّودان الغربي عادات وتقاليد كثيرة ومتنوعة، منها ما هو موروث عن الأجداد والأسلاف، ومنها ما جاء عن طريق التّأثيرات بعادات وتقاليد من البلاد المجاورة، مثل بلاد المغرب الإسلامي، حيث اختلطت وامتزجت، وظهر تأثيرها في الحياة اليومية لسكّان هذه البلاد، ومن أبرز هذه المظاهر:

أ- اللباس:

شهدت الملابس تطوّراً ملموساً منذ بدايات اتّصال السّودان الغربي بالحضارة الإسلامية، فالأثر الدّيني واضح في طريقة اللباس الإسلامي في السّودان الغربي بل يصحّ القول أنّه كان أكثر وضوحاً، وكانت فيه تّأثيرات بلاد المغرب الإسلامي أكثر جلاءً وهذا أمر طبيعي؛ لأنّ الإسلام دخل هذه البلد وحمل معه إلى غرب إفريقية تقاليد المغرب الإسلامي وثقافته. ويذكر القلقشندي: "أنّهم يرتدون عمائم بحنك مثل المغرب، وملبسهم شبيه بلبس المغاربة، جلباب ودراريع، بلا تفرّيج، وهم في ركوبهم كأنّهم العرب"⁽³⁾، وكانوا يرتدون لباساً حسناً، ويتلثمون بلثام أبيض⁽⁴⁾.

(1)- أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط1، دار بن كثير، بيروت، 2002، كتاب الصوم، رقم الحديث، 1909، ص 460.

(2)- مصطفى حجازي السيد، المرجع السّابق، ص 24.

(3)- القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص 281.

(4)- حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، 1983، ص 583.

ومن المظاهر الإسلاميّة لبس العمامة فهي تاج الإسلام الذي يعبر عن عظمة الرّجل المسلم ويروي بوكارت Burckhardt أنّ تغطية الرّأس يعتبر نوعاً من الرّهبة الدّينيّة، وأنّ لبس العمامة يبقى تقليداً عربياً بدويّاً قديماً⁽¹⁾، وقد كانت العمامة أهم علامة مميزة لأتباع الشّيخ عثمان بن فودي، فطلب من الملك باوا أن يوقر كلّ من يرتدي العمامة، أمّا الحجاب فهو ستر للمرأة المسلمة وقد ذكر الشّيخ بهذا الأمر، ونّبّه عليه وحذر من سفور المرأة، وغير ذلك من المظاهر الفاسدة.

ب- الزّواج :

من العادات القبليّة المنتشرة في غرب إفريقيّة تعدّد الزّوجات، فحرّيّة الرّجل في تعدّد الزّوجات لا تخضع من الناحية النظرية لأي قيد، فهناك مثلاً شيوخ القبائل، والأمراء من له العدد الغفير من النساء، ومن الناحية العمليّة فإن انتشار الإسلام قد فصل في الأمر وجعلها أربع زوجات، واشترط العدل بينهن، ومع ازدياد نفوذ الإسلام ازداد التّوجه نحو الالتزام بالعدد المقرّر شرعاً، ورغم ذلك فإنّ البعض يحتالون في الزيادة⁽²⁾، وكان الشّيخ يقول بفتوى شيخه جبريل بن عمر بتكفير أهل البلاد السّودانية في الزيادة أكثر من أربع نساء⁽³⁾، ويبيّن الشّيخ أنّ من تزوّج فليتزوّج مثنى وثلاث ورباع فلا يزد على ذلك، ومن لم يستطع فواحدة، وليعدل بين نساءه، وعليه التّفقه والسّكنى بقدر استطاعته، ولا قسم في المبيت لأمتة، ولا لأمّ ولده⁽⁴⁾، ومن الأعمال المهمّة الّتي قام بها الشّيخ أنه قضى على العوائد الذّميّة مثل عدم توريث الزّوجة وغيرها من النّساء وبّين وجه الشّرّع فيه⁽⁵⁾.

(1) -Titus Burckhardt, Art Of Islam, Language And Meaning,World Wisdom, 2009, p102.

(2) - محمود سلام زناقي، الإسلام والتقاليد القبليّة في افريقيّة، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1969، ص ص 90-91.

(3) - M. Hiskett, An Islamic Tradition of Reform in the Western Sudan from the Sixteenth to the Eighteenth Century, Vol. 25, No. 1/3, B.S.O.A.S, University of London, 1962, p 58 9.

(4) - محمد بلوّ، إنفاق الميسور، المصدر السّابق، 84.

(5) - M. Hiskett, An Islamic Tradition, Op.cit, p 589

ويعتبر الإسلام شرطاً أساسياً في الزواج بين المسلمين في خلافة سكوتو الإسلاميّة، وفي الحالات التي يرغب فيها رجل مسلم الزواج من امرأة وثنية أو العكس، فعليهما أن يعتنقا الإسلام، فالوثنية تعتبر مانعاً للزواج، وفي حالة القبول بالإسلام فإن هذا الزواج يلقي تشجيعاً باعتباره وسيلة من وسائل الدعوة إلى الإسلام⁽¹⁾، ومن العادات الإسلاميّة أيضاً التي سادت في مجتمع سكوتو تسمية المولود في اليوم السابع وسط حفل كبير يذبح فيه والد الطفل خروفاً أو ثوراً، كما جرت العادة على تسمية الطفل باسم أحد الأنبياء أو الصحابة⁽²⁾. وعليه فالجتمّع الذي أقامه الشيخ عثمان بن فودي التزم بتطبيق الشريعة خصوصاً في مسائل الزواج، والطلاق وتعدّد الزوجات، والاحتفالات الدينية الكبرى⁽³⁾.

ومن خلال ما سبق، يمكن القول أنّ دعوة العلماء في خلافة سكوتو الإسلاميّة وعلى رأسهم الشيخ عثمان بن فودي كانت حريصة على تنقية الإسلام من شوائب البدع والخرافات والتقاليد البالية الموروثة من عادات القبائل الوثنية في بلاد الهوسا.

ج- الاهتمام بالمرأة:

كانت المرأة الوثنية في غرب إفريقيا عبداً للرجل، وفي المقابل كانت تمارس حرّيتها بأشكال مختلفة لكنّها بعيدة عن الأخلاق والقيم، فالوثنية لا تتقيّد بالقواعد الاجتماعيّة، بالإضافة إلى اعتبار المرأة سلعة رائجة وثروة يجب الاستفادة منها⁽⁴⁾، وبانتشار الإسلام بدأت مظاهر تتجلى في كامل إفريقيا الغربية، إذ شرف المرأة ورفع من قدرها بتحسين أوضاعها، فبلغت حظوة اجتماعية، ونالت احتراماً كبيراً من خلال الابتعاد عن العادات التقليديّة السيئة، التي تجعل المرأة مجرد سلعة يتاجر بها، إنّ الدين الإسلامي الذي

(1)- محمود سلام زناتي، المرجع السابق، ص 46.

(2)- محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص 212.

(3)- نفسه، ص 212.

(4)- قدام نعيم، التأثير العربي الإسلامي في مجتمع إفريقيا الغربية، المعرفة، ع 14، سوريا، 1963، ص 50، وينظر أيضاً:

اعترف بشخصيتها واستنكر الانحراف، مثل تعدد الزوجات الذي بدأ يختفي تحت تأثير التعليم⁽¹⁾. ويقول جون بول رو (Jon Poul Ro): " لقد شذب الإسلام الكثير من العادات التي تعيش عليها المرأة الوثنية، ويبدو أن التنظيم الإسلامي لحياة المرأة الإفريقية قد اتسم بشيء من النظام الأخلاقي المتناسك إذا ما قورن بالمظاهر الوثنية الخلاعية"⁽²⁾.

د- الجنائز ودفن الموتى:

كثيراً ما كانت الجنائز، ودفن الموتى تشوبها البدع عند شعوب غرب إفريقيا، والخرافات من عادات وتقاليد الأسلاف التي بقيت حتى بعد انتشار الإسلام، وقد نهض الشيخ عثمان بن فودي ونبذ هذه العادات و التقاليد التي انتشرت في عهده وما كان فيها من مخالفة في الدين كالصيحة والبكاء عند إخراج الميت، وتعيين ناحية يبدأ منها حمل النعش، وبدعة الحلب بالميت لأنه إضرار به وبالمشييعين⁽³⁾. ومن البدع أيضا تشييع الميت إلى القبر بقراءة القرآن إلى غير ذلك من البدع التي أحدثها الناس مخالفة للشّرع، فكان الشيخ عثمان بن فودي أتباعه من العلماء لها بالمرصاد، وبيّن للناس طريقة الجنائز وكيفية دفن الموتى، وحرص الشيخ على بياها من الشّرع، وسنة الهادي محمد عليه الصلاة والسلام من تلقين الشّهادة للميت وتغسيله وتكفينه والصلاة عليه والإسراع بدفنه، وجعل قبره مستمّا⁽⁴⁾، مع إقامة واجب تعزية أهله ومواساتهم⁽⁵⁾.

وقد عاش في منطقة بلاد الهوسا نتيجة لموقعها الهام خليط من الأجناس من فصائل عرقية متباينة، إضافة إلى الهجرات التي وفدت من مختلف مناطق السودان الغربي، لذا نجد تركيبة المجتمع في مختلف

(1)- قدام نعيم ، حضارة الإسلام و حضارة أوربا في افريقيا الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د ت.، ص 186.

(2)- نفسه، ص 181.

(3)- عثمان بن فودي، إحياء السنة، المصدر السابق، ص 119.

(4)- قال بن حجر مسنما أي مرتفعا، فتح الباري لشرح البخاري، ج3، باب الجنائز، ص 499.

(5)- عثمان بن فودي، إحياء السنة، المصدر السابق، ص 120-128.

إمارات الخلافة تتكوّن من طبقة الأحرار، ويرجع أصلهم إلى قبائل الفلّان والهوسا وينقسمون إلى مسلمين ووثنيين، والطبقة الأخرى العبيد من أسرى الحروب⁽¹⁾.

عاش المجتمع الجديد في خلافة سكوتو الإسلامية في ظلّ قوانين وأطر قويّة تقومها الشريعة الإسلامية التي سهر على تطبيقها الحكّام والأمرء المسؤولين في مختلف إمارات الخلافة ويذكر صاحب كتاب تقييد الأخبار في تاريخ مدينة كانو في وصفه للأحوال في عهد السلطان محمد بلو بن الشيخ عثمان، بأن أمير كانو إبراهيم دابو أقام العدل، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحارب البغاة وقطّاع الطرق، وقطع أيدي السّراق حتّى أن النّاس كانوا لا يغلقون أبوابهم ليلاً، كما هدم بيوت الدعارة، فاستتب الأمن، والأنعام ترعى دون راع إلا في موسم الأمطار، وقد يسّر الله السبيل عهده فتسير الفتاة من كوكاوا ميدوغرى الحالية إلى كوارا إلورن من دون أن تتعرّض لأيّ أذى⁽²⁾.

المبحث الرابع: الحياة الثقافية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا):

لعلّ الوقوف على الحالة الثقافية عموماً سيبيّن مدى رسوخ مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة، وقد كان اتّصال المسلمين في خلافة سكوتو بمصر وشمال إفريقيا من أجل التّعليم اتّصالاً قوياً حتّى صارت هذه البلاد تضاهي تلك البلاد في العقيدة والمذهب ومنهج الحياة والتّعليم، إذ كان الطلاب يرحلون إلى القيروان، وفاس، وطرابلس، كما كانت وجهتهم نحو الأزهر الشّريف بكثرة، ويلتقوا بعلماء الإسلام في تلك الأمصار، كما كانت لشعيرة الحجّ أثراً للتّعلم والتّقرب من العلماء والتّفقه في أمور الدّين⁽³⁾، باعتبار أنّ الحجّ فريضة سنوية، فقد كان عدد كبير من الأفارقة يحجّون ويمرّون على مسالك

(1) - M.G.Smith، Government In Zazzau 1950-1800، International African Institute، Oxford University Press، London، 1960، pp80.

(2) - محمد بن صالح، تقييد أخبار جماعة الشيخ الذين بكنو، ميكروفيلم علي أبو بكر، برنين كيدي، جامعة إبادان، 1963، ص 177-178.

(3) - الألوري آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، دار الكتاب المصري، 2014، ص73.

محدّدة عبر غدامس وسبها وطرابلس ثمّ الشريط الساحلي إلى مصر أين يلتقي الحجاج وطلاب العلم بعلماء الأزهر الشريف فكثير منهم كان يبقى للاستفادة من العلوم ثمّ بعدها يكمل رحلته في الموسم القادم إلى البقاع المقدّسة، وأحيانا أثناء عودة الحجاج يلازم طلاب العلم البقاء في حاضرة الأزهر الشريف بالقاهرة، ولهذا أشار عدد كبير من الرّحالة العرب إلى الرّواق الإفريقي فيما سواه كطرابلس ومكة والمدينة.

كان كثير من علماء المنطقة يحجّون برّاً، ويرجعون بكتب إسلامية مفيدة ومنهم من التقى في الحج بكبار علماء العالم الإسلامي، حيث استفادوا وأفادوا، ومنهم من نال إجازات في عدّة علوم، ومنهم من اعترفوا بعلمه أمثال الشيخ جبريل بن عمر أستاذ عثمان بن فودي وأخيه عبد الله بن فودي⁽¹⁾.

1- تطور الحياة العلمية والثقافية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا):

انتشر التّعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا عموماً وفي بلاد الهوسا خصوصاً، وأصبح تعليم اللّغة العربية مفتاحاً للعلم والمعرفة والمكانة، وذلك لارتباط الإسلام باللّغة العربية لغة القرآن، وفي هذا الصدد يقول توماس أرنولد: "وقد بلغت اللّغة العربية لغة الديانة الإسلامية حداً يفوق كل الوصف من الغنى والجمال، بل إنّها أصبحت لغة التخاطب، وهي إلى ذلك لغة شريعة وقانون مكتوبة، وهذا تقدم هائل في الحضارة الإفريقية"⁽²⁾.

وقد انتشرت اللّغة العربية انتشاراً واسعاً، منذ القرن الرابع عشر الميلادي بمساهمة العلماء والفقهاء الذين هاجروا إلى بلاد الهوسا من مدينتي جني وتمبكتو، واستقر عدد منهم في كانو وكاتسينا، وأخذوا

(1) - موسى محمد نور الدين، عبد الله بن فودي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، دراسة عن مجهوداته الجبارة خلال تفاسيره الثلاثة: ضياء التأويل في معاني التنزيل، كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، نيل السؤل من تفاسير الرسول، إشراف: وراق أحمد محمد عبد الرحمن رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2002، ص 51.

(2) - توماس أرنولد، الدّعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957، ص398.

يعلّمون النّاس دينهم الإسلامي⁽¹⁾، وأصبح منهم مدرسون وقضاة وأئمة ودعاة ولما ازداد نفوذ هؤلاء العلماء خاصّة في إمارة غوبر (Gober) ، تصدى لهم حاكمها وحاول قمع أي عمل إصلاحية في إمارته، ممّا دعا أبناء الفولاني إلى إعلان الجهاد ضد إمارات الهوسا بقيادة الشيخ عثمان بن فودي عندما أصدر ما عرف بوثيقة أهل السودان عام (1219 هـ / 1804م)⁽²⁾.

وخلال القرن التاسع عشر ميلادي، كان لخلافة سكوتو الإسلاميّة دور هامّ في حركة التّأليف، حيث دعا عثمان بن فودي إلى الاهتمام باللّغة العربيّة، وتعلّمها وإتقانها⁽³⁾، وساهمت عملية التّدوين في نقل مختلف العلوم، والمعارف وترجمتها من اللّغة العربيّة إلى اللّغات المحليّة، في شكل منظومات مقفّاة، وهذا ساهم أيضا في دفع نشاط الحركة العلميّة وازدهارها، وقد نتج عن هذا التّشاطر ظهور نسخ من القرآن الكريم باللّغات المحليّة الكانورية والهوساوية والفولانيّة، هذا إلى جانب إنتاجات العلماء والأدباء في مختلف العلوم بهذه اللّغات⁽⁴⁾.

وكانت إلى جانب عملية النّقل والترجمة عملية التّأليف وقرض الشّعْر باللّغات المحليّة الهوسوية والفولانيّة مباشرة، وكان قادة الخلافة السّكوتية تارة يكتبون بالهوسا وتارة بالفولانيّة، حسب ما تقتضيه الظروف وبالعكس من ذلك فقد نقلت أسماء بنت الشّيح عثمان العديد من المنظومات من العجمية إلى العربيّة⁽⁵⁾، ولم يكن ذلك يقتصر على بلاد الهوسا فقط فشعوب غرب إفريقيا التي تشبّعت الثقافة العربيّة والإسلامية وصلت إليها الأساليب العربيّة في التّعبير، وازدادت تلك اللّغات غنى في مفرداتها، وتمّذبت تعابيرها وتحسّنت، وبالتالي تأثّر الإنتاج الأدبي لهذه الشّعوب من شعرٍ ونثرٍ، ومن ثمّ نشطت حركة التّأليف في شتى فنون العلوم كالفقه والتّفسير والحديث والأدب والشّعْر والتّصوف والتّاريخ والطّب

(1) - إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السّابق، ص أ.

(2) - كاني أحمد، ملامح من الجهاد في غرب إفريقيا، نشر الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987، ص 84.

(3) - علي كلطخ ديالو، الثقافة الإسلاميّة في إفريقيا، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف الشّؤون الإسلاميّة، الرباط، العدد 266، 1987، ص 28-29.

(4) - محمد مي أبوبكر، المرجع السّابق، ص 5.

(5) - محمد الأمين منغا، كتاب تعريفي عن تاريخ الهوسا، المرجع السّابق، ص 26-27.

والفلك...⁽¹⁾. وظلت اللغة الفلانية على هذه الحالة تكتب بالخط العربي ردحاً من الزمن حتى جاء الاستعمار الأوربي، واستطاع بسياسته أن يقطع هذه الصلة ويستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية⁽²⁾.

إن ميادين التأثر بالثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا كثيرة ومتعددة، وأكثرها وضوحاً وجلاء هو ميدان التعليم والمناهج وطرق التدريس⁽³⁾، والكتب المقررة، والإجازات العلمية في مدارس غرب إفريقيا ومراكزها العلمية لا تختلف عن ما هو عليه في مدارس شمال الصحراء الكبرى كفزان وغدامس وطرابلس وتوات وتلمسان والقيروان ومراكش وفاس⁽⁴⁾.

وقد قام الشيخ عثمان بن فودي بترجمة مختصر الأخصري في العبادات إلى اللغة الفلانية، ونظم قصائد كثيرة في الفقه والتصوف والسيرة والأخلاق بالفلانية والهوساوية، كما قام أخوه عبد الله بالعمل نفسه؛ حيث ترجم أجزاء من مقامات الحريري إلى اللغة الفلانية، وترجم أجزاء من كتابه ضياء التأويل في التفسير إلى الفلانية⁽⁵⁾.

وأهم ما يميز الكتابات العربية في الخلافة السكوتية أنها جاءت لغرض خدمة الدين الإسلامي ولصالح حركة الدعوة، والجهاد، وتنقيف المجتمع، ومن مميزات أيضاً أن أصحابها كانوا حريصين أن لا تحيد كتاباتهم عن السنة النبوية، وكانت اللغة العربية سلاحهم لفهم القرآن الكريم، والعلوم الشرعية، كما أن أشعارهم تحمل أغراضاً هادفة، فقد سجلت حروبهم، ومعاركهم، وكثيراً ما تستعمل لأغراض

(1) - علي كلطغ ديالو، المرجع السابق، ص27.

(2) - دياب أحمد إبراهيم، اللغة العربية في اللغات الإفريقية الخلفية التاريخية، الملتقى العربي الإفريقي حول العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى، السنغال، 1984، ص 108.

(3) - ينظر طرق التدريس في غرب إفريقيا علي كلطغ ديالو، المرجع السابق، ص24-26.

(4) - نفسه، ص24.

(5) - نفسه، ص29.

الوعظ والإرشاد، ومنها ما هو لغرض شحذ المهتم، ومن أغراضها أيضاً استخدامها في الحرب النفسية بيث الرعب والخوف في قلوب الأعداء⁽¹⁾.

ومن مظاهر رسوخ الثقافة العربية الإسلامية، هو الانتشار الكبير للغة العربية، ولم يكن للعامل الديني وحده كافياً لتحليل انتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا، بل إن هذا الانتشار الكبير يرجع إلى عدة عوامل. هذه العوامل المهمة بل والأساسية في انتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا العامل الحضاري، حيث يقول علماء اللغة أنه عند التقاء لغتين، إحداهما ذات تراث حضاري متفوق، والأخرى حظها من ذلك التراث قليل، فينتهي الأمر بتفوق اللغة الأولى، وهكذا حصل مع اللغة العربية حين تمازجت معها اللغات الإفريقية الأخرى، فلم تستطع هذه الأخيرة أن تصمد أمامها، فخضعت لها خضوعاً تاماً⁽²⁾.

ومن العوامل أيضاً التي أدت إلى انتشار اللغة العربية عدم جواز قراءة القرآن وكتابته بغير اللغة التي نزل بها، فضلاً عن عدم جواز القراءة بغير العربية في الصلوات⁽³⁾، فكان الدّاخل في الإسلام يتعلّم شيئاً من القرآن، ثم يتّجه لتعلّم اللغة العربية ليتفقه في الدين، ويتدبّر أسرار القرآن الكريم، و يرجع البعض انتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا إلى القرابة التي توجد بينها وبين اللغات السامية الأخرى في كثير من المظاهر الصوتية واللفظية والتحويلية، زيادة على ذلك أن هناك إجماعاً بين علماء اللغات على التشابه بين اللغات السامية والحامية⁽⁴⁾.

ومن ملامح تأثير ازدهار الثقافة العربية التأسسي بالأسماء العربية مثل: محمد، الأمين، أبوبكر، عثمان، فاطمة، أسماء... إلخ مع تحريف جزئي مما يتلاءم مع النطق الإفريقي فأصبح محمد مامادو ومامادي، وفاطمة فاطمو وفاتنا، وكذلك خديجة أصبحت كادينا وكاجنو وكاجا... إلخ⁽⁵⁾. كما تتشابه أيضاً في

(1)- محمد الأمين منغا، اللغة العربية و اللغات الإفريقية الأخرى، المرجع السابق، ص 18.

(2)- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 49 - 50.

(3)- هلال عمار، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، 1988، ص 57.

(4)- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 49.

(5)- أحمد يوسف القرعي، الثقافة الإسلامية واللغة العربية في إفريقيا واقع و مستقبل، مجلة الفيصل، ع42، الرياض، 1980، ص

الكثير من المفردات للتأثير الحضاري، ومن الأمثلة على ذلك اقترانها لألفاظ ومفردات متعلقة بالدين الإسلامي، منها الصلاة، والوضوء، والإيمان، والإمام، والمأموم، والتي منها والزكاة والصدقة، وكلها تنطق مثل العربية مع بعض التحريف في نطقها بلسان الهوسا، بالإضافة إلى الألفاظ الأخرى التي تعبر عن الحضارة، والثقافة، والصناعة، والأدوات، والمعاملات التجارية⁽¹⁾

كما أن الكثير من التعبيرات والآيات القرآنية تمازجت مع اللغات المحلية للمسلمين حتى أصبحت جزءاً من هذه اللغات واللهجات، مما يؤكد قوة التلازم والترابط بين اللغة العربية وبين الإسلام الذي أغناها بأسلوب آياته وإعجاز كلماته فاغتنت وأغنت⁽²⁾، وهنا تدخل مسألة التأثير والتأثر، كما أن اللغة العربية تستطيع التطور واستيعاب ما تسرب إليها من اللغات واللهجات التي اختلطت معها⁽³⁾، واللغات في بلاد السودان متباينة تسمى إحداها السنغاي وتستعمل في عدة نواح، كولاته، وتمبكتو وجني وغاوا، ووانغارة بينما تدعى لغة أخرى كوبر وتستعمل في بلاد غوبر وكانو وكاتسينا وزكرك، وهناك لغة في بورنو تشبه المستعملة في كاوكاو وأخرى بقيت مستعملة في مملكة التوبة تختلط فيها العربية؛ والسريانية؛ والقبطية⁽⁴⁾، بالإضافة إلى اللغات الشائعة للقبائل الكبيرة كالهوسا؛ والفلان؛ واليوربا، إلى غير ذلك من اللغات الكثيرة التي قدرها بعض الدارسين بين 700 و1000 لهجة⁽⁵⁾.

وبلاد الهوسا التي وصلها الإسلام من جهة الغرب بفضل الدعاة الماندينغ؛ والفلان؛ والعرب من شمال إفريقيا، ومن الشرق دعاة مملكة كانم بورنو، قد ظهرت بها مراكز إشعاع حضاري مثل كانو وكاتسينا وزاريا، وقد شهدت الفترة من القرن الرابع عشر ميلادي حتى بداية القرن التاسع عشر ميلادي بروز طائفة من العلماء المحليين، الذين برعوا في مختلف فنون العلوم الإسلامية، من أمثال مرينا

(1) - أبو بكر، محمد الثاني، الأثر الحضاري والثقافي للغة العربية على لغة الهوسا نيجيريا نموذجاً، مجلة الجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، مج 6، ع 12، 2010، ص ص 84-85.

(2) - الكيالي سامي، آثار لغة القرآن في لغة المسلمين العجم، اللسان العربي، المغرب، مج 7، ع 1، 1970، ص 135.

(3) - مسعود بوبو، من تاريخ انتشار اللغة العربية في الآفاق، مجلة دراسات تاريخية، ع 63-64، جامعة دمشق، سوريا، 1998، ص 6.

(4) - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 39.

(5) - الحاج سيلا، دور اللغة العربية في العلاقات الإفريقية العربية، الملتقى العربي الإفريقي حول العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى، السنغال، 1984، ص 97.

ودان مسنا في كاتسينا، وعبد الله سيكا (ثقة) في كانو، وجبريل بن عمر في أغاديس، وازدهرت الثقافة والعلوم الإسلامية ازدهاراً كبيراً خلال حركة الجهاد التي قادها عثمان بن فودي في بلاد الهوسا⁽¹⁾، وقد اشتهرت بلاد الهوسا بكثرة العلماء، سواء من العلماء المحليين، أو من العلماء الوافدين⁽²⁾، مع غزارة إنتاجهم فقد ذكر عبد الله بن فودي في كتابه إيداع التسوخ حوالي خمسة عشر عالماً تتلمذ على يدهم من داخل بلاد الهوسا وخارجها، ويختم بقوله: "... الشيوخ الذين أخذت العلم عنهم لا أحصيهم الآن ولكن هؤلاء مشاهيرهم."⁽³⁾، وقد ترك أفراد الأسرة الفودية (الشيخ عثمان وأخوه عبد الله وابنه محمد بلو والمنحدرين منهم) وحدثهم ما يصل إلى 723⁽⁴⁾ عملاً باللغة العربية، وغيرها ما بين شعر ونثر.

ولقد مسّت هذه الأعمال الكثير من فنون العلوم الإسلامية، وبعضها تناول القضايا الاجتماعية ومنهم من كتب في الطب مثل: محمد بلو أمّا الكتابات في اللغة العربية فقد نالت نصيباً وحقاً وافرين من ذلك ما كتبه الشيخ عبد الله بن فودي من نظم في النحو ومنظومته البحر المحيط التي اعتبرت أكبر منظومة من نوعها في تاريخ الأدب العربي، وله منظومة أخرى: الحصن الرّصين في حسن التصريف تتكوّن من 1036 بيت⁽⁵⁾، وله منظومة مختصرة في النحو سمّاها: لمع البرق وإلى جانب هذه المنظومات في النحو والصّرف، له أيضا منظومة مشهورة في علم العروض في 230 بيت سمّاها فتح اللّطيف الوافي في علمي العروض والقوافي.

ويمكن القول أنّ التّأليف نثراً كان أم شعراً كان أكثر دلالة على كثرة الفئات المثقفة في خلافة سكوتو الإسلامية حكّاماً ورعية، حيث تجاوزت هذه الأخيرة مع جميع الأحداث بمختلف جوانبها سلّياً أو إيجاباً فلا تخلو مناسبة أو حادثة من قصائد أو أبيات شعرية قيلت فيها.

(1)- محمد الأمين منغا، اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى، المرجع السابق، ص 13-14.

(2)- M. Hiskett, Op.cit, p558.

(3)-Ibid, p 558.

(4)- أعمال الأسرة الفودية أحصيت من القوائم الواردة في:

John O. Hunwick, Arabic Literature of Africa, The writings of central Sudanic Africa, Vol.2, Volume 13 .

(5)- عمر أحمد سعيد، جهود الشيخ عبد الله بن فودي التعليمية في نظم العلوم العربية والإسلامية، ع33، دراسات إفريقية، ص 86.

إضافة إلى ما سبق، فإنّ ظروف الحياة العامّة في خلافة سكوتو الإسلامية كان لها الأثر الكبير في بلورة شخصيات الخلفاء ومن دار في فلکهم من الوزراء والأعيان والقواد وغيرهم؛ إذ تربي في نفوسهم حبّ العلم والمعرفة، واحترام العلماء وتقريبهم إليهم، وبما سجّلت دولتهم إسهامات كثيرة في الحضارة الإسلامية العربية والإفريقية بل في تراث الإنسانية ككل.

خلاصة الفصل:

وفي نهاية الفصل الأوّل الذي تعرّضنا فيه للحياة السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، يمكن القول بأن خلافة سكوتو الإسلامية كانت مرجعيتها الدّينية من النّاحية السّياسية تقوم على مرجعية الخلافة الإسلامية في الحكم التي أدّت إلى القضاء على الاضطرابات الداخليّة بفضل عدل حكامها وهذا ما أدّى إلى تحكّمها في مساحة شاسعة تسكنها العديد من القبائل المتعددة الأعراق والعادات واللّغات، ونجاح استمراريتها في بلاد الهوسا ما يزيد عن قرن ميلادي سادها الأمن والاستقرار، والازدهار.

فانعكس هذا الاستقرار على الحياة الاقتصادية بمختلف أنشطتها كالزّراعة، والتي تعتبر نشاطاً أساسياً في خلافة سكوتو الإسلامية لوفرة الأراضي الزراعيّة ومياه السقي، فضلا عن توفر اليد العاملة المتمثلة في العبيد، ممّا سمح بتسجيل فائض في الإنتاج التّباقي والحيواني. أمّا النّشاط الصناعي فيعتبر أيضا من بين القطاعات الهامة التي تمس شريحة كبيرة من المجتمع، حيث كان له أيضا اهتمام كبير من طرف حكام خلافة سكوتو الإسلامية.

كما كانت التّجارة مصدر القوّة الماليّة، وبالتالي مصدر القوّة السّياسية والعسكرية فكانت القوافل التّجارية تحطّ مختلف سلعها قادمة من الشّمال من بلاد المغرب، وبفضلها أصبح اقتصاد خلافة سكوتو الإسلامية يعرف انتعاشاً ونموّاً سواء فيما يخصّ التّجارة الداخليّة بين مناطق الدّولة، أو الخارجيّة بين الشّعوب المجاورة، أو البلدان البعيدة في الشّمال الإفريقي كطرابلس وغدامس وتونس وتلمسان وإقليم توات بالجنوب الجزائري.

وبالنّسبة للسّياسة الماليّة لخلافة سكوتو الإسلامية، فقد استقتتها من النّظم الإسلامية وأقرّها الحکام وفق ما تمليه الشّريعة الإسلامية، حيث سهروا على تطبيقها بالحزم وأوقفوا عليها من يختصّ بها. وقد

تعدّدت المصادر المالية لمداخيل خلافة سكوتو الإسلامية التي ساهمت في إثراء بيت مال المسلمين كالفيء والزّراعة والصّناعة والتّجارة بالإضافة إلى المصادر الأخرى كالفيء والغنائم والجزية وغيرها.

فعند نظرنا لهذه المخطوطات نجد أنّ الفلانيين قد أرّخوا لأنفسهم وكتبوا عن فترة حكمهم وهذا ما تجلّى في المخطوطات التي تركوها في مختلف المجالات كالتاريخ وعلم النّسب والحياة السّياسية والأدب والطّب وغيرها، ما جعل هذه الفترة في خلافة سكوتو الإسلامية محتواها يصب في الثقافة العربية الإسلامية وهذا ما تجلّى بالحرف المكتوبة به هذه المخطوطات، وفي التّوجه الدّيني السائد في شمال إفريقيا كالفقه المالكي، الذي نجد مصادره معتمدة في المدارس الدّينية، كرسالة أبي زيد القيرواني وخليل الموطأ، وفي المتون كمتن ابن عاشر وأسهل المسالك؛ وفي اللّغة نجد الأجرومية؛ وألفية بن مالك؛ وفي الأدب نجد سراج السالك؛ وفي العقيدة نجد المدخل لابن الحاج، والعقيدة الزّروقية، وغيرها من مؤلّفات علماء شمال إفريقيا.

وأوضح لنا من خلال التّطرّق لمختلف مظاهر الحياة العامة السّياسية؛ والاقتصادية؛ والاجتماعية دور حكام خلافة سكوتو وعنايتهم الكبيرة بالعلم والعلماء، والذي صاحبه أيضا ازدهاراً في أنشطة الحياة العامّة، وذلك بتوفيرهم كل ما من شأنه أن يسهم في استمرار الحركة العلمية نحو التّقدم والازدهار، وبفضل مجهودات وحرص هؤلاء الحكام وسهرهم فقد كانت حصيلة ذلك كلّ ازدهاراً علمياً مشهوداً، وهذا ما سنتعرض له في الفصل الموالي لتوضيح مجهودات علماء وحكّام ووزراء خلافة سكوتو الإسلامية ومساهماتهم في تنشيط الحركة العلمية.

الفصل الثاني: جهود الخلفاء والعلماء في ازدهار الحياة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية.

- تمهيد

- المبحث الأول: جهود الشيخ عثمان بن فودي (1168-1233هـ/1754-1817م)

- المبحث الثاني: جهود الشيخ عبد الله بن فودي (1180-1254هـ / 1766-1829م)

- المبحث الثاني: جهود السلطان محمد بلو (1195-1253هـ 1780-1837م)

- المبحث الرابع: جهود السيدة أسماء بنت عثمان بن فودي (1208-1282 / 1793-1865م)

- المبحث الخامس: جهود العلماء والوزراء في الحركة العلمية لخلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا)

- خلاصة الفصل

الفصل الثاني: جهود الخلفاء والعلماء في ازدهار الحياة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية.

- تمهيد:

كان لواقع الحياة السياسية واستقرار الأمن في أنحاء خلافة سكوتو الإسلامية مع ازدهار الحياة الاقتصادية أيضا، وما ترتب عنها من دخل وفير لبيت مال المسلمين، وانسجام التسيخ الاجتماعي انعكاس واضح تجلّى في التعليم العربي الإسلامي الذي كان متاحاً لجميع طبقات المجتمع، خاصة التعليم القرآني الذي يفتح شعيرة فهم القواعد الإسلامية: كالشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج، بهذا نجد أنّ الحضارة العربية الإسلامية قد احتوت الأفارقة من الناحية الدينية دون أن تتدخل في موروثهم الحضاري والأخلاقي الذي لم يكن يتعارض مع الدين الإسلامي.

وهذا ما أدى إلى ظهور طبقة من العلماء من أعلام خلافة سكوتو الإسلامية، خلفوا وراءهم موروثاً موروثاً حضارياً زواج بين العادات الإفريقية القديمة والدين الإسلامي؛ وذلك ببصمة إفريقية ومسحة دينية دينية من أمثال الشيخ عثمان بن فودي، وعبد الله بن فودي، والسلطان محمد بلو، والعالمة السيدة أسماء بن عثمان بن فودي وغيرهم من العلماء، وقد تميزوا بأنهم كانوا علماء متضلّعين في العديد من العلوم الشرعية، واللغوية، كما كانوا يولون عناية خاصة بأهل العلم، حيث يقول الشيخ عثمان فودي ناصحا إخوانه في طلب العلم: "فاشتغلوا يا إخواني بقراءة تواليف علماء زمانكم؛ لأنهم هم العالمون بما هو الأهم في زمانكم"⁽¹⁾

ومّا يدلّ على اهتمام خلفاء سكوتو بالتعليم هو تفويض وزراء من العلماء مسؤولين عن التعليم في الدولة، الذي كان يعتمد على التعليم في الكتاتيب التي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية، والعلوم الشرعية، ويقوم بمهمة التدريس علماء الدين⁽²⁾.

وكانوا أيضا يتحلون بالحكمة ويحكمون بالعدل ويجادلون بالتي هي أحسن ويدعون بالحسنى وتيسير سبل سبل التعليم والتعلم، وفي ظل هذه السياسات التي كانت نتائجها ملموسة على الحركة الفكرية بازدهارها،

(1)- عثمان بن فودي نجم الاخوان، المصدر السابق، ص158.

(2)- علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، رسالة دكتوراه في الآداب، جامعة القاهرة، 1963، ص 97.

بازدهارها، وانتشارها، فأحبّ النَّاس العلم وسعوا إليه، وانتشرت المعاهد الدينية، وحظي العالم والمتعلّم باحترام واحترام الجميع، ومن العادات الاحتفاء بالعلماء ومنحهم الهبات والعطايا، مثل اقتطاع الأراضي لهم، وكان من العادات مساعدة المهاجرين من طلاب العلم لاسيما من يسعون لحفظ القرآن⁽¹⁾.

المبحث الأول: جهود الشيخ عثمان بن فودي (1168-1233هـ/1754-1817م):

يُعد الشيخ عثمان بن فودي المؤسس الفعلي لخلافة سكوتو في بلاد الهوسا وحركته الإصلاحية²؛ كغيرها من ثورات القرن التاسع عشر الميلادي بالغرب الإفريقي كانت متشعبة بمبادئ الشريعة الإسلامية، الإسلامية، كما أنّ مؤسسها لم يكن مجرد بطلٍ أو رجل سياسة فحسب، بل كان رجل علم وفكرٍ ثاقب، ثاقب، حيث أنّه لم يستأثر بالحكم لما ظفر به، بل تركه قسمة بين أخيه عبد الله وابنه محمد بلو، وكترس وكترس نفسه وحياته للعلم، والتدريس⁽³⁾.

كما يعدّ الشيخ عثمان بن فودي أول من طبّق الشريعة الإسلامية في خلافته في القرن الثالث عشر الهجري الموافق لبداية القرن التاسع عشر ميلادي⁽⁴⁾، كما وضع قاعدة للفكر السياسي في بلاد الهوسا، وبين نظام الحكم والولاية في الكثير من مؤلفاته مثل كتابه أصول الولاية وشروطها حيث قال أنّها مبنية على ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع⁽⁵⁾.

وقد حدّد في كتابه الفرق بين ولايات أهل الإسلام وولايات أهل الكفر أسس الولاية وأركانها جاعلاً جاعلاً منها دستوراً تقف عنده الأمة، أمّا أسسها فحدّدها في عدّة أمور منها: التزام المشورة مع العدل

(1) - عثمان سيد احمد إسماعيل البيلي، ملاحظات وخواطر حول الحياة الفكرية في الخلافة العثمانية الصكنية، الندوة العلمية في ذكرى

الشيخ عثمان بن فودي، الجامعة العلمية، الخرطوم، 1995، ص 222

(2) - للتوسع في حياة الشيخ عثمان بن فودي وحركته الإصلاحية أنظر: عطية عومار حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية وتأثيراتها في غرب إفريقيا...، المرجع السابق.

(3) - شلي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط 7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج 6، 1986، ص 287.

(4) - إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 113.

(5) - عثمان بن فودي، أصول الولاية وشروطها، تح: عمر بلو مالم سراج، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج 3، 2013، ص 3.

والإحسان، وألاً تعطى الولاية لطالبها، وترك الفظاظة، كما حدّد أركانها في أربعة أمور هي: وزير صادق، صادق، ينبّه السّلطان إذا نام، ويذكره إذا نسي، وقاضٍ لا تأخذه في الله لومة لائم، وصاحب شرطة ينصف ينصف الضّعيف من القويّ، وصاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرّعية⁽¹⁾، كما بيّن في كتابه أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل وصايا للحكّام وجب الوقوف عندها والتّحلّي بها حتّى يستقيم أمر الرّعية⁽²⁾.

لقد كان الشّيخ عثمان بن فودي مثل أيّ مجدّد آخر، بدأ مسيرته مع التّدريس والوعظ من أجل أجل إعداد الأراضية لمهمته المقبلة؛ لأنّه يعلم بأنّ التّدريس والوعظ من الأساليب الخصبّة جداً لإيصال رسالته إلى النّاس، وإعدادهم للجهد القادم، وقد بدأ التّدريس والوعظ في سنّ العشرين في بلده ديجل (Degle) عام 1188هـ/1774م برفقة شقيقه عبد الله بن فودي⁽³⁾، وفي بداية تعليمه لم يهتم بالوثنيين، بل ركّز على أولئك الّذي ن يخلطون إسلامهم بأعمال الوثنية، حتّى وصل إلى مرحلة انتقاد ممارسات حكّام الهوسا⁽⁴⁾.

وكان المسلمون في هذه البلاد، يقصدون المراكز العلمية المنتشرة في السّودان الغربي خاصة تمبكتو، ويرتحلون إلى مراكز العلم بالشمال الإفريقي مثل فاس وتلمسان والقيروان والقاهرة، وغيرها فلما برز الشّيخ الشّيخ رجع النّاس إليه في أمور دينهم وقصدوه من كلّ جهة⁽⁵⁾، وكان اتّصاله بالنّاس في مجالس العلم يعتبر فرصة لبثّ أفكاره ومبادئه كما يعتبر بداية لحركته، وجعل الشّيخ ينتقل من بلد إلى آخر من بلاد الهوسا،

(1) - عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السابق، ص 194-195.

(2) - عثمان بن فودي، أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، المصدر السابق.

(3) - Abba Idris Adam: Re-inventing Islamic Civilization in the Sudanic Belt: The Role of Sheikh Usman Dan Fodio, Volume 4, No. 6, Journal of Modern Education Review, USA, 2014, pp. 459.

(4) - Jean Boyd: Distance Learning from Purdah in Nineteenth-Century Northern Nigeria: The Work of Asma'u Fodiyo, Journal of African Cultural Studies, Vol. 14, No. 1, Islamic Religious Poetry in Africa, 2001, p8.

(5) - عبدالله آدم الألوري، تاريخ دخول الإسلام في افريقية الغربية ، المرجع السابق، ص 284.

يعلّم النَّاس مبادئ الدِّين الإسلامي الصَّحيحة، ويكشف حقيقة الكفر والكفَّار حيث ألف ما يفيد النَّاس نظماً ونثراً بالأدلة من الكتاب والسنة⁽¹⁾.

وبعد تطوُّر الأوضاع في بلاد الهوسا بسرعة، كانت سمعة الشيخ عثمان بن فودي قد بلغت الآفاق، وأصبحت مؤلفاته مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي لحكّام ممالك الهوسا، يستدلُّون بها لفرض النظام وتغطية مختلف الشؤون السِّياسية والاجتماعية والاقتصادية⁽²⁾.

لم يكن أمر الدَّعوة سهلاً، فقد واجه الشيخ في دعوته مصاعب كثيرة، أهمّها وأبرزها ظهور فئة من العلماء المعارضين، حيث أبدوا له الجفاء والأذية⁽³⁾، لجهل أو لحسد أو نصّبوا أنفسهم على النَّاس خاصّة تلك الفئة من العلماء الذين كانت لهم صلة وثيقة بالحكّام، فالعلماء الذين من المفترض أن يكونوا هم حماة الدِّين تحوّلوا إلى علماء البلاط ويعطون مبرّرات لفساد الحكّام، ويباركون أفعالهم المشينة باسم الدِّين هذه الفئة من النَّاس قد حكم عليها الشيخ بالمرتشين، وقد وصفهم في كتابه وثيقة الإخوان بأنهم أخطر من الشَّيطان⁽⁴⁾، فقد كانوا على غير هدي يتبعون العادات البالية منغمسين في الملذّات، والشّهوات مهملين أحوال الرّعية، ويسعون بكل الطرق للحفاظ على مكانتهم عند حكامهم.

ولما تهيأ الأمر للشيخ عثمان بن فودي وأتباعه وتمكّنوا في الأرض عملوا على ترسيخ الإسلام الصحيح الصحيح والسنة النبوية الشريفة، وإقامة الحدود وإنفاذ الشرائع، ولو على أنفسهم، وقاموا ببناء المساجد وتعميرها بالصّلوات، وحماية الثغور بالرباط والأجناد، والاهتمام بالعلم، ومجالسه العلماء وبناء المدارس

(1)- محمد بلو، كشف الغطاء والستر في مولاة الكافرين، مخطوط رقم 53، المرجع P/AR2، ص 1.

(2)- بھيجة الشاذلي، دور زعماء الإصلاح الأفارقة (ق19) في إثراء الثقافة العربية الإسلامية نموذج عثمان بن فودي، المؤتمر الدولي الاسلام في افريقيا، الكتاب الخامس، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 26-27 نوفمبر 2006، ص 306.

(3)- محمد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص 63.

(4)- Mukhtar Umar Bunza, Op.cit, p 4.

القرآنية، والمعاهد الدينية المتخصصة، والاعتناء بالعلماء وتبجيلهم⁽¹⁾، وانتشرت كتاباته في كل بلاد الهوسا فكانت خير معين ومرشد لكثير من الناس الذي ن يجهلون حقائق الأمور، والأشياء فضلاً عن جهلهم لدينهم وسنة نبيهم.

ففي كتابه فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر، أسدل بيانه لصفات العالم ووظيفته في مجتمع، ووضع له شروطاً لكي يعتدّ برأيه كالبُلُوغ، والعقل، وأن يكون فقيه النفس، شديد الفهم بالطبع بالطبع لمقاصد الكلام، وأن يكون عارفاً بالدليل العقلي والبراءة الأصلية، وأن يعرف من الكتاب والسنة ما ما يتعلّق بالأحكام، وأن يكون ملماً بالبلاغة والنحو والصرف⁽²⁾.

كما تحدّث الشيخ عثمان بن فودي عن الانتصاب للتدريس وكيفيته، ووضع له شروط منها التّقيّد بالتّقيّد بالكتاب والسنة، ومعرفة بالعلوم الشرعية، وبصيرة نافذة، وهمّة عالية، وحسن السيرة، ومن شروط شروط كمال المتصدّر للتدريس حسن النية، وموافقة القول بالعمل⁽³⁾، لأنّه انتشر أشباه العلماء وهو من المصائب العظمى، والفتن الكبرى التي ظهرت في البلاد السودانية، حيث تصدّر صنف من الناس الجهال مجالس العلم، وهم ليسوا أهلاً لذلك، تنزعهم نزعة شيطانية لطلب العلم والدرجة والوجاهة عند الملوك، وأخذ أموال الناس بالباطل، وأخلطوا المنقول والمعقول، واستعطفوا عوام الناس واستخفّوهم، وذلك ممّا يهدم يهدم الدّين ويفسده⁽⁴⁾. ولما تصدى لهم الشيخ عثمان بن فودي عارضه العديد من العلماء ولقي منهم الجفاء، والإذابة والوشاية، وقد ناقش محمّد بلو أسباب هذه المعارضة الشديدة من طرف هؤلاء العلماء، وأرجعها لسببين رئيسين هما الجهل والحقد⁽⁵⁾.

(1) - عمر بن محمد البخاري، تنبيه الإخوان في امر السودان، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، المادة رقم 5، المرجع O/AR1، ص7.

(2) - عثمان بن فودي، فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر، تح سيني موموني، سالو الحسن، ليون، 2012، ص 24.

(3) - محمّد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص 93-94.

(4) - نفسه: ص 93.

(5) - نفسه: ص 61.

وفي المقابل فقد ساندته علماء آخرون، ووقفوا معه مناصرين لدعوته، حيث استطاع اجتذاب عددا عددا كبيرا منهم إلى قريته ديجل، وبدأ في توزيع الكتب والمخطوطات باللّغة العربية وغيرها في جميع أنحاء ممالك الهوسا⁽¹⁾.

وقد كان للشيخ مجلسان للعلم، أحدهما للتدريس يخرج إليه بعد صلاة العصر والعشاء، يدرس التفسير والتفسير والحديث والفقه والسلوك وسائر فنون العلم، والمجلس الآخر للوعظ والتذكير يخرج له كل ليلة جمعة، جمعة، ويحضره خلق كثير، رجالاً ونساءً، كما كان يخرج إلى الحواضر القريبة والبلدان المجاورة للإفادة والوعظ والوعظ أياماً، ثم يرجع إلى بلده حتى صار له صيت وشهرة، وصار يقصده الداني والقاصي من بلاد الهوسا⁽²⁾.

وكانت همته عالية في تصدّر التدريس وبث العلوم، فمأ القطر الهوساوي معارفاً وطلاباً⁽³⁾، وتكوّنت من المستمعين إليه والحاضرين لمجالسه فئة منتظمة سماها الجماعة، وهم النواة الأولى التي بها صاروا أنصاراً لدعوته الإصلاحية⁽⁴⁾، ومنها تخرج الكثير من العلماء تقلدوا مناصب الإمارة والقضاء والوزارة في خلافة سكوتو الإسلامية.

ومن الأولويات التي كان الشيخ حريصاً عليها هو تصحيح العقيدة، فعقد لها مجالس التدريس فأخذ يقرّر لهم أصول الدين مبتدئاً بعلوم التوحيد فيشرحها شرحاً مفصلاً، ثم ينتقل إلى النبوات فيذكر أنّ الرّسل الرّسل كلّهم صادقون أمناء مبلغون، ثم يتبعها بالسّمعيات فيذكر أنّ الملائكة حق، والكتب المنزلّة كلّها حق، وأنّ الموت حق، والصّراط حق، والجنّة والنار حق، وقدّم على ذلك كل الأدلة الشّرعية من الكتاب والسنة، ومن المميّزات التي كان يتمتّع بها أنّه كان يقدّم الدّروس بلغة الحاضرين⁽⁵⁾، ويقرّر علوم التّوحيد

(1)- John .E .Flint, Nigeria and Ghana, Englewood Cliffs, N.J., Prentice-Hall, 1966, p100.

(2)- الألووري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص ص 147-148.

(3)- محمّد بلّو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص 66.

(4)- الألووري، الإسلام في نيجيريا المرجع السابق، ص 149.

(5)- محمّد بلّو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص ص 75-79.

والنبوت والسّمعيات أنّها من أصول الدّين ويجب على كلّ مسلم أن يعتقدّها كما جاءت، كما بيّن أنّ من من أسلم لا يكفر، و لا يساء به الظّن ما لم يظهر كفره بالقول أو الفعل⁽¹⁾.

كما جلس الشّيخ عثمان لتعليم النّاس كلّ ما يتعلّق بأمور دينهم، ويبيّن لهم فروض العبادات؛ كالوضوء والغسل والصّلاة والزّكاة والصّوم. وفقه المعاملات كالبيع والنّكاح والميراث⁽²⁾، وكانت مجالسه لا تقتصر على الدّروس الفقهية البحتة، بل يوجه لهم النّصائح العامّة التي تدخل في صميم الدّين، وكان يحثّهم على طلب العلم النّافع؛ لأنّه يرقى بهم في درجات الإيمان، وذلك عن طريق الاشتغال بتقوى الله، بالامتثال لأوامره، واجتناب نواهيه، والاشتغال بقراءة القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وسيرة المصطفى محمّد صلى الله عليه وسلّم، وأخبار السّلف الصّالح⁽³⁾، كما وسّع مجالاته في التدريس إلى علوم أخرى بالمنطق، واشتهر على أيديهم رجز الشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي في المنطق، الذي أخذه من شيوخه، ودرسه لطلابه⁽⁴⁾.

وفي طريقة تدريسه، كان للشّيخ عثمان بن فودي مجلسان يعقدهما لتعليم النّاس، مجلس يعلم فيه العامّة وترحاله من النّاس، ومجلس آخر للخاصّة من تلاميذته، وهناك من العلماء الذي ن يلازمونه في حلّه وترحاله التي يفارقونه، وتختلف المناهج، والطّرق والأساليب والموضوعات التي ينتهجها للعامّة، عن تلك التي التي يدرس بها للخاصّة، ويذكر لنا محمّد بلو الصّفة التي يتجلّى بها على من يعلمهم أنّه إذا وصل إلى المجلس سلّم بسلام عام يسمعه جميع الحاضرين، وإذا صعد على الكرسي حيّاهم بتحيّة عامّة ثلاث مرّات، مرّات، ببشاشة وطلاقة وجه، وحسن خلق، ثمّ يحدّثهم بصوت عالٍ يسمعه الجميع⁽⁵⁾.

(1)- حسين عيسى عبد الظاهر، المرجع السابق، ص ص 244-245.

(2)- محمّد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص ص 81-84.

(3)- عثمان بن فودي، نجم الإخوان، المصدر السابق، ص ص 162.

(4)- الألوري آدم عبد الله، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 1912، ص 39.

(5)- محمّد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص 67.

وهكذا كانت مجالسه التعليمية منصبّة على محاربة البدع وإحياء السنّة؛ وذلك لتفشي البدع المحرّمة بصورة كبيرة في بلاد الهوسا، فبينها وبين حكم الشّرع فيها بتحريمها، وحثّ على عدم أتباعها، ومن هذه هذه البدع التي أوردتها في بعض مؤلّفاته: كالتفأول بالأيام هذا يوم صالح، وهذا يوم قبيح، والاشتغال بالشعوذة مثل ما يسمّى بعلم الحروف، وإقامة الحدود ونصرة الضّعيف على القوي، والاستغناء عن حدّ الزّنا بدفع المال، وتوريث المناصب الشّرعية، حتّى وإن كان جاهلاً وغير كفاء، وعدم قضاء فوائت الصّلاة، والصّلاة، ويكثر من النوافل ظناً منهم أنّها من قضاء الفوائت، والاشتغال بالكهانة لتحصيل المغيّبات عن طريق أحكام النّجوم، والفال، والقرعة، وأعمال ضدّ الحق، والتبرك بالقبور والتّمسّح بها، وبناء المساجد عن طريق أحكام النّجوم، والفال، والقرعة، وأعمال ضدّ الحق، والتبرك بالقبور والتّمسّح بها، وبناء المساجد عليها، والتّعصب في الدّين، وكثرة الجدل فيه بين العوام من النّاس، وعدم توريث المرأة، واستيلاء واستيلاء الكبير أو القوي على مال الورثة⁽¹⁾.

بذل الشّيخ عثمان بن فودي جهده في دعوة الوثنيين إلى الإسلام من جهة، وإلى دعوة المسلمين الرّجوع إلى الإسلام الصّحيح من جهة أخرى، وترك ما علق به من بدع ليست من الدّين خاصّة فيما يتعلق بتعلّق بالعقيدة، والفروع، وجاء بأدلة تحريمها من الكتاب والسنّة، وعمل على إزالتها والقضاء عليها بالتدرّج، لذلك نجده ألف مؤلّفات عديدة، تبين أحكام الدّين، وعمل على بثّها في البلاد وإيصالها للقريب للقريب والبعيد، ليتجنّب النّاس ما ينافي الإسلام من عادات وتقاليد بالية، وأتباع ما يوافق منها⁽²⁾.

بالإضافة إلى محاربة البدع، فإنّ الشّيخ اجتهد في إحياء سنّة النبي محمّد صلى الله عليه وسلّم، فعند محاربه التّبرك بالقبور والتّمسّح بها⁽³⁾، وتعظيم الأشجار، والأحجار، نجده رغب النّاس على زيارة القبور؛ لأنّها تذكّرهم بالآخرة، والدّعاء لموتاهم، كما حثّ الحكّام على ترك المكوس، وتخفيض الضّرائب الجائرة،

(1) - عثمان بن فودي، نور الأبواب، المصدر السابق، ص 63 - 64.

(2) - محمّد بن علي بن محمّد السّكاكر، المرجع السابق، ص 263.

(3) - عثمان بن فودي، نور الأبواب، المصدر السابق، ص 65.

ودعا الناس لدفع زكاة أموالهم لأتّما طهارة لهم، وفيها منفعة للبلاد و العباد، كما نجده ناهض جور الحكّام وطلبهم بإقامة العدل والمساواة بين الرّعية بما يوجب الشرع⁽¹⁾.

كما عالج الشيخ عثمان عدّة قضايا في مجتمعه، منها قضايا تخصّ المرأة في شرفها وعرضها وكرامتها، وكرامتها، وحرص على تعليمها أمور دينها، فحارب الكثير من البدع التي انتشرت في بلاد الهوسا في زمانه، زمانه، وسمّاها بلوى مثل: اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والطرقات، وعدم احتجاب المرأة عن ما يجرم يحرم عنها وكشف عورتها، واجتماع الرجال والنساء للرقص والغناء⁽²⁾، إلى غير ذلك من البدع التي حذّر الشيخ منها، وشدد على الابتعاد عنها.

ومن القضايا الهامة التي عالجها أيضا قضية تعليم المرأة نظرا لأهميتها في المجتمع، فلقد شاع في بلاد الهوسا الهوسا ترك كثير من العلماء زوجاتهم وبناتهم وعبيدهم مهملة دون أن يعلموهم ما فرض الله عليهم من عقائد، وأحكام دينهم من صلاة وصيام وغير ذلك ممّا أوجب الله عليهم، وقد تبه الشيخ لهذا الأمر الخطير، وحثّ العلماء على وجوب تعليم زوجاتهم وبناتهم، وعدم تركهم في ظلمات الجهل والضلال، وذلك وذلك بتعليمهم أمور دينهم قبل تعليم طلابهم لأنّه نفل، وأنّ تعليم أهاليهم واجب ومقدّم على تعليم طلابهم. ثم وجه الشيخ نداءً للنساء بأن لا يسمعن إلى أقوال الضالين، الذي ن يأمرهنّ بطاعة أزواجهن دون أن يأمرهن بطاعة الله ورسوله⁽³⁾.

وكان الشيخ لا ينكر وجوب طاعة الزّوجة لزوجها، ولكنّه قرنها بطاعة الله ورسوله⁽⁴⁾، ومن جانب آخر دعا الشيخ عثمان النساء لحضور مجالسه للوعظ والتّدریس، لوجوب تعليمهن، مثل الرجال، دون اختلاطهم

(1) - نفسه، ص ص 66-69.

(2) - عثمان بن فودي، نور الأبواب، المصدر السابق، ص 66.

(3) - نفسه، ص ص 62-63.

(4) - نفسه، ص 63.

مع الرجال، وقد لقي الشيخ معارضةً شديدةً من طرف العديد من العلماء لإنكارهم خروج النساء لمجالس العلم⁽¹⁾.

وبذلك يعد الشيخ عثمان بن فودي من عظماء الأمة في محاربة البدع في غرب إفريقيا، حيث أرسى أرسى القواعد وبيّن الفرق بين العمل الإيجابي والسلبي، كما هو واضح في كتابه إحياء السنة وإخماد البدعة، البدعة، ولقد كان منهجه على منهج ابن الحاج في مدخله والغزالي في إحيائه وأحمد زروق في قواعده⁽²⁾.

وقد ذكر محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور قائمة لثمان وعشرين مؤلفاً للشيخ عثمان بن فودي، بينما هي تفوق المائة مؤلفاً عاجلت مختلف المواضيع الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها⁽³⁾، ولعل من الصواب أن نقول إن فترة دولته هي عصر النهضة للثقافة العربية في بلاد الهوسا حيث كانت مختلفة تمام الاختلاف عن غيرها من الدول السابقة في بلاد الهوسا أو في برنو، فقد قامت في أول أمرها على أساس المبادئ الإسلامية الصحيحة، وخاضعة للقوانين الشرعية التي من الواجب من معرفتها قبل تطبيقها⁽⁴⁾.

ذلك هو الشيخ عثمان بن فودي والحركة الأدبية والعلمية في عصره، فقد كان أشهر العلماء المصلحين في جهاده وعدله فضلاً عن تشجيعه للعلم والعلماء، وكانت وفاته سنة 1817م بعد أن قضى حياته مصلحاً ومجاهداً ومعلماً.

(1) - عثمان بن فودي، إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان، تح مالم سراج موسى ثلاث مفردات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج3، 2013، ص 269.

(2) - آدم عبدالله الألووري، الاسلام اليوم وغدا، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 1912، ص 86.

(3) - W. E. N. Kensdale, Field Notes on the Arabic Literatures of the Western Sudan: Muhammadu Bello, J. R. A. S. , No. 3/4, Cambridge University Press, 1955, pp. 162-168

(4) - موسى عبد السلام مصطفى أيبكن، أثر القرآن الكريم في الشعر النيجيري، المؤتمر الثالث للغة العربية، أبو ظبي، 2014، ص 7.

المبحث الثاني: جهود الشيخ عبد الله بن فودي (1180-1254هـ / 1766-1829م):

يُعدّ الشيخ عبد الله بن فودي من كبار علماء خلافة سكوتو الإسلامية الذي ساهموا في خدمة العلوم العربية والإسلامية، ونتيجة لذلك تنوعت المجالات العلمية التي خاض غمارها، وبذلك كان من أبرز أبرز العلماء الذين تركوا بصماتهم وإسهاماتهم على نطاق واسع، وقد ساعدته عدة عوامل في تكوينه صقل صقل مواهبه منها؛ حبّه الشديد لعلوم العربية والإسلامية وتعظيمه لها، ومن ثمّ اطلاعه الواسع على عناصرها عناصرها ومصادرها المختلفة، بالإضافة إلى ذلك قدراته وملكاته التي أحسن توجيهها وتنميتها وتلخص الوسائل التي استخدمها الشيخ عبد الله بن فودي في نشر العلوم الإسلامية؛ في ثلاث وسائل رئيسية: أولها أولها الشعر العربي الفصيح، وثانيها الحلقات العلمية ومجالس الوعظ، وثالثها الكتابة والتأليف⁽¹⁾.

ومن أمّهات الكتب التي ساهمت في تكوينه العلمي مقامات الحريري، وقطر الندى وشرحه للمارديني، للمارديني، وشذور الذهب، وشرحه بلوغ الأرب وخلاصة ابن مالك مع شرحها، والبهجة المرضية للسيوطي للسيوطي وغير ذلك من كتب النحو، وكتاب التحفة الوردية وشرحها للشيخ محمد الوالي، وكتاب الخلاصة الخلاصة من أولها إلى آخرها في منهج السالك للأشموني، والفريدة للسيوطي، والدرر اللوامع للشيخ الطاهر الطاهر والرامزة في علم العروض والقوافي والترياق في علم الأوقاف، كما درس علم المنطق، وكتاب الورقات الورقات لإمام الحرمين في علم أصول الفقه ومن كتب علم البلاغة التخليص مع شرحه، وألفية المعاني مع مع شرحها والجواهر المكنون مع شرحه، وشرح النقاية للسيوطي وغير ذلك، ومن كتب أصول الفقه القراني القراني والكوكب الساطع وجمع الجوامع مع شرحها، وقد نال الشيخ عبد الله بن فودي الإجازات من شيوخه الذي ن تلقى عنهم هذه العلوم⁽²⁾.

(1) - عمر أحمد سعيد، جهود عبد الله بن فودي العلمية، المرجع السابق، ص78.

(2) - أبو البشر علي ادم، الشيخ عبدالله بن فودي لمحات من آثاره العلمية، دراسات افريقية، ع24، جامعة الخرطوم العالمية، 2000 ، ص147 ،

كما كان للشيخ عبد الله بن فودي دور كبير في الدعوة والنصح والوعظ والإرشاد إلى جانب شقيقه شقيقه الشيخ عثمان بن فودي، وقد بيّن ذلك في كتابه: إيداع النسخ فيما قرأت عن الشيوخ حيث قال "...لولا هذا الشيخ المبارك لأنّ ابتداء هدم العوائد الذميمة في بلادنا السودانية هذه على يده، وكان كمال ذلك على يدينا"⁽¹⁾، وبهذا يعد الشيخ عبد الله بن فودي من كبار المصلحين في بلاد الهوسا.

وبعدما استقر الأمر لجماعة الشيخ عثمان بن فودي تولى الشيخ عبد الله إمارة القسم الغربي، فأنشأ فأنشأ فيه معهده العلمي الذي اشتهر بمعهد غواندو (Goindou)، حيث أفنى فيه حياته يعلم الناس ويث العلوم والفتاوى، وقد تخرج من معهده ابنه الأكبر الشيخ إبراهيم الخليل، وابن أخيه الشيخ محمد بلو، والشيخ عمر الفلاقي، والشيخ تميم الزنفرى، والشيخ محمد الثاني وغيرهم كثير.

وكذلك كان الشيخ عبد الله بن فودي محبا لشيخه متأثرا بسلوكهم ناظرا إلى الأمور بمنظار رؤيتهم رؤيتهم فافتنى أثرهم فكان رمزًا للصوفي الزاهد المحقر للدنيا ومادياتها، الأمر الذي أدى به إلى تنظيم حياته حياته وتقسيم نشاطه اليومي إلى أربعة أقسام وقت يناجى فيه ربّه، ووقت يحاسب فيه نفسه، ووقت لاكتساب العيش الحلال، ووقت للدعوة والإرشاد⁽²⁾

كان الشيخ عبد الله بن فودي يكتب الصحيفة بالدواة ويتركها مدّة لكي تجف، ثم يتّجه إلى ركن من من بيته جعله خصيصا لصناعة آلات الحرب والجهاد من السهام، والرماح والفؤوس، ثم يرجع للكتابة مرّة مرّة أخرى بعد أن تجف الصحيفة من الحبر، فكان وراقا يستنسخ الكتب، وكان يملك مكتبة ضخمة متنقلة نظراً لظروف الجهاد التي كانت تجبرهم للتنقل من مكان إلى آخر، فإذا جاء نذير الحرب وهو في أثناء

(1) - M. Hiskett, Op.cit, p 590.

(2) -Mohammed Sani Zahradeen, Abdullahi B. Fudio's Contribution of the Fulani Jihad in Nineteenth Century HausaLand, Institute of islamic Studies, McGill University Montreal, Canada,1976, p170.

الكتابة أو المطالعة، قام بربط كتبه وحملها على الجمال، وتهياً للجهاد، وكان يأكل من عرق جبينه وعمل يده⁽¹⁾.

وقد كان للشيخ عبد الله بن فودي دور كبير وفعال في نشر اللغة العربية وآدابها في غرب إفريقيا في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي. ويبرز ذلك في شتى إنتاجاته الأدبية ومصنفاته في العلوم الإسلامية إلى جانب الرسائل والخطابات حتى بلغ مؤلفاته الثرية والشعرية ما ينيف عن المائة وخمسين تأليفاً، التي تنقسم إلى علمية وأدبية، وتنحصر مؤلفاته العلمية في العلوم التالية: القرآن والتفسير، وأصول الدين، والتصوف، والنحو، والصرف، والتاريخ، والسياسة، بعضها منظومات ابتكر فيها طريقة تسهل على طلاب العلم حفظ المسائل الدينية والعربية والبعض الآخر من النثر التعليمي⁽²⁾، ونظراً لأهمية وقيمة الإنتاج العلمي للشيخ عبد الله بن فودي فقد أشاد به الشيخ عثمان بن فودي ونصح بقراءة مؤلفاته⁽³⁾.

ومن النصائح التي كان يبثها الشيخ عثمان بن فودي هي الدعوة إلى قراءة كتب علماء زمانه، كما نصح بقراءة مؤلفات أخيه الأستاذ عبد الله التي تعنى بأمور الشريعة الإسلامية، وقراءة مؤلفات ابنه محمد محمد بلو التي تعنى بعلم سياسة الأمة، وبقراءة مؤلفاته التي تجمع بين الاثنين: الشريعة والسياسة⁽⁴⁾. عزم الشيخ عبد الله بن فودي الذهاب إلى الحج، وفي طريقة مرّ بمدينة كانو فطلب أهلها أن يمكث يمكث ويعلمهم دينهم فبقي هناك وقرأ عليهم جميع تفسير القرآن، وألف لهم كتاب: ضياء الحكام لإرشادهم لإرشادهم ونصحهم، وترك لهم قصيدة وصف فيها الأوضاع السيئة التي آلت إليها بلاد الهوسا، وحال أولئك الذين ركنوا للدنيا وملذاتها، وهجروا المساجد وعزفوا عن مدارس العلم فكان همهم الأغراض الدنيوية

(1) - عبد الصمد عبداللّه: الشعر العربي في غرب إفريقيا منذ الاستعمار السنغال ونيجيريا، مذكرة ماجستير، جامعة ام القرى، القرى، السعودية، ص 342.

(2) - محمد جامع عبدالله، من أعلام الأدب العربي النيجيري المعاصر، إسهامات الشيخ عبدالله بن فودي في تطوير اللغة العربية وآدابها قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة ولاية كوغى، ص 13.

(3) - عثمان بن فودي، نجم الإخوان، المصدر السابق، ص 158-159.

(4) - نفسه، ص 158-159.

الدنيوية للحصول على المناصب وأعلى المراتب وتولية الجهال وانتشار الرشوة وغيرها من الرزيا حيث يقول
يقول في هذه القصيدة البائية التي كتبها لأهل كانو:

وَمَا هَيْهَيْهِمْ أَمْرَ الْمَسَاجِدِ بَلْ وَلَا هَمَّتْهُمْ
مَلِكُ الْأَسْبِلَادِ وَأَهْلَهُهَا
بِعَادَاتِ كُفَّارٍ وَأَسْمَاءِ مَلِكِهِمْ
وَجَمْعِ السَّرَارِيِّ وَالْتِيَابِ الْحِسَانِ
مُدَارِسُ عِلْمٍ بَلَّغَهُ أَمْرَ الْكُنَائِبِ
لِتَخْصِيصِ لِيْلِ لِدَاتُ وَنَيْلِ الْمَرَاتِبِ
وَتَوَلِّيَةِ الْجُهَّالِ أَعْلَى الْمَنَاصِبِ
وَالْجِيَادِ وَالْجَوَارِيِّ فِي الْقَرَى لَا الْمُحَارِبِ⁽¹⁾

فبالإضافة إلى تنظيم المجتمع وسلوكياته وفق منظور الشريعة الإسلامية أولى الشيخ عبد الله بن فودي فودي أهمية كبيرة لاكتساب ونقل المعرفة لأنه أكد بقوة أن المعرفة هي أساس جميع الأنشطة ويظهر ذلك في كل كتاباته، ففي كتابه طريق الصالحين أجمل فيه كثير من المواعظ والإرشادات، وأفرد منها نصائح لطلبة لطلبة العلم والعلماء فمن نصائح الطلبة احترام العلماء وتبجيلهم، واحترام مجالس الذكر وهيبته، وأن لا يزاحم ويطلب تصدّر الحلقة بل يجلس أين وجد مكانا، وعلى كلّ أحد أن لا ينسى فضل معلّمه مهما بلغ بلغ غايته من العلوم، ومن نصائحه للعلماء: أكد على أنّ العلماء العاملين لا يبيعون دينهم وعلمهم بحطام الدنيا، وأنّ من صفاتهم العلم والحلم والحكمة والخشية والكرم⁽²⁾.

ومن خلال هذه النصائح تدرك قيمة ما كان يصبوا إليه الشيخ عبد الله بن فودي في مجانبه علماء السوء، لكثرتهم في زمانه ممن ادّعوا العلم وهم لا يفقهون شيئا.

وفي رسالة أخرى أسماها جودة السعادة حتّ فيها على طلب العلم، وحث أولياء الأمور على تعليم أبنائهم وأزواجهم، وعبيدهم وإمائهم، وحثّ فيها من المعاصي ومخالفة الشريعة، وفي كتابه: إيداع النسخ

(1)- Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Edited With A Translation A Introductory Study Of The Author's Life And Times, By Morvin Hiskett Ibadan University Press, 1963 , pp 70-71.

(2)- عبد الله بن فودي، طريق الصالحين، مخطوط المادة رقم 17 المرجع 2 P/RA.

عدّد شيوخه في العلم، وذكر مختلف العلوم التي أخذها عنهم وأجازوه فيها⁽¹⁾، ولم يترك الشيخ عبد الله بن فودي علما من علوم المعرفة المعروفة في عصره إلا خاض غماره، ونال منه أوفر النصيب وألف فيه، وقد ترك لنا مؤلفات تربو عن المائة نشر القليل منها ولا يزال الكثير منها مخطوطا وهكذا نجد الشيخ عبد الله بن فودي قد كرس جهدا كبيرا في مجال العلم تدريسا وتأليفا، وتظهر براعته العلمية في إنتاجه الغزير في مختلف صنوف العلم نثرًا وشعرًا⁽²⁾.

ألف الشيخ عبد الله بن فودي كتباً علمية في مختلف العلوم، كانت بمثابة مناهج ومقررات دراسية، وقد قام بتحويل كتب منثورة إلى قصائد منظومة تسهي للطلاب، وقدم لطلاب العلم ما يحتاجونه من العلوم العلوم الإسلامية مثل علوم القرآن والتفسير والحديث وأصوله وفقهه وأصوله والعلوم العربية، مثل النحو والصرف والتوحيد والمنطق والعروض، بالإضافة إلى علم التصوف والتاريخ والسيرة النبوية الشريفة والسياسة والسياسة الشرعية⁽³⁾، فكانت مساهمة الشيخ عبد الله بن فودي مساهمة كبيرة، وفعالة في بث العلوم والمعارف، وتخرج على يديه الكثير من الطلاب حملوا المشعل ففتحوا المدارس والمعاهد في مختلف أنحاء البلاد، فهو يعدّ بحق أحد رواد النهضة العلمية والثقافية في خلافة سكوتو الإسلامية.

توفي الشيخ عبد الله بن فودي سنة 1828م، ونظمت لفقده المرثي تذكر مناقبه وأعماله الجليلة ومن بين القصائد الرثائية قصيدة للشيخ أب بن مصطفى يرثي فيها فقدان الشيخ عبد الله بن فودي حيث حيث بيّن فيها مناقبه؛ بأنه بحر العلوم في التفسير، والحديث، واللغة وذكر بأن منزله كان مقصدا للطلاب، للطلاب، والعلماء لنهل العلوم ومطالعة الكتب في مختلف صنوف العلم يقول فيها:

(1) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 181.

(2) - W. E. N. Kensdale, Field Notes on the Arabic Literatures of the Western Sudan: Shehu Usumanu dan Fodio, J. R. A. S. , No. 1/2, Cambridge University Press, 1956, pp. 78-80.

(3) - موسى عبد السلام مصطفى أيكن، أثر القرآن الكريم في الشعر النيجيري، المؤتمر الثالث للغة العربية، أبو ظبي، 2014، ص

لَقَوَاتِ شَيْخٍ مَا جَدَّ سَمَّحٍ رِضَى بَحْرُ الْعُلُومِ الطِّبِّ عَنْ مَا يُشَكِّلُ
تَبْكِي مُدَارِسٍ لِلْعُلُومِ لَفَقْدَهُ وَأَهَاءَ لِمَنْ يَعُدُّو هَهَا أَوْ يَرَحُلُ
نَاخَتْ فُنُونُ الشَّرْعِ مَعَ عِلْمِ الْحَدِّ يَثَّ عَلَيْهِ وَالتَّفْسِيرِ نَوْحًا يُعَوِّلُ
الْفِقْهَ وَالْفَتْوَى بِهِ وَالتَّخَوَّ وَالِ تَصْرِيفَ ضَاعَتْ مَا هَهَا مِنْ يَحْمِلُ
أَقْوَتِ مَسَاجِدُ وَالْمَنَابِرُ زَانَهَا بِصِلَاتِهِ فِيهَا وَكُلَّ مَوْصِلِ
وَمَنَازِلَ الْأَضْيَافِ جَمَّعَ كُتُبِهِ لِمُطَالَعَاتٍ فِي عُلُومٍ يَهْطِلُ⁽¹⁾

المبحث الثالث: جهود السلطان محمد بلو (1195-1253هـ 1780-1837م):

تسلّم السلطان محمد بلو مقاليد الحكم في خلافة سكوتو بعد وفاة والده عثمان بن فودي، واستطاع واستطاع أن يوطد أركان الدولة ويوسع نفوذها، بالإضافة إلى اهتمامه بالعلم والعلماء ممّا أسهم في ازدهار ازدهار الحركة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية، علاوة على ذلك كان السلطان محمد بلو عالماً متضلّعا متضلّعا في مختلف العلوم اللّغوية، والشّرعية ويظهر ذلك في غزارة إنتاجه العلمي.

وقد تميّزت فترة حكمه بالقوة والعدل حيث استطاع تنظيم دولته التي ساد فيها الأمن والاستقرار، والحث على طلب العلم، والاجتهاد في تحصيله؛ لأنّ العلم لا يورث⁽²⁾، وقد ألزم ولاية الأمور في دولته أن ينشروا العلم والاهتمام بأهله⁽³⁾، وقد أثمرت جهود السلطان محمد بلو الإصلاحية في تحقيق الرخاء والاستقرار للدولة، فكان رجلاً يجاهد نهاره، ويكرّس ليله للعلم والتأليف وهذا ما تؤكّده مؤلّفاته التي فاقت فاقت ثمانين مؤلّفًا⁽⁴⁾.

(1) - Sambo Wali Junaidu, The Sakkwato Legacy Of Arabic Scholarship In Verse Between 1800-1890, Thesis Submitted For The Degree Of Phd In The University Of London School Of Oriental And African Studies, 1985, P295.

(2) -الحاج سعيد، تاريخ سكت، مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشر هوداس، باريس، 1966، ص 197.

(3) - Omar Bello, Op.cit, p381.

(4) - W. E. N. Kensdale, Field Notes on the Arabic Literatures of the Western Sudan: Muhammadu Bello, J. R. A. S. , No. 1/2, Cambridge University Press, 1958, pp. 53-57.

وبفضل السياسة التي انتهجها السلطان محمد بلو في تشجيع التعليم انتشرت الكتابات والزوايا في خلافة سكوتو الإسلامية، إضافة إلى المعاهد العلمية المتخصصة في مختلف العلوم الإسلامية، وقد ذكر الدكتور علي أبو بكر أكثر من خمسين معهدا للتعليم العالي منتشرة في حواضر خلافة سكوتو الإسلامية خاصة الحواضر الكبرى مثل العاصمة سكوتو وكانو وكاتسينا⁽¹⁾.

وقد عمرت بلاد الهوسا في زمانه، فشاع فيها العلم وقصدها العلماء من كل البلاد الإسلامية فكان يحسن إليهم غاية الإحسان، ولا يأتيه عالم إلا أكرمه ونظر إليه بعين الرضا ولا يفارقه⁽²⁾، منهم الحاج عمر بن سعيد الفوتي الذي لقي ترحيبا كبيرا وأغدق عليه السلطان محمد بلو بالعطايا كما زوجه إحدى بناته، وقد مكث طويلا في خلافة سكوتو مما سمح له بتوسيع معارفه⁽³⁾، وكذلك احتفائه بزيارة الشيخ قمر الدين لخلافة سكوتو في عام 1835م⁽⁴⁾.

وعلى قدر احتفائه بالعلماء كان شديدا على المارقين عن الدين من علماء السنن الذي ن يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، وقد وصفهم بلصوص الدين، وأنهم أشدّ خطرا من الشيطان، والشيطان، وأكد على وجوب حفظ الدين من هؤلاء، وأن لا يتركوا بدون حسيب ولا رقيب، منبها أن ترك شؤون التعليم والحكم والفتوى لأهل العلم والتقى دون غيرهم⁽⁵⁾.

(1)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص ص 99-124

(2)- الحاج سعيد تاريخ سكت، المصدر السابق، ص 196.

(3)- الحاج سعيد، المصدر السابق، ص 191.

(4)- هو عالم مصري بارز وصل الشيخ مع الهدايا، وأهمها كتب نادرة ومثيرة للاهتمام، وقد استحوذ كتابان بشكل خاص على فضول فضول بلو الأول كان حول النساء الصوفيات والثاني عن الطب، حيث بدأ بتصفح وقراءة كتاب صفوة الصفوة للنساء المتصوفات أنظر:

Jean Boyd and Beverly Mack, Educating Muslim women the West African legacy of Nana Asma'u (1791-1864), p81.

(5)- Omar Bello, Op.cit ,pp377-378.

ولعل مثل هذه المواقف، تبين لنا قوة التسيير وحسن التدبير لدى حكام خلافة سكوتو، وعلى قدر حزمهم تكون النهضة العلمية في الدولة، فلا مجال لعلماء السوء، ولا مكان لأهل الأهواء والبدع، وفي ذلك مصلحة عامة يقتضيها الشرع الحكيم في درء المفسد والمفسدين.

كما انتشرت في عهد السلطان محمد بلو المكتبات التي تحوي العديد من العلوم منها؛ علوم النحو والصرف، والفقه، والتفسير بالإضافة مؤلفات متنوعة من نثر وشعر، وبذلك حافظ على التراث الثقافي لوالده عثمان بن فودي وعمل على توسيع رقعة الإسلام بلاد الهوسا⁽¹⁾، واشتهر السلطان محمد بلو أيضا بكثرة اشتغاله بالتأليف وكان حين ينتهي من تأليف كتاب يخرج إلى الناس ويقرؤهم إياه، ثم ينتقل إلى تأليف تأليف كتاب آخر، وكان من أسباب التأليف لديه كثرة المسائل والاختلاف فيها تدعوه إلى بسط رأيه وحل الإشكال⁽²⁾، كما كان السلطان محمد بلو قد يشارك أخته السيدة أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي وهو ما يؤكد حرص السلطان محمد بلو في دفع الحركة العلمية والفكرية في بلاد الهوسا⁽³⁾.

وقد اتبع السلطان محمد بلو سياسة قوية في حماية ثغور الدولة الواسعة، حيث ارتكزت على تأسيس تأسيس الكثير من الرباطات ودعمها بكل ما يلزم حتى تؤدي دورها الدفاعي، كما شجع التعمير داخل حدود هذه المدن المسورة حيث يمكن فتح المساجد والمدارس وممارسة التجارة وغيرها من الأنشطة، وجلب وجلب العلماء والأئمة والقضاة والمعلمين⁽⁴⁾، فلم تكن سياسة الرباط التي انتهجها السلطان محمد بلو تستهدف فقط أهدافا عسكرية بل تستهدف أيضا تحقيق مختلف الأهداف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية عن طريق تعميرها بالسكان من الفلّان والهوسا وتوفير أسباب الاستقرار من خلال تشجيع الأنشطة الاقتصادية، والتعليم في الرباطات، وبذلك جعل منها مراكز متقدمة للمواجهات العسكرية والحدا

(1)- نيفين فؤاد عبد الخالق، عصر الخليفة محمد بلو في شمال نيجيريا 1817-1837م، اطروحة دكتوراه، إشراف عبدالله عبد الرزاق إبراهيم، جامعة القاهرة، 1999، ص 119.

(2)- الحاج سعيد تاريخ سكت، المصدر السابق، ص 196.

(3) - Jean Boyd and Beverly Mack, Op.cit, p83.

(4) -Murray Last, The Sokoto caliphate. Opcit, p80.

من المخاطر الخارجية⁽¹⁾، إلى جانب ذلك أصبحت الرباطات أيضا مراكز هامة لتعليم الناس أمور دينهم ومختلف العلوم الأخرى، بالإضافة إلى مهامها الدفاعية والاقتصادية ساهمت الرباطات في نشر الثقافة العربية الإسلامية في خلافة سكوتو الإسلامية.

كان السلطان محمد بلو يتابع أمور دولته بحرص شديد، فيقوم بمراقبة أعمال الأمراء بنفسه، أو يترك من ينوب عنه مثلما كان يفعل مع وزيره غداد بن ليم الذي كان يزود الأمراء بنصائح وتوجيهات أمير المؤمنين⁽²⁾، وهذا ما دأب عليه أمراء الولايات من الامتثال للأوامر والأخذ بالنصائح والتوجيهات، بحسن التدبير فأرسلوا الدعاة والوعظ والمعلمين إلى جميع القرى والمدن لنشر التعاليم الإسلامية⁽³⁾.

وقد كان السلطان محمد بلو على دراية واسعة بتاريخ الشعوب والأمم الإسلامية بما فيها التوسعات التوسعات التي قامت في إسبانيا، ليس هذا فحسب بل له إلمام بالمذاهب المسيحية المتعددة⁽⁴⁾، وله أيضا معرفة ببعض المجموعات النجمية، وكثيرا من النجوم، وقد بينت حوارته مع الرحالة كلابرتون معرفته الواسعة الواسعة بالأحداث العالمية كاستيلاء بريطانيا على الهند⁽⁵⁾، وكان شغوبا بتقصي الحقائق، فقد وجه أسئلة كثيرة عن أوروبا للاطلاع عن أحوالها، كما سأله عن حرب الإنجليز مع الجزائر⁽⁶⁾، وقد كانت إجابات الرحالة كلابرتون تتسم بالمرواغة أحيانا، والتهرب أحيانا أخرى، كما أنه لم يستطع أن يجاري الكم الهائل من الهائل من الأسئلة التي طرحت، كما أنه كان حريصا ومركزا على المهمة التي جاء من اجلها وهي إكتشاف إكتشاف المنطقة وتسجيل كل المعلومات المهمة.

(1) -John E. Philips, "Ribats in the Sokoto Caliphate: Selected Studies, 1804-1903" (Ph.D. dissertation University of California, 1992, p 231.

(2) -كلابرتون، المصدر السابق، ص 196.

(3) - محمد بن علي بن محمد السكاكر: المرجع السابق، ص 188.

(4) -كلابرتون، المصدر السابق، ص 186.

(5) -كلابرتون، المصدر السابق، ص ص 195-196.

(6) - حملة إكسموث على الجزائر 1816م.

وبالرغم ما ميّز عصر السلطان محمد بلو من اضطراب وفتن لبقايا الوثنية إلا أنه واصل جهود أبيه الشيخ عثمان بن فودي في جهاده ضد ممالك الهوسا الوثنية، فقد كان محمد بلو يعد نفسه للجهاد كما يعدها للقراءة، والاشتغال بالمعرفة، ومازال على حالة الجهاد حتى وافته المنية عند نهر ربما ودفن في رباط ورنو ورنو تطبيقاً لوصيته كونها محلّ الرباط الذي بناه وكانت مدّة خلافته إحدى وعشرين سنة وكانت وفاته يوم الخميس في وقت العصر في شهر رجب (1253هـ / 1837م) وعمره ثمان وخمسون سنة⁽¹⁾.

بعد وفاة السلطان محمد بلو، اجتمع الوزير غداد بن ليم مع كبار المستشارين في الدولة لاختيار الخليفة الجديد، فاختاروا شقيق بلو الأصغر أبو بكر عتيق الذي كان ورعاً وشجاعاً، ولم يرغب غداد بن ليم في العمل كوزير في عهد الخليفة عتيق، ولتجنب أيّ شقاق، عهد الوزارة إلى ابنه عبد القادر، وقد قرر الوزير غداد بن ليم مع السيدة أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي تأليف كتب تاريخية عن حياة الشيخ عثمان بن فودي والسلطان محمد بلو وغيرهما للأجيال القادمة، وأخذ كل منهم يعمل بأسلوبه المميّز، حيث تعرّضوا لمختلف جوانب الحياة في خلافة سكوتو الإسلامية⁽²⁾.

المبحث الرابع: جهود السيدة أسماء بنت عثمان بن فودي (1208-1282 / 1793-1865م):

لقد كان للمرأة في خلافة سكوتو الإسلامية مشاركة فعالة في ميدان العلوم الدينية، حيث ظهرت في هذا العصر علامات ساهمت في النهضة العلمية في شتى العلوم والآداب، ولاسيما في ميدان العليم والتأليف والوعظ، وكانت من أشهرهنّ السيدة أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي، التي شاركت في الحركة الإصلاحية التي بدأها الشيخ عثمان بن فودي، فساهمت فيها بكتاباتها وأشعارها.

وقد تميّزت السيدة أسماء بنت عثمان بن فودي عن النساء المتعلّمات في محيطها لسببين: أولهما أنّ هناك عدد هائل من أعمالها وترجماتها، ومزاياها الفكرية، والسبب الثاني يعود لشهرتها حينما أنشأت نظاماً

(1) - عمر بن محمد البخاري، تنبيه الإخوان في امر السودان، الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 5، المرجع O/AR1 ص9.

(2) - Jean Boyd and Beverly Mack, Op.cit , p88.

خاصا لتعليم النساء⁽¹⁾، يسمي يان تارو (Yan Taru)، حيث تأتي النساء من القرى ويجتمعن عندها يدرسن القرآن والتفسير، والحديث والفقه، ويتعلمن القراءة والكتابة، وبعد تفقهن يعدن إلى بلادهن للقيام بنفس الدور وهو نشر العلم، وبهذا فقد أعطت للمرأة الريفية فرصة كبيرة للتعلم، كما قامت بتدريب معلمات ليس لهن التزامات اجتماعية، للقيام بمهمة التدريس، وكل معلمة تكون على رأس دفعة من النساء تعلمهن وتلقب جاجي (Jaji)، وكان موكب معلمات يان تارو ينطلق من منزل أسماء في سكوتو العاصمة إلى القرى الريفية لتقديم مختلف الدروس وكن معلمات يان تارو يحظين باحترام الجميع من النساء والرجال، كانت النساء تسافرن بمفردهن، دون مرافقة أو حماية، ولم يتعرضن للأذى بأي شكل من الأشكال⁽²⁾

لقد كان التدريس مهنة المتعلمات من النساء في خلافة سكوتو الإسلامية، وكانت أخوات أسماء، ساهمن كذلك في التدريس وهن: خديجة، وصفية، ومريم متعلمات. وقد تميّزت حياة العاملة أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي بالنشاط العلمي والإصلاحي، حيث زاولت التدريس، وعملت على تعزيز التعليم التعليم العربي الإسلامي للنساء والفتيات، وتوفّر لهنّ مكاناً مناسباً وتزويدهنّ بالكتب وبذلك شمل التعليم معظم نساء خلافة سكوتو الإسلامية⁽³⁾.

كان الشيخ عثمان بن فودي حريصاً على تطبيق ما يدعو إليه في أهله، فقد أشرف بنفسه على تعليم زوجاته وبناته تعليماً شاملاً، فكنّ مربيات ومرشدات شاركن في عملية الدعوة كالتعليم والتوجيه⁽⁴⁾، وبذلك أصبحت أسرة الشيخ نموذجاً يُحتذى بها في مجال العلم، فقد كانت أمّه وجدّته عالمتين، وبرزت من

(1) -Ibid, p 95.

(2) -Beverly Mack , Nana Asma'u's Instruction And Poetry For Present-Day American Muslimahs, History In Africa, Vol. 38 , African Studies Association, 2011, Pp156-157.

(3) -Jean Boyd And Beverly Mack, Opcit, P 94.

(4) أحمد بوعتروس : الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 139.

بناته السيدة أسماء التي ذاع صيتها في كلّ السودان الغربي، حيث انتشرت كتاباتها وأشعارها باللّغة العربية وبغيرها، فقد ساهمت في نشر الإسلام، والتّقافة العربية الإسلامية من خلال المواضيع التي كتبت فيها مثل التّوحيد، والمدح الدّيني كذكر خصال النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم وصفاته⁽¹⁾، ومن أشهر مؤلفاتها التّعليمية كتاب: تنبيه الغافلين. ويحتوي على مواعظ وإرشادات فيما يجب فعله وما يحرم فعله، ولها مؤلّف آخر حول خصائص القرآن⁽²⁾، ومن مساهماتها أيضا عملها في مجال الترجمة لنقل المعارف من لغة إلى لغة أخرى، حيث قامت بترجمة الكثير من الأعمال بلغات متعدّدة من العربية إلى الهوسية والفلاّنية وغيرها⁽³⁾، التي بيّنت نظرتها الثاقبة ونضجها الفكري في معالجة مختلف القضايا المتعلقة بإصلاح المجتمع الهوساوي⁽⁴⁾.

كانت بعض الأعمال الشّعريّة التي كتبتها السيدة أسماء مناهج دراسية في شكل قصائد، حفظتها المنتسبات لنظام يان تارو ثم علموها لطلاب المناطق الريفية عن طريق التلقين، وقد تضمنت موضوعات هذه القصائد تعليمات عن القرآن، وإرشادات حول التصوف، وكيفية أداء الصلوات، ودروس في التاريخ التاريخ عن النّساء المتصوفات، وأعمال أخرى تشرح طرق العلاج عن طريق الطب النبوي، وسرد معارك معارك الجهاد، ومن جانب آخر كان للسيدة أسماء قصائد في سيرة ومدح الرّسول صل الله عليه وسلم، ومراثي تمجد فيها شخصيات من النّساء، والرّجال برزوا في خلافة سكوتو، ومنها أيضا مراثيات للأصدقاء، وللأصدقاء، وهكذا دورها في إصلاح المجتمع من خلال تدريب المعلمين لمساعدة النّساء اللّواتي فقدن أزواجهن في الجهاد، وضمان قيامهن بدورهن في تعليم أطفالهن مبادئ الإسلام الصحيح⁽⁵⁾.

المبحث الخامس: جهود العلماء والوزراء في الحركة العلمية لخلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا):

(1)- Jean Boyd: Distance Learning from Purdah in Nineteenth-Century Northern Nigeria: The Work of Asma'u Fodiyo, Journal of African Cultural Studies, Vol. 14, No. 1, Islamic Religious Poetry in Africa, 2001, p15.

(2) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 187.

(3)- Beverly Mack , Op.cit, P157.

(4)- Nikki Merritt, Nana Asma'u, Her Elegies and the Possibility of 'Insider Alternatives', African Languages and Cultures, Vol. 7, No. 2, Taylor & Francis, Ltd, 1994, p91.

(5)- Beverly Mack , Op.cit, p157.

1- دور العلماء في خلافة سكوتو الإسلامية:

دأبت النهضة العلمية والحركة الفكرية في بلاد السودان الغربي عموماً على تبادل المعارف وترسيخ العلوم العربية والإسلامية، حتى برزت طائفة من العلماء والفقهاء والأدباء، في مختلف حواضر السودان الغربي، وبذلك تشكلت طبقة سودانية متشعبة بالثقافة العربية الإسلامية ساهمت في ازدهار الحركة العلمية العلمية والإصلاحية؛ ابتداءً من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، حيث جعلت من هذه الحواضر الإفريقية منطلقاً لها وربطتها فكرياً وحضارياً بالعالم الإسلامي⁽¹⁾.

وبحكم أنّ خلفاء خلافة سكوتو الإسلامية كانوا علماء وعلى دراية كبيرة بشؤون الحكم والسياسة فقد استعانوا في تسيير شؤون الخلافة بالعلماء وأسندوا إليهم الوظائف الإدارية والسياسة، وبالرغم من تولى هؤلاء العلماء هذه المهمات والمناصب الإدارية إلا أنّهم استمروا في تأدية رسالتهم التعليمية⁽²⁾، فمنهم من تولى منصب القضاء ومارس التعليم في إحدى المعاهد الدينية، واستطاع التوفيق بينهما متحماً تلك المسؤولية الشاقة، وهذا دليل رسوخهم في مختلف العلوم، وحرصهم على نشر العلم.

إنّ تأثير العلماء في بلاد السودان الغربي كان منذ قرون، ذلك أن كثيراً من علماء تلمسان وفاس وفجيج وسوس يقصدون حواضر السودان الغربي، ومن بينها غاو وتبكتو فيستقر بعضهم بصفة دائمة، بينما يقيم فيها آخرون لفترة محدودة قبل عودتهم إلى أوطانهم، وعلى هذا الأساس نجد أنه قد وفد الكثير من العلماء قاموا بمهمة التدريس في مدارس حواضر غرب إفريقيا، وبذلك أسهم هؤلاء العلماء المغاربة بقسط كبير في نشر العلوم والثقافة العربية الإسلامية⁽³⁾، ومن أمثال العلماء نجد الشيخ محمد بن عبد

(1)- حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا القاهرة . 1963، ص 10، 11.

(2)- علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، المرجع السابق، ص 110.

(3)- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976، ج 1، ص

الكريم المغيلي والشيخ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي⁽¹⁾، ومنهم أيضا الفقيه عقيب العثماني الذي زار حاضرة كاتسينا وتصدّر فيها مجالس التعليم قبل أن يرجع إلى مراكش توفي (940هـ/1533م)⁽²⁾، ومن علماء بلاد السودان الغربي نجد الفقيه العالم الكبير أحمد بابا التمبكتي بن عبد الله بن عمر بن محمد آقيت (1463-1548م)، ومنهم أيضا الشيخ جبريل بن عمر⁽³⁾ الذي يعدّ من كبار شيوخ العلم في زمانه، أخذ عن الشيخ علي حسب والشيخ محمد مرتضى وعن الأخوين أبي بكر بن الحاج عثمان وعلي بن الحاج عثمان⁽⁴⁾، إلى غير ذلك من علماء الأمة الإسلامية الذين كانت تعج بهم مساجد ومدارس البلاد السودانية

(1)- الشيخ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي: رحل إلى المغرب لطلب العلم وتتملذ على ابن غازي وغيره من علماء المغرب ثم رجع إلى السودان وزار بلاد كانو وكاتسينا وأغداس وغيرها، واستفاد منه أهلها فذاع صيته وتوافد عليه الطلاب من بلاد السودان، وانتشر علمه واشتهر بقوة الحافظة، ودخل تمبكتو ودرس بها، ثم رجع إلى المغرب فدرس بمراكش ثم أب إلى بلاده تمبكت وتوفي بها سنة 940هـ أنظر نيل الابتهاج ص 344، وتاريخ السودان ص 39، وفتح الشكور في علماء التكرور ص 146.

(2)- Rasheed A. Raji, Katsina as the gateway of the earliest Muslim scholars and learning in Nigeria: the case study of Mahd literature, Ismaila A. Tsiga, Abdlla U. Adamu , Islam and the History of Learning in Katsina, Ibadan,1997, p179.

(3)- الشيخ جبريل بن عمر الأغدسي: من بين العلماء الذين احتلوا في بلاد النيجر و السودان الغربي مكانة مرموقة، كان ممن حملوا لواء العلم والإصلاح، أخذ العلم في بلاد أهير و الهوسا و من شيوخه على حبّو، و الشيخ الحاج عثمان، والشيخ علي عثمان، الشيخ يوسف الحفناوي بالحجاز، والشيخ مرتضى الزبيدي الذي أجازته في كثير من العلوم، ثم رجع إلى أغاديس وتصدر للتدريس وناهض بعض التقاليد المخالفة للإسلام في بلاد السودان الغربي، تتلمذ على يديه الكثير من الطلبة من بينهم عثمان بن فودي و أخوه عبدالله، وقد قام الشيخ جبريل بدور كبير في نشر الإسلام وكان له تأثير البارز على الحركات الإصلاحية في السودان الغربي خاصة حركة تلميذه عثمان بن فودي، توفي الشيخ جبريل عام 1789، ودفن في قرية آريوا بإقليم تاوا في النيجر، أما آثاره العلمية منها منظومته التي أوردها تلميذه عثمان بن فودي في كتابه شفاء الغليل، ومنظومة أخرى أوردها في كتابه الآخر نصائح الإخوان، وكتابه البلوغ النافع على أصول الكوكب الساطع أنظر علي يعقوب ، شيخ الإسلام في السودان الغربي جبريل بن عمر الأغدسي حياته وحركته الإصلاحية، مقالة مجلة الرابطة، ع548، الرياض، 2012، ص ص 65-67. الألوري آدم عبدالله، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص ص 90-91.

(4)- الألوري آدم عبدالله، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص 90.

ومن العلماء الذين زاروا المنطقة العالم محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذختي⁽¹⁾ ومن العلماء المشاركة نجد جلال الدين السيوطي الذي زار المنطقة وانتفعت بعلمه.

لقد تمّ الحفاظ على المخطوطات الكثيرة التي تحمل تاريخ هذه الحركات الإصلاحية، حيث كان العديد العديد من المصلحين الذي ن كان لهم إنتاج أدبي كبير باللغة العربية التي تعتبر اللغة الرسمية لهذه الحكومات، الحكومات، فكانت المراسلات الإدارية والدبلوماسية باللغة العربية دليل واضح على العناية بهذه اللغة خاصة خاصة من طرف العلماء الذين يشتغلون أعلى المناصب في خلافة سكوتو⁽²⁾.

وغالبا ما تكون لغة الشرح في الدروس التي يقدمها العلماء باللغات المحلية؛ لذا كان لزاما على الطلاب تعلم هذه اللغات لفهم الدروس وترجمتها، فإذا كان شيخه هوساويا تعلم الطالب لغته ليدرس بها بها العلوم، وإذا كان فلانيا تعلم لغته أيضا ليدرس بها، وهكذا مع كل اللغات المحلية الأخرى، وتتم ترجمة ترجمة الدروس من الهوساوية أو الفلانية إلى اليورباوية، وفي نظامهم التعليمي غالبا ما كان المشايخ وطلبتهم وطلبتهم يقسمون اليوم إلى ثلاث فترات: فترة للتعليم والتعلم وتبدأ من الصبح إلى الظهر؛ وفترة لمزاولة نشاط نشاط معين من الحرف لاكتساب المعيشة منها وتبدأ من الظهر إلى العصر؛ وفترة للبيع والشراء لعرض مصنوعاتهم الحرفية في السوق وتبدأ من العصر إلى المغرب⁽³⁾.

(1) - محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذختي: قال عنه السعدي : كان فقيها عالمة فهامة محدثة متفنة محصلا جيد الخط، رحل إلى المشرق صحبه الفقيه محمد بن عمر أقيت، وتلمذ في مصر على علماء أجلاء كشيخ الإسلام زكريا والبرهانين: القلقشندي وابن أبي شريف وعبد الحق السنباطي، فأخذ عنهم علم الحديث، وسمع وروى، واجتهد حتى صار من المحدثين، وحضر ودرس الأخوين اللقائين وتصاحب مع أحمد بن محمد وعبد الحق السنباطي شيخه وأجازه من مكة أبو البركات النويري وابن عمته عبد القادر وعلي بن بن ناصر الحجازي وأبو الطيب البستي وغيرهم ثم رجع إلى بلاد السودان، فتوطن كشنا فأكرمه سلطانها وولاه قضاءها، وتوفي سنة 936هـ، وله تقييد نافع على مختصر خليل. أنظر: تاريخ السودان ص 39 - 40 ، وإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص 10.

(2) - H. F. C. Smith, Nineteenth-Century Arabic Archives of West Africa, The Journal of African History, Vol. 3, No. 2, Third Conference on African History and Archaeology: School of Oriental and African Studies, Cambridge University Press, University of London, 1962, pp. 333-334

(3) - الألووري آدم عبدالله ، لمحات البلور في مشاهير علماء الورد، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 2012، ص 11 - 12.

كما اهتمّ العلماء بقضايا عصرهم؛ فعكفوا على تأليف الكتب الدينية والرّسائل والشّروحات التي تعالج المسائل الدينية والمشاكل الاجتماعية، كما ندبوا أنفسهم لتسجيل تاريخهم، وبسط أفكارهم، والرّد على على أعدائهم وخصومهم، وألّفوا أيضا كتباً في السياسة الشّرعية ونظمها الإدارية المستتبطة من الكتاب والسنة⁽¹⁾.

ومن العلماء الذين انتشروا في بلاد الهوسا لنشر الدعوة الإسلامية، الشّيخ سليمان على إقليم كانو، والشّيخ عمر دلاج الذي كان حاكماً على كاتسينا، والشّيخ يعقوب الذي كان حاكماً على بوشي، وبوبايرو الذي كان حاكماً على غمي، والشّيخ موسى الذي كان حاكماً على زاربا، والمعلم إسحاق الذي إسحاق الذي كان حاكماً على دورا، أما الشّيخ عبد الله كان حاكماً على كبي، والمعلم زاكي حاكماً زاكي حاكماً على إقليم كتانغوم، وغواني مختار على ضواحي إقليم بورنو، أمّا الشّيخ عبد السلام الذي كان السلام الذي كان على إقليم إلورن بعد وفاة أبيه الشّيخ عالم بن جنتا، ومحمد أهي بولو تولى إقليم باقمي باقمي كلفو، حيث تحت إمرة كل واحد منهم رجال مقاتلون، لبسط فروض الطاعة، وبثّ الأمن، وكانوا وكانوا مزودين بالكتب خاصة مؤلّفات قادة خلافة سكوتو⁽²⁾.

وعلى هذا الأساس نجد العلماء يقومون بمهام كثيرة؛ فكانوا يشاركون في التعليم والتأليف، ويتنقلون في ويتنقلون في مجالس الوعظ والإرشاد، وكانوا يتعاونون مع الحكام والأمراء في تسيير شؤون الدّولة في شتى شتى المصالح الإدارية، فكان بعضهم يتولّى المناصب الإدارية كالقضاء، وبعضهم يتورّع عن تقلّد المناصب ويتعد عنها⁽³⁾، وكان العلماء لشدة حرصهم يقرؤون الكتب مكتوبة على الألواح ليحفظوها بسبب ندرة الأوراق مستعملين الحطب للإنارة في القرى، والقناديل الزيتية في المدن⁽⁴⁾.

(1) - شيخو أحمد سعيد غلادينث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، دار المعارف، 1998، ص 159.

(2) - عثمان براىما بارى، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، دارالأمين، القاهرة، 2000، ص ص 129-130.

(3) - الالورى آدم عبدالله، لمحات البلور، المرجع السابق، ص 22.

(4) - نفسه، ص 11.

كما كان حكام خلافة سكوتو يلازمون العلماء يستفتونهم ويقرؤون لهم القرآن الكريم في منازلهم، فكان السلطان محمد بلو ملازمًا للفقهاء التواتي الشيخ محمد الوردى⁽¹⁾، وبرز من العلماء أيضا المعلم سعيد الذي كان يتذاكر مع السلطان محمد بلو في داره القرآن ومختلف العلوم، ومن كبار العلماء أيضا الشيخ مود مامار الذي تقابل مع الشيخ عبد الله بن فودي في مناظرة لصحيح البخاري، والمعلم علي الفقيه⁽²⁾، وكان أيضا الشيخ حسين طندب يقرأ خمسة أحزاب كل ليلة بعد العشاء في منزل الأمير علي بن محمد بلو، ولما توفي جعل مكانه الفقيه الحاج سعيد⁽³⁾.

وكان العلماء في خدمة ولاة الأمور وعامة الناس على حدّ السواء، فقد طلب أمير المؤمنين أحمد الرفاعي من الشيخ عثمان بن إسحاق أن يؤلف كتابا في أمور الدين، يكون سهلا على فهم العامة، فوضع فوضع كتابا أسماه: سلم الهداة في معرفة أركان الصلاة يقع في ست وثلاثين صفحة⁽⁴⁾.

يطلق لقب صاحب النص القرآني على رئيس المجلس الشورى في القسم الغربي من خلافة سكوتو الإسلامية، ومن أبرز العلماء الذي ن حازوا هذا اللقب الإمام الفلاني بيسانى، والإمام الملوي أبو بكر، والإمام الهوساوي عبد المؤمن، ومهمة مجلس الشورى هي الوعظ والإرشاد ونصح الحاكم وإصدار الفتاوى الفتاوى والأحكام الشرعية، وكان العلماء يعقدون مجالس الذكر في شهر رمضان في حضرة الأمير، ومنهم ومنهم من كان يفضل التنقل ويعقد مجالس الوعظ والإرشاد في مختلف المدن والقرى من بلاد اليوربا، وهناك وهناك من يبقى ملازما لمنطقته يدرّس فيها⁽⁵⁾، كما كانوا يحثون على طلب العلم، وظهر ذلك في أغراضهم الشرعية، فقد أكثروا من قصائد مدح العلم وأهله والحث على طلبه، ومن ذلك قول ابن الصباغ الكشناوي:

فَهَذِهِ أَرْجُوهُ فَوَزَةُ الْفِتْيَانِ
عَلَى طُقُورِ التُّورِ بِالْعِصْيَانِ

(1)- كلابرتون وآخرون، المصدر السابق، ص 193.

(2)- الحاج سعيد، تاريخ سكت، المصدر السابق، ص 199

(3)- نفسه، ص 219.

(4)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 187.

(5)- الألورى، لمحات البلور، المرجع السابق، ص 18-19.

الْعِلْمَ نُورَ اللَّهِ كَالْإِيمَانِ يُنْقِصُهُ تَلَبُّهُ الصَّيِّبَانِ
وَالزَّمَّ هَدَيْتُ الثُّوبَ بِالْجَنَانِ وَسَتَّصَحَبُ الْأَعْمَالُ بِالْأَرْكَانِ
قَالَ وَكَيْعُ صَاحِبِ التَّبَيَّانِ الْعِلْمَ نُورَ اللَّهِ يَا إِنْسَانِ (1)

لقد اتبع الفوديون نهج الحكام المسلمين في البلاد الإسلامية في رعايتهم للعلوم والآداب والفنون، وتنافسوا في ذلك، وشجعوا التعليم لتطوير وإثراء العلوم والآداب، وللشيخ عبد الله بن فودي قصيدة حائية حائية أسماها رسالة النصائح جمع فيها كثير من النصائح التي تمم كل الناس وبالأخص طبقة العلماء وفتنة طلاب العلم ومن أبياتها:

أَلَا أُبْلِغَنَّ عَنِّي لِحَيِّ رِسَالَةٍ تَعِيهَا زُجَّالٌ أَوْ نِسَاءُ صَوَالِحِ
لِعَالَمَهُمْ أَوْ طَالِبِ الْعِلْمِ رَائِمِ لِإِظْهَارِ دَيْنِ اللَّهِ فِيهِ بِنَاصِحِ
إِتِّبَاعِ الْقُرْآنِ وَالنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ وَتَابِعُهُمْ تَرْيَاقٌ مِنْهُ هُوَ صَالِحِ
وَكَتَبَ تُرَاعِي سَنَّهُ مِثْلُ مَدْحَلِ وَمُسْتَحْرَجَاتٍ مِنْهُ فِيهَا نَصَائِحِ
كَتَبَا فِيهَا وَكَذَاكَ إِحْيَاءِ سَنَةِ لِيَابِ طَرِيقِ الصَّالِحِينَ مُصَالِحِ
عَزَاهُمَا وَكَذَاكَ زُرُوقِيَهُمَا عَطَائِيَهُمَا تُشْفَى بِهِذِي الْقَبَائِحِ
بِحَائِيَهُمَا أَوْ مَاخِذَ حُدُودِهَا وَلَا يُعَامِلُهَا مَعْشُوقٌ دُنْيَاهِ طَائِحِ

2- دور الوزراء في الحركة العلمية خلافة سكوتو الإسلامية:

(1)- الالوري، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، 2012، ص 77.

بحكم أن الوزير في خلافة سكوتو مسؤولاً مباشراً عن التعليم، فإن ذلك شجّع التعليم القرآني، وجعله ممكناً في منزله أيضاً، كما نجده قد دعم العلماء والمدرّسين لإرشاد طلابهم في مختلف العلوم الإسلامية، مع تحمّله أيضاً مسؤولية إضافية وهي مساعدة الأئمة في قراءة القرآن، وكانت عائلة الوزير أيضاً في حدّ ذاتها تمثّل النخبة المثقفة من العلماء، والقضاة، ساهمت بشكل كبير في النهضة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية⁽¹⁾. وكان الوزراء ممثلين لأمير المؤمنين ومكلفين بأعمال إدارية في مختلف إمارات الخلافة، كما قاموا إلى جانب مهامهم الإدارية بالإشراف على بناء المساجد وعمارتها، ومراقبة المدارس والسهر على شؤون التعليم، وكانوا يعملون تحت توجيه وإرشاد أمير المؤمنين⁽²⁾.

أدى وزراء الخلافة دوراً كبيراً في بثّ العلوم والمعارف، ولعل من أبرزهم الوزير غداد بن ليم الذي استوزر للشيخ عثمان وابنه محمد بلو وحفيده علي بابا، وكان عالماً متبحراً في العلوم وتعدّ مؤلفاته في التاريخ والتوثيق مصدراً هاماً للمؤرخين، وقد جعل بيته مقصداً للعلماء والطلاب وللتعلم والمناظرة، كما كان كان يساعدهم ويشجعهم بالهدايا⁽³⁾. ونظراً لشهرة أسرة الوزير غداد بالعلم والتقوي فقد انحصرت الوزارة في هذه العائلة، وأصبح منصب الوزير الأوّل وراثياً فيها، وكان اختيار الوزير الجديد على أساس الكفاءة العلمية، حيث عرف على كل من تعاقبوا على هذا المنصب بغرزة العلم والمعرفة نظراً لمؤلفاتهم العديدة في مختلف صنوف العلم⁽⁴⁾.

وقد عُرف الوزير غداد بن ليم اهتمامه الكبير بالعلم والتعليم، فقام بتشيد المساجد وعمارتها، وتطوير المدارس القرآنية، والعلوم الإسلامية⁽⁵⁾، وقد كان الوزير غداد منهمكاً طوال وقته في حثّ العمال حرصاً

(1)- Murray Last, The Sokoto caliphate, Opcit, p182.

(2)- السر سيد محمد العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكتية، المرجع السابق، ص 43.

(3)- عبد الرحمن محمد علي المكي، مؤسسات التعليم العربي الإسلامي في شمال نيجيريا 1200-1400هـ، الفاتح أحمد عبد السلام، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 1987، ص 63.

(4)- السر سيد احمد العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكتية، المرجع السابق، ص 47.

(5)- نفسه، ص 49.

على إكمال بناء المسجد الثاني في مدينة سكوتو قبل دخول موعد شهر رمضان⁽¹⁾، وهكذا نجد حرص كل مسؤول في خلافة سكوتو الإسلامية على تأدية مهامه على أكمل وجه متحلياً بالقيم الفاضلة التابعة من الدين الإسلامي الحنيف.

من خلال ما سبق، تبين لنا أنّ هناك مجهودات كبيرة بذلت في سبيل نهضة علمية وثورة فكرية كانت كانت من صنيع قادة وعلماء خلافة سكوتو الإسلامية، حيث بذلوا ما في وسعهم من أجل إعلاء كلمة الله، ونشره دينه، وقد قيّض الله في هذه البلاد رجالاً عرفوا بحقيقة العلم ومآله فركبوا كل صعب في سبيل سبيل تحصيله، رغم استمرار الفتن والمحن في خلافة سكوتو الإسلامية من طرف أعدائها الوثنيين، الذين في كل مرة تتم هزيمتهم يعيدون الكرة تلو الأخرى محاولين القضاء على خلافة سكوتو، لكن حكام سكوتو واصلوا مسيرة الجهاد والإصلاح التي بدأها الشيخ عثمان بن فودي مع ثلّة من العلماء، وأكملها خلفاؤه من بعده حتى أسقطها الاحتلال البريطاني سنة 1321هـ/1903م.

كان للحكام أثرهم الكبير في ازدهار الحركة العلمية في بلاد الهوسا، ويعدّ عصر خلافة سكوتو خلال القرن الثالث عشر هجري/ التاسع عشر ميلادي في بلاد الهوسا بمثابة الانطلاقة الواسعة في ميادين الحضارة والبناء الفكري، وكانت جهود حكّامها عاملاً أساسياً في هذه الوثبة العلمية الحقيقية، لما قدّموه من خدمات جليلة خدمة للعلم والعلماء، كما حاربوا الأهواء والبدع وأصحابها من علماء السوء، ونصبوا ونصبوا العداً لحكام الجور والظلم مجاهدين ومصلحين في هذه البلاد، فتجذّر فيها الإسلام الصحيح، وترسّخت معالمه بالعلوم الشرعية، وانتشر التعليم في حواضر خلافة سكوتو الإسلامية، وامتألت مراكزها مراكزها التعليمية بطلبة العلم، فعجّت مراكزها التعليمية بالطلاب، وضجّت مدنها فتوسّعت وازدهرت.

وقد حاول بعض الباحثين خاصة الأوربيين تفويض الدور الحضاري لخلافة سكوتو الإسلامية بالربط بالربط بين حركة الجهاد الإصلاحية وتأسيس خلافة سكوتو باعتبارها حركة عنصرية قام بها عناصر من قبيلة

(1)- كلابرتون، المصدر السابق، ص 201.

قبيلة الفلّان فرضوا على ممالك الهوسا أفكارهم، كما أتهمّ خربوا وأحرقوا الإرث التاريخي لهذه الممالك، وبذلك عمت الفوضى ولم تتوقّف الاضطرابات والفتن.

وهنا لا بدّ من الرّد على هذا الافتراء بأن هذه الفرضية تتعارض مع حقائق العصر الذهبي للحركة الثقافية والنشاط العلمي في بلاد الهوسا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، فعلى الرّغم من استمرار حركات التمرد للقبائل الوثنية التي أثّرت على الحياة السياسية، فإنّ النشاط العلمي والثقافي قد بلغ نسبة كبيرة من التّقدم والتطور، وظهرت أعلى مستوياته من خلال الإنتاج العلمي والأدبي في مختلف العلوم الإسلامية والعلوم العربية، وبرز الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء المتصلّعين، ممّا أدى تحسين المستوى التعليمي في خلافة سكوتو، ونتج عن ذلك إنتشار الإسلام وترسيخه، وانتشرت معه اللّغة العربية وآدبها، وأصبحت اللّغة الرّسمية للدولة ولغة دواوينها وعلمائها وقضاةها وأدبائها، وأضحّت لغة التّعامل والتّجارة والمراسلات.

خلاصة الفصل:

ومما تقدّم يمكن القول، بأنّ الحياة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية تميّزت بمظهرين: المظهر الأول الأول تميّز بتأسيس الجانب العلمي لخلافة سكوتو الإسلامية، وضع له قاعدته العلمية القادة الأوائل للخلافة وهم من طبقة العلماء الذين اشتغلوا بالعلم والتّأليف والفتوى وظهر جليّاً عند عثمان بن فودي وعبد الله بن فودي ومحمد بلو، ثم أتت مرحلة ثانية أصبح فيها الأمير ليس بعالم، وإنّما مستعينا بعلماء يحسنون فنّ الكتابة ومعرفة القواعد الشرّعية، وهذا ما جعلهم ينفصلون عن المرحلة الأولى من الحكم بحيث بحيث أصبح الأمراء لهم دور سياسي، بينما للعلماء دور ثقافي وديني استمدوا علمهم من المذهب المالكي الذين أضافوا إليه نوازلاً خاصة بهم، كعلم الفلك ومعرفة أوقات دخول الصلاة وتبوع الأشهر القمرية، وكانت وكانت تعقد المجالس العلمية المختلفة التي يتبادل فيها العلماء مختلف المعارف العلمية والآراء الفقهية والفتاوى، بحيث لم يكن لهاته المجالس مكان معيّنًا، ووقتًا محدّدًا لعقدتها، بل تعقد بحسب الظروف المناسبة والحاجة لها.

ومّا يبرز ازدهار الحركة العلمية في خلافة سكوتو كثرة العلماء، والقراء، وطلبة العلم، إضافة إلى كثرة المساجد، والكتاتيب، والمعاهد الدينية، التي ساهمت في انبعاث الحركة العلمية، وانتعاشها في الحواضر القديمة، مثل حاضرة كانو، وكاتسينا، وزاريا، كما تدعّمت الخلافة بظهور عدّة حواضر جديدة، مثل العاصمة سكوتو التي أصبحت فيما بعد منارة علمية ساهمت بشكل كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد الهوسا وغيرها من الحواضر. وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الموالي للوقوف على تاريخ ونشاط هذه الحواضر العلمية.

الفصل الثالث: الحواضر العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا)

- تمهيد

- المبحث الأول: حاضرة كانو (Kano)

- المبحث الثاني: حاضرة كاتسينا (katsina)

- المبحث الثالث: حاضرة زاريا (Zaria)

- المبحث الرابع: عاصمة الخلافة حاضرة سكوتو (Sokoto)

- المبحث الخامس: حاضرة غواندو (Gwando)

- المبحث السادس: حاضرة أدماوا (Admawa)

- المبحث السابع: حاضرة باوتشي (Bawtshi)

- المبحث الثامن: حاضرة إلورن (Ilorn)

- خلاصة الفصل

- الفصل الثالث: الحواضر العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا)

- تمهيد:

ستعرض في فصل الحواضر العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية إلى عدّة حواضر انتشرت في أنحاء الخلافة المترامية الأطراف، وهذا يدلّ على انتشار الإسلام واللغة العربية، ورسوخ الثقافة العربية الإسلامية، وما يميّز خلافة سكوتو الإسلامية أن بعضاً من حواضرها كان موجوداً بحكم التأثير السابق كحاضرة كانو وكاتسينا وزاريا، وهناك حواضر جديدة ظهرت بفضل الاستقرار. وكان لها نفس الدور الذي قامت به الحواضر السابقة. ونذكر منها العاصمة سكوتو، وحاضرة أدماوا وباوتشي وإلورن، وستتطرق إلى الحواضر التي كان لها السبق التاريخي والحضاري، ثمّ نعرّج على باقي الحواضر الأخرى.

- المبحث الأول: حاضرة كانو Kano:

من الحواضر التي كان لها السبق في الإسلام في بلاد الهوسا هي حاضرة كانو، وهذا يرجع إلى تقبل ملوكها الإسلام إضافة إلى التجارة باعتبارها محطة للتبادل التجاري، وملتقى القوافل التجارية الصحراوية القادمة من شمال إفريقيا خاصة طرابلس وغدامس وتوات وغات، هذه العوامل أهلتها أن تكون حاضرة إسلامية عامرة بامتياز. وبذلك تعتبر كانو أحد المراكز العلمية الحيوية في خلافة سكوتو الإسلامية، وهي مدينة قديمة، كان لها الحظ الأوفر في حفظ تاريخها بفضل حولياتها، وثراء رواياتها الشفوية⁽¹⁾.

وتعدّ كانو أشهر إمارة في بلاد الهوسا، وهي إقليم شاسع مترامي الأطراف على بعد خمسمائة ميل شرق نهر النيجر، ويحدّها من الغرب إقليم أغاديس⁽²⁾، ويحتوي إقليم كانو على أثمار وجبال ووديان

(1)- تاريخ تأليف هذه الحوليات حوالي 1890م، واعتمدت على نصوص قديمة سابقة للجهاد، وتذكر حوالي 48 ملكاً من ملوك الهوسا بعد 1807م من باغودا إلى محمّد بلو وهي مكتوبة بالعربية ونقلها بالمر إلى الإنجليزية 1908م.

(2)- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص 173. مارمول كرنجال، إفريقيا، ج 3، تر: محمّد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989، ص 207.

وسهول، ممّا ساعد على وجود الأشجار المتنوّعة فهي بلاد بركة⁽¹⁾، ومدينة هذا الإقليم لها سور مبني بالركائز والطّين، ودورها مبنية بنفس المواد⁽²⁾.

لقد كانت كانوا من أعظم الإمارات في بلاد الهوسا، فهي الأكثر سكانا، وموقعها المركزي أهلها لتكون ملتقى القوافل التجارية التي تدفقت من طرابلس عبر غدامس وغات، حيث كانت أسواقها عامرة ومزدحمة بالتجار والحرفيين، الذين كانوا متلهّفين للعمل كسماسرة لشراء الفائض من السلع، وتصديرها إلى المدن المجاورة⁽³⁾، كما كانت أسبق ممالك الهوسا دُحولا في الإسلام، وذلك في القرن الثامن الهجري أي الرابع عشر ميلادي، في عهد الملك ياجي بن تساميا (750-787هـ / 1349-1389م) حين وفد إليها جماعة من العلماء الونغايرة من مالي دعوا ملوكها إلى الإسلام فاستجابوا لهم، وقد قاد هذا السّاركن⁽⁴⁾ حروباً طويلة ضدّ الوثنيين في إمارته، وانتصر عليهم وحطّم أوثانهم وبنى مسجداً في مكان الصنم الذي كانوا يعبدونه⁽⁵⁾.

وقد احتلت حاضرة كانوا مكانه كبيرة في عهد ملكها التاسع عشر يعقوب بن عبد الله بورجا (856-867هـ / 1453-1463م) كان ملكا صالحا حيث جاء في عهده وفد كبير من الفلّان يحملون معهم كتب التوحيد والفقهِ⁽⁶⁾، كما هاجر إليها عرب الشّمال وقبائل الصّحراء، وانتعشت تجارة الملح، ونما التبادل التجاري بينها وبين مناطق الجنوب، وقصدها كبار التجار والأعيان والأثرياء، وازدهرت فيها العلوم الدّينية وانتشر التّعليم في المساجد والكتاتيب القرآنية⁽⁷⁾.

(1)- محمّد بلّو، إنفاق الميسور، المصدر السّابق، ص44.

(2)- الحسن الوزان، المصدر السّابق، ص173.

(3)- M. G. Smith, Government in Kano 1350-1950, West view Press, pp 22-23.

(4)- السّاركن: بلغة الهوسا تعني الملك أو الحاكم.

(5)- H. R. Palmer: The Kano Chronicle, Vol 38, The Journal of the Royal Anthropological, Institute of Great Britain and Ireland, ,1908, pp70-72.

(6)-H. R. Palmer: The Kano Chronicle, Op.cit, 1908, pp 76-77.

(7) يحيى بوعزير، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، ط خ، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 116.

ومن أشهر ملوك حاضرة كانو السّاركن محمّد رمفا (840هـ / 1436-905هـ / 1499م)، إذ في عهده شهدت كانو أزهي عصورها، وقدمها الشيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي، وقطنها وتولّى بها القضاء والإفتاء⁽¹⁾، وطلب منه الأمير أن يكتب له رسالة في أمور السّلطنة وشؤونها وكيفية ممارسة الحكم فكتبها له عام (898هـ / 1492م)، وقد شيّد الساركن رمفا عدداً من المساجد، وشجّع التعليم، وبنى عدداً من الدّور والمساكن، وبنى حولها سوراً له سبعة أبواب⁽²⁾، فأصبحت مركزاً ثقافياً، وتجارياً هاماً في بلاد الهوسا، جعلها مقصداً للطلّاب، والعلماء، وكذا قوافل التّجارة⁽³⁾، ولعل زيارة الشيخ المغيلي كان لها الأثر الإيجابي فتعدّى مدينة كانو إلى ما جاورها من المدن، وبذلك استمرّ الإسلام يتّسع، وتنتشر معه الثقافة العربية مما ساعد هذه المدينة على أن تصبح مركزاً قوياً ثقافياً وتجارياً بامتياز.

وقد دخلت تحت سيطرة الحاج أسقيا محمّد الأوّل سنة (919هـ / 1513م) في عهد ملكها الثاني محمّد كزولي⁽⁴⁾، إلا أن التّراعات القائمة بينها وبين جاراتها سلبتها أهمّيّتها، ففي القرن الحادي عشر الهجري/ السّابع عشر الميلادي، أصابها ضعف شديد جرّاء الهجوم الذي شنّته عليها كلٌّ من برنو من الشّرق وكبي وكاتسينا من الغرب، وخلال القرن الثامن عشر الميلادي تعرّضت كانو لغزو من طرف زمفرا وغوبر، فتدهورت أوضاعها الاقتصادية والسّياسية، وغادرها عدد كبير من النّاس، وبقيت تصارع صامدة، حيث تمكّنت من استعادة استقلالها عدّة مرّات، إلى أن دخلت تحت نفوذ الشيخ عثمان بن فودي في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي⁽⁵⁾، لتصبح من أهمّ الحواضر تطوّراً وأكثرها ازدهاراً في مختلف المجالات واتّسع عمراتها وعمرت أسواقها وزادت شهرتها في الآفاق حيث أصبحت مقصداً للتّجار والدّعاة والعلماء وطلبة العلم.

(1)- الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، 2012، ص ص 70-71 .

(2)- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 116.

(3)- الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السّابق، ص 71. شيخو أحمد سعيد غلادنت، المرجع السابق، ص 48.

(4)- نفسه، ص 148.

(5) يحي بوعزيز، المرجع السّابق، ص 117.

لقد كانت تأثيرات الإسلام على بلاد الهوسا قوية الذي جاءها من الأقاليم التي تقع إلى الشرق منها أو التي تجاورها مجاورة مباشرة وهي مملكة البرنو التي بلغت بلغت تفوقا حضاريا كبيرا مما جعلها تحتل مكانه بين ممالك السودان الغربي، مما ولد علاقات ثقافية بين برنو وبين إمارات الهوسا، على أن هذا التأثير الحضاري القوي وذلك بسبب وقوع هذه الإمارات في منطقة الاحتكاك الحضاري بين برنو وبلاد غرب القارة⁽¹⁾، وقد شهدت مدينة كانو تواصل علمائها من الكانويين مع علماء جنى في سنغاي وبرني في برنو وغير ذلك من المراكز الإسلامية التي تم الاحتكاك بها وتبادلت معها الزيارات والبعثات العلمية ونهلت منها مختلف العلوم⁽²⁾.

وكان لوقوع إقليم كانو على طريق الحج أن جعل منه محطة مهمة ودائمة تحط فيها الرحال لكل المسلمين السودانيين الذين يودون الذهاب إلى مكة لتأدية فريضة الحج⁽³⁾، كما أتاح هذا الأمر إلى وجود نوع من التبادل الثقافي نتيجة استقرار أعداد من طلبة العلم من كانو في مكة والمدينة فترة من الزمن لأخذ بغيتهم من العلم عن علمائها⁽⁴⁾، وانتشرت المساجد في مدينة كانو بفضل اهتمام الحكام حيث يوجد جامع كانو الكبير، الذي حظي بالعناية والاهتمام لدى الحكام محاولين في ذلك جعله على غرار جامع سنكري في تمبكتو والمسجد الكبير في مدينتي جنى وغاو وقد أدى مسجد كانو دوراً كبيراً في تطور الحركة العلمية والثقافية في بلاد الهوسا في السودان الأوسط⁽⁵⁾.

وقد نشطت الحركة العلمية في مدينة كانو، من خلال المدارس العديدة، التي أسسها العلماء، والتي تخرج منها رجال متعلمون شغلوا وظائف رئيسية في البلاد، نذكر منهم: الشيخ والي سليمان والأستاذ ماجي إسحاق والشيخ جلال من زاريا، حيث كانوا من أبرز علمائها ومدرسيها، كما اشتهر في علمي

(1)- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985، ص 152.

(2)- نفسه، ص ص 152-156.

(3)- Bonnefon, Louis-Edmond : Afrique Politique En1900, Paris Henri Charles-Lavauzelle ,Éditeur Militaire, P233.

(4)- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 155.

(5)- نفسه، ص 155.

الحساب والفلك الشيخ إبراهيم نظفي الكبرى الذي كان يتقن الحساب القديم لعبد الواحد الجرجاني، ومنهم المعلم عمر آنو الذي كان منقطع النظر في عصره، ومنهم المعلم الحاج بحطيجة الذي كان يجيد الفقه وعلم الفلك⁽¹⁾.

وبرز من المعاهد الدينية في هذه المدينة معهد كبرا، وقد تم تأسيسه من طرف الشيخ عمر بن مختار حوالي (1305هـ/1887م) بعد أن قدم إلى كانو، حيث كان يشتهر بمعرفته وتدريسه لعلم التوحيد، وفي رصيده عدة مؤلفات معظمها في أصول الدين، وقد خلفه ابنه الشيخ محمد الملقب بمبي زوري والشيخ محمد ساني فقام كل واحد منهما بالتدريس في معهده الخاص، ومن المعاهد البارزة أيضا والمعروفة بنشاطها العلمي الكبير معهد النائب، وقد أسس هذا المعهد الشيخ سليمان الذي كان إماما لمسجد كانو في عهد أمير كانو سليمان، وقد خلفه في التدريس حفيده الشيخ آدم الذي كان أستاذا متفنا اتقن معظم العلوم ودرس عنده الوالي سليمان والوالي أبو بكر قبل أن يرحل إلى حاضرة زاريا لطلب العلم⁽²⁾.

وهناك أيضا معهد غداد ليمان (Gideu leman) وتعني مدرسة بيت الإمام ويرجع تاريخ انشائها الى القرن التاسع عشر في مدينة هطيجا تعاقب على التدريس فيه كبار العلماء، ومعهد الإمام ابي محمد بن عبد الله بن جبريل بن محمد الملقب بدندي تتلمذ على يد عبد الله بن فودي في غوندو ثم عاد الى زاريا مسقط راسه وفتح معهدا فيها ولكنه هاجر الى كانو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، ومنها أيضا معهد سلغ (Salagh) الذي أنشاه محمد سلغا أحد أشهر علماء خلافة سكوتو حيث اشتهر بعلم الفقه واللغة والتصوف وقال عنه إمام كانو طن آمو انه كان فريد عصره في هذه الفنون، وكذلك معهد والي سليمان الذي كان عالما كبير محبا للعلم والعلماء قضى معظم حياته في

(1) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 109.

(2) - نفسه، ص 106 - 107.

التدريس قبل ان يتولّى منصب الولاية التي كانت لا تختلف عن منصب الوزارة، ومعهد الشيخ أحمد التجاني في حارة زنگون

بربري (Zangon Bribri)⁽¹⁾.

وقد تميزت حاضرة كانو بتأسيس المعاهد المتخصصة في علم من العلوم العربية والإسلامية، منها معهد حارة مدابو الذي تأسس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي على يد الشيخ عمر باجوس الذي كان متخصصا في تدريس كتاب مختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وقد خلفه من بعده ولداه وهما الشيخ عبد الرحمن السيوطي والشيخ عبد الله اللذان عرفا بآساع علمهما في الفقه كوالدهما، وبهما اتسعت دائرة اختصاص المعهد بدراسة النحو والصرف، وقد رزق عبد الرحمن السيوطي بابنين هما الشيخ عمر والشيخ آدم، حيث صار كل واحد منهما عالما وأنشأ معهدا خاصا به⁽²⁾، ومن أهم المعاهد كذلك معهد الديب إبراهيم ميغري (Maighri) الذي أسهم في نشر العلوم في كانو لأكثر من خمسين سنة وذلك بعد تعيينه قاضيا لقضاة كانو⁽³⁾.

ومنها أيضا معهد الحاج ناصر المتخصص في تدريس علوم التفسير، وقد تم تأسيس هذا المعهد الديني المتخصص على يد الشيخ ين الحاج ناصر وابن زوري، فكان الأول يتلو آيات القرآن الكريم، ليقوم الثاني بتفسير هذه الآيات بلغة الهوسا، وبعد وفاتهما قام الشيخ عبد الوهاب بمواصلة التفسير في المعهد ثم خلفه الشيخين صادق ومدني ابني الحاج ناصر، ومن المعاهد المتخصصة أيضا معهد ثروماوا الذي أسسه الشيخ يوبي وكان هذا المعهد متخصصا في تدريس علوم الحديث، وقد خلفه في التدريس ابنه الشيخ أبو بكر الملقب بباقو والذي خلفه من بعده ابنه عبد الكريم الملقب بسابو، كما أسس الإمام أبو محمد عبد الله بن جبريل بن محمد الملقب بدند الذي تلقى علومه عن الشيخ عبد الله بن فودي في

(1) - عبد الرحمن علي مكي، المرجع السابق، ص 83.

(2) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 107.

(3) - عبد الرحمن علي مكي، المرجع السابق، ص 82.

حاضرة غواندو، وأخذ أصول الفقه عن الشيخ رضوان وعلم البلاغة عن الشيخ والي عمر في حاضرة زاريا، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي انتقل إلى حاضرة كانو في عهد عبد الأمين إبراهيم دابو، حيث أسس معهده هذا، وكان إقبال الطلاب عليه إقبالا عظيما، وقد خلفه على التدريس ابنه أحمد التجاني الذي صار من كبار علماء كانو⁽¹⁾.

ازدهرت حاضرة كانو وازدادت أهميتها كمركز ثقافي وعلمي كبيرين في خلافة سكوتو الإسلامية، نظرا لما أسس فيها من معاهد وأصبحت بفضل هذه المعاهد الدينية المتخصصة مركزا علميا متميزا، قبله تحافت عليه طلاب العلم من كل الجهات، وهو ما أثمر تخرج الكثير من العلماء الذين فتحوا بدورهم مدارس ومعاهد جديدة ساهمت في تطور العلوم وازدهار الثقافة في خلافة سكوتو الإسلامية.

-المبحث الثاني: حاضرة كاتسينا (katsina):

ستعرف على حاضرة كاتسنا التي تمتاز بنفس الخصائص التي ظهرت بكانو باعتبارها مركزا تجاريا وملتقى عدة حضارات وأجناس فقد وفد إليها العرب واستقروا بها، وقد ظهر اسمها في الكثير من المصادر العربية والإفريقية، واكبر شاهد على عراققتها هو وصول الشيخ المغيلي إليها وتأسيس مسجد بها، وفي عهد خلافة سكوتو أصبحت تمثل أحد المراكز الهامة التي نشطت فيها الحركة العلمية، وقد اشتهرت هذه الحاضرة قديما باسم كاشنة وهو اسم لزوجة الرجل الذي أسس المدينة ويدعى جتوما⁽²⁾، وهي تعرف أيضاً بكاتسينا، تقع إلى الغرب من إقليم كانو، فيها جبال وسهول، وأراضيها وعرة من منتجاتها الشعير، والدخن⁽³⁾، وتنتج من الفواكه التين والبطيخ والشمام والحمضيات، والأعشاب، وأسوارها من

(1) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 108.

(2) - الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص 67.

(3) - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 173.

الطين، كما تتميز بشساعة مساحتها مقارنة بالحواضر الأخرى من خلافة سكوتو، ومنازلها متفرقة تحيط بها الحقول والأشجار⁽¹⁾

كانت حاضرة كاتسينا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين تضم العديد من المقاطعات تتكلم الهوسا كلها، أشهرها دوري، وتا، وكوشيبي⁽²⁾، وتمتاز بتنوع تركيبها البشرية حيث يتألف سكانها من الفولان والأمازيغ، والعرب، والونغارة والطورق، وقد تحضرت، وازدهرت بأسواقها، وأصبحت مقصد القوافل التجارية من بلاد المغرب وبورنو وسنغاي⁽³⁾، ونالت شهرة واسعة بسبب التجارة لوقوعها على طريق القوافل التجارية الممتد من بلاد برنو إلى تمبكتو ثم إلى بلاد المغرب، وبذلك احتلت مكانة مرموقة بين جميع دول الهوسا، تُنافس فيها كانو كمرکز اقتصادي وعلمي كبيرين، ونظرا لموقعها الجغرافي الذي جعلها أكثر احتكاكا مع رواد التجارة سواء من جهة الغرب أو من جهة الشمال⁽⁴⁾.

ولما وصل إليها الإسلام عن طريق التجار الوافدين إليها من الونغارة والعرب والأمازيغ، أصبحت من أكبر مراكز الثقافة الإسلامية لغرب إفريقيا، حيث اشتهر فيها كثير من العلماء أمثال عبد الله ثقة وابن الصبّاغ وابن منسى ومحمد مود بن محمد، كما زارها علماء كثيرون أمثال السيوطي وغيرهم⁽⁵⁾. وفي عهد الملك محمد كوراو (849-901هـ / 1445-1495م) حلّ المغيلي بكاتسينا وفي الفترة نفسها بنى مسجد غوبر وعلى غرار مساجد غاو وجني⁽⁶⁾، ثم يأتي عهد الملك إبراهيم سورا (899-905هـ / 1493-1499م) الذي يعتبر من أشهر ملوكها فقد عُرف بشدته وحزمه، ومن شدة

(1) - كلابرتون، المصدر السابق، ص 215.

(2) مهدي آدامو، الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، م 4، 1988، ص 280.

(3) - الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص 68.

(4) - بوفيل، المرجع السابق، ص 368.

(5) - الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص ص 68-69.

(6) - مهدي آدامو، المرجع السابق، ص 280.

حرصه على تعاليم الإسلام كان يجبر الناس على أداء الصلاة، ومن يمتنع كان مصيره السجن، وقد سُجِّلت له مراسلات مع الإمام السيوطي⁽¹⁾.

ويذكر أن كاتسينا تعرّضت لحملة من طرف الأسقيا الحاج محمد الأول في حدود (919هـ/1513م) ضُمَّت على إثرها إلى مُلك الأسقيين⁽²⁾، وقد عرفت في عهده تطورا ملحوظا حيث أحيا بها آثار العلم والإسلام بإقامة المساجد وتشبيد المدارس⁽³⁾، ومع سقوط مملكة السنغاي زادت أهميتها واكتسبت شهرة واسعة، وأصبحت من أبرز المدن الرائدة في السودان الغربي، لتفوقها الحضاري، وتجارتها العامرة كمركز هام للتعلم والقوافل من مختلف الاتجاهات، واشتهار مواطنيها بأخلاقهم وبمجالمتهم، وبمستوى التعليم في مدارسها، وإدارتها وقضائها لحكمتهم⁽⁴⁾، وقد أسهم في كل ذلك الازدهار الحضاري الذي عرفته حاضرة كاتسينا استقرار كثير من علماء تمبكتو وجنى، الذين قاموا بتدريس العلوم بمختلف في معاهدها وفي مختلف العلوم الإسلامية، في حين ارتحل كثير من أبنائها في تلك الفترة إلى البلاد الإسلامية كمصر والحجاز لينهلوا من مراكز العلم فيها⁽⁵⁾.

وقد اهتم سكان حاضرة كاتسينا بالتعليم القرآني ففتحوا الكتاتيب لتعليم القرآن لأولادهم. وهي عبارة عن حجرات في بيوت العلماء تسع لعدد معين من الأطفال لتعلم قراءة وكتابة القرآن الكريم، وفق

(1) - نفسه، ص 280.

(2) - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، فرنسا، ط1، 1898، ص 78. محمود كعت التنبكي: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، دراسة وتعليق: د. آدم بما، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2014. ص 77، عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 39. عبد الفتاح مقد الغنيمي: حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 153.

(3) - ابراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 175.

(4) - S J Hogben, The Muhammadan Emirates Of Nigeria, Oxford University Press, London, 1930, p93.

(5) - Isma'ila A Tsiga , Islam and History of learning in Katsina, Kembim press – LTD, Ibadan, 1997, pp 36-37.

أساليب ومناهج خاصة⁽¹⁾، وقد انتشرت العلوم وازدهرت الثقافة، ومما يؤكد لنا ازدهار الحركة الثقافية في حاضرة كاتسينا، ما جرى بين الإمامين الجليلين الإمام السيوطي والإمام المغيلي نزيلا مدينة كاتسينا، في قضية جواز تعليم علم المنطق في أواسط القرن الخامس عشر ميلادي⁽²⁾، وبذلك اشتهرت كاتسينا بتدريس علم المنطق في مختلف معاهدها.

وما ساهم أيضا في نشاط الحركة العلمية بكاتسينا؛ تواصلها مع بلاد المشرق الإسلامي، الذي مكّنها من الاحتكاك بكثير من الثقافات الإسلامية الأخرى، كما استفادت كذلك من الإمارات السودانية القريبة منها مملكة بورنو الإسلامية، وهو ما زاد من تفوقها الحضاري⁽³⁾.

وفي عام (1215هـ/1800م) بدأت السلطة تتغير في ممالك الهوسا بسبب ظهور جهاد الشيخ عثمان بن فودي، ودخولها تحت نفوذه، وكانت القبائل الفولانية وقبائل سولوباوا (Sullubaawaa) في كاتسينا أول من استجاب لدعوة الشيخ لنشر الإسلام، من أجل ذلك ذهب الحاج عمران دنياوا، وابنه عمر دلاجي وقادة سولوباوا واتصلوا بالشيخ عثمان بن فودي لنصرته وهناك عقد اللواء لعمر دلاجي ممثلا لأمير المؤمنين في كاتسينا⁽⁴⁾، ورجع إلى بلاده يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الإسلام، واستطاع القضاء على الملك مقجن خالد سلطان كاتسينا⁽⁵⁾، ليصبح عمر

(1) - إبراهيم يوسف معاذ، ملامح تطور الشعر العربي في ولاية كشنه (نيجيريا)، عرض ودراسة لنماذج مختارة من قصائد علماء ولاية كشنه 2008 - 1987م، إشراف الأمين، محمد الحسن علي مذكرة ماجستير، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان، 2010م ص 24.

(2) - إبراهيم يوسف معاذ، المرجع السابق، ص 32

(3) - أمامة بنت مصطفى محمد إبراهيم، الصلات العلمية الثقافية بين مملكتي الكانم والرينو مع الدول الإسلامية (ق 05-12 هـ / 11-18م) رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، راوية عبد الحميد شافع، ص 146-147.

(4) - Centre Régional de Documentaion pour la Tradition Orale Niamey, Traditions historiques de katsinaawaa après la jihad, issaka dankoussou, p58.

(5) - الألووري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص ص 166-167.

دلاجي 1222هـ / 1807م حاكما لها، وكون جيشا قويا وبذلك أصبحت كاتسينا إحدى الإمارات القوية الخاضعة لخلافة سكوتو الإسلامية⁽¹⁾.

وبعد سنوات الحرب بدأت تسترجع المدينة عافيتها وقوتها، فازدهرت تجارتها، وأصبح يعقد بالمدينة سوقان يوميا أحدهما جنوب المدينة، والأخر في شمالها، حيث جلب مختلف السلع مثل الحرير الخام، والقطن، والملابس الصوفية، والخرز، والصبغة الحمراء، وجلود الثيران، وكانت عملية التبادل التجاري تتم فيها بعملة الودع⁽²⁾.

إضافة لموقعها الممتاز، وأهميتها الاقتصادية، فقد احتلت أيضا المدينة مركز الصدارة الأول في الميدان العلمي والثقافي في خلافة سكوتو الإسلامية، نظراً لتاريخها الكبير منذ أيام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، هذا ما يفسر ظهور العديد من المعاهد الدينية التي كان لها الدور الأساسي في النهضة العلمية والفكرية في هذه المدينة انعكس تأثيره على الازدهار العلمي في خلافة سكوتو الإسلامية ومن بين أبرز هذه المعاهد:

معهد الحنبلين وهو من المعاهد البارزة في مدينة كاتسينا الذي ساهم في نشر العلم، وقد أسسه الفقيه والعالم الشيخ محمد غيغظ ذو الأصول المالكية، وبعد وفاته خلفه ابنه العالم محمد زاكي، ثم انتقل التدريس بالمعهد بعد وفاته إلى ابنه محمد بن كند ومنه إلى ابنه أحمد حنبلي الذي كان أعلم ممن تقدمه في الأسرة وسمي المعهد والأسرة نفسها باسمه لشهرته، وقد رزق بثلاثة أبناء نجباء وهم علي وطلحة ومحمود، وقد أسس كل واحد منهم معاهده الخاص به بعد وفاته، وقد تولى كلا من علي وطلحة منصب قاضي قضاة كاتسينا بالتعاقب، كما تولى محمود منصب إمام الجمعة⁽³⁾ لقد كان لهذا المعهد دور في تخريج عدد كبير من القضاة.

(1)- H. R. Palmer: History of Katsina, Vol. 26, No. 103, J.R.A.S, Oxford University Press, 1927, pp225.

(2)- كلابرتون، المصدر السابق، ص 216.

(3)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 110.

ومن أشهر المعاهد أيضا في حاضرة كاتسينا معهد درما الذي يُعدّ وقد أنشأه الشيخ أبو بكر الذي جمع بين علم الفقه واللغة، قبل ظهور الشيخ عثمان بن فودي، وبعد وفاة الشيخ أبو بكر تولى ابنه محمد مصلاقي مهمة التدريس فيه، حيث أظهر كفاءة عالية في تدريس العلوم التي درسها والده وبوفاته خلفه ابنه الحسن صودنغ الذي خلفه أيضا ابنه الشيخ محمود بعد وفاته، ومن معاهد هذه الحاضرة معهد السوق القديمة قام بتأسيس هذا المعهد العلامة الحافظ والفقير ابن عثمان بن يحيى البكري الملقب ببلادن حوالي سنة (1242هـ/1827م)، ويزعم شيوخ هذا المعهد أن أجدادهم جاؤوا من البلاد المصرية وبعد أن استقروا

بمملكة برنو مدة طويلة غادرها جدهم عثمان بن يحيى إلى حاضرة كاتسينا⁽¹⁾.

إضافة إلى معهد الشيخ "كسكو غمراوا" الذي يعتبر من أهم المعاهد الإسلامية في كاتسينا يقصدها طلاب العلم من جميع أنحاء السودان الغربي، وتعتبر من بين المدارس التي تتلمذ فيها الشيخ عثمان بن فودي قبل جهاده ضد ممالك الهوسا سنة (1219هـ/1804م)⁽²⁾.

- المبحث الثالث: حاضرة زاريا (Zaria):

عرفت زاريا قديما باسم زكرك⁽³⁾، وعرفت أيضا بعدة أسماء منها زازو (Zazzau)، وزغزغ، وزارية وهي إقليم واسع وكبير⁽⁴⁾ متاخم لإقليم كانوا من جهة الجنوب الشرقي، وتبعد عن كاتسينا بنحو خمسين ميلا، وسكانها أغنياء يمارسون التجارة بشكل كبير⁽⁵⁾، مما جعلها تتمتع بنشاط تجاري كبير⁽⁶⁾،

(1)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 110-111.

(2)- إبراهيم يوسف معاذ، المرجع السابق، ص 18.

(3)- الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص 64.

(4)- محمد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص 44.

(5)- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 174.

(6)- مارمول كرنخال، المصدر السابق، ص 208.

وبالإضافة إلى التجارة كان هناك نشاط زراعي مهم لوفرة المياه وكثرة الحبوب، وقد تأثرت زاريا بكانو في مختلف المجالات الحضارية⁽¹⁾.

ظهرت قبيل القرن الخامس عشر مدينتان على المسرح السياسي هما ترونكو وكوفينا، حيث بسطت كلاً منهما سيطرتها على المدن الأخرى، وفي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي استطاع ملك ترونكو القائد بكوا أن يتسلم السلطة من كوفينا، وعبر هذا التطور السياسي استقرّ ملوك زازو وبنوا عاصمتهم الجديدة، المسماة زاريا نسبة لابنة القائد بكوا، وفي سنة 919هـ / 1513م ضمّها الأسقيا الحاج محمد الأول إلى

ملكه⁽²⁾، ومنذ القرن السادس عشر الميلادي أخذت في التوسّع شرقاً وغرباً على حساب جاريتها⁽³⁾. ولم تظهر قوة الإسلام وانتشاره فيها إلا في القرن الثامن عشر، وترسخ أكثر في القرن التاسع عشر ميلادي، لتصبح مركزاً من مراكز التعليم الهامة في خلافة سكوتو الإسلامية، حيث وفد إليها عدد كبير من الطلبة، واشتهرت فيها علوم اللغة العربية⁽⁴⁾، بعد أن ضمّها الشيخ عثمان بن فودي في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي مع ممالك الهوسا الأخرى لتصبح جزءاً من هذه الخلافة وتمثل إحدى مقاطعاتها الهامة⁽⁵⁾.

وقد اشتهرت زاريا بالكثير من العلماء في مختلف العلوم، مثل الإمام أبو محمد عبد الله بن جبريل بن محمد الملقب بدند، فبعدهما تلقى علومه عن الشيخ عبد الله بن فودي في غواندو عاد إلى زاريا وأسس فيها معهداً، وقد اختص بتدريس النحو والصرف، ويقال أنّه هو الذي جاء بهذا العلم إلى زاريا، وأنّ والي عمر هو الذي جاء بعلم البلاغة إليها، والشيخ رضوان هو الذي جاء بأصول الفقه إليها أيضاً، حيث

(1) - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 161-162.

(2) - الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 174.

(3) - مهدي آدامو، المرجع السابق، ص 281.

(4) - شيخو أحمد سعيد غلادنت، المرجع السابق، ص 51.

(5) - M.G.Smith, Government In Zazzau 1950-1800, Op.cit, p73.

تبادلوا دراسة هذه العلوم بينهم في منازل بعضهم البعض، ليتعلم كل منهم ما عند الآخر حتى اتقنوا تلك العلوم جميعاً⁽¹⁾.

وقد ساهمت حاضرة زاريا في الحياة العلمية لخلافة سكوتو الإسلامية مساهمة فعالة؛ نظراً لموقعها الجغرافي المميز بين كانو وكاتسينا، حيث نشطت الحركة العلمية، وتطورت وازدهرت؛ بفضل علمائها ومساجدها العامرة ومعاهدها الدينية، التي غصّت بالعلماء وتزاحم الطلاب. ولعلّ أقدم المعاهد: في زاريا هما معهد حارة جوبا ومعهد الإمام كونا اللذان يرجع تاريخ كل منهما إلى أكثر من مائتي عام، واللذان انحصر نشاط كلٍّ منهما بداية الأمر في نشر مبادئ الإسلام وإمامة المسلمين للصلاة. وفي أوائل القرن التاسع عشر أخذ المعهدان يركزان نشاطهما في نشر العلم والثقافة وتكاد تنحصر إمامة صلاة الجمعة في جامع زاريا الكبير بين شيوخ المعهدين منذ ذلك الوقت، ولو أنّ الأغلبية ممن تولّوا منصب الإمامة كانوا من أصحاب معهد حارة جوما المأخوذ اسمها من صلاة الجمعة.

يعتبر معهد حارة جوما من أقدم المعاهد الدينية بحيث تخرج منه عدد كبير ممن تولّوا مناصب إمامة صلاة الجمعة في حاضرة زاريا، واشتهر المعهد كذلك بتدريس العلوم المختلفة في عهد القاضي محمد الأوّل المتوفي سنة (1376هـ/1956م)، الذي كان من أكبر علماء زاريا في عصره وقصده الطلاب من مختلف أنحاء البلاد وقد تولّى منصب الوزير أيضا بعد أن تخلّى عن منصب قاضي القضاة، حيث أبدى كفاءة نادرة في كلا المنصبين، وبعد وفاته خلفه ابنه القاضي يحيى، كما تخرج من المعهد عدد كبير ممن تولّوا مناصب عالية في القضاء أشهرهم القاضي عباس ورزق بولدين تولى كل واحد منهما القضاء⁽²⁾ ومن أبرز المعاهد الدينية معهد الإمام كونا أنشأ هذا المعهد الشيخ هارون بن جبريل، عند قدومه الى بلاد الهوسا من برنو واقامته بقرية تدعى كونا على مقربة من مدينة زاريا، ويقال ان عددا كبيرا من الوثنيين قد أسلموا على يد الشيخ هارون بن جبريل، من بينهم الأمير زكرون ربوا والذي سمي بمحمد

(1) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 108.

(2) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 112.

بعد إسلامه، وبعد وفاته خلفه ابنه العالم عياض الذي أخذ ينشر الإسلام، وبوفاته حلَّ محلُّه ابنه حامد، الذي عاصر أمير زكزن إسحاق غاب ولما توفي خلفه ابنه الفضل في مهمة النبيلة⁽¹⁾

كما أسس الشيخ والي عمر معهداً عرف باسمه وهو يعتبر أحد أكبر علماء بلاد الهوسا في عصره، في التّصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو الذي تلقى علومه في زاريا عند الشيخ ملكي مادا الذي كلف مستشاراً في المجلس القضائي لأمير زاريا، وتلمذ في غواندو عند الأستاذ الكبير أحمد بن سعد ودرس أيضاً عند الحاج نوح المتصوّف الشّهير، وقد أمّه الطّلبة من شتى أنحاء البلاد، ومن أشهرهم وزير كانو غطاطو والقاضي غرغ من نافطا والعالم زبير طن عادي والمعلم دابو طن غلاديم آدم، وللشيخ والي عمر مؤلّفات عديدة في مختلف العلوم⁽²⁾.

ومن المعاهد العامرة بطلاب العلم واشتهرت في حاضرة زاريا المعهد المعروف بمعهد كاكافي وقد تأسس هذا المعهد في أوائل القرن التاسع عشر، وكان مؤسسه الحاج محمد قد تتلمذ على يد الشيخ واكي المتخصّص في علم الفقه، وبعد رجوع الحاج محمد من الحج أصبح هو الذي يدرس باب الحج كلما جاء طالب ليدرسه عند شيخه، وبعد وفاة الشيخ أنشأ هذا المعهد الذي صار أكبر مدارس الفقه في المدينة وبعد وفاة الحاج محمد تفرع المعهد الى فرعين: فرع نهض به أخوه الشيخ عياض الملقب بسلنكي الذي أصبح أستاذاً متفناً، ودرس عنده أمير ززو محمد كوسو، والفرع الآخر نهض به ابنه إبراهيم الخليل بن محمد، وبعد وفاتهما تولّى التدريس بالمعهد القاضي يعقوب بن الحاج محمد، وقد كان عالماً فاضلاً أيضاً كأبيه⁽³⁾.

ومن أبرز المعاهد أيضاً في حاضرة زاريا معهد قوفو دو كا لمؤسسه ألفا عمر الذي قدم إلى زاريا من فوتاتورو وهو في طريقه إلى الحج، وعندما سمع أمير زكزن محمد الثاني (1263هـ/1846-1279هـ/1862م) خير قدومه طلب مقابله، وأثناء حديثه معه أعجب بثقافته وعلمه، فطلب منه

(1) - نفسه، ص 112.

(2) - نفسه 113.

(3) - نفسه، ص 113.

المكوث بقوفو دو كا لمدة طويلة، ووفر له منزلاً للسكن، ليستفيد الناس من علمه، حيث أقام وأخذ في نشر العلم حتى وفاته، فخلفه ابنه رضوان وواصل طريق والده في نشر العلم، وبعد وفاته خلفه ابنه محمد الثاني الذي كان قد تتلمذ على يده أولاً، ثم على يد أساتذة في غواندو، أشهرهم الشيخ أحمد سعد الذي كان يفسر القرآن الكريم في شهر رمضان، وتأتيه الحشود من المدينة والقرى المجاورة، ومن كبار علماء زاريا الذين تتلمذوا على يده نجد؛ الوزير محمد الأول، والشيخ محمد يهوذا، والشيخ معاجي إسحاق، والشيخ موسى مغاجيا، والمعلم لوغيغي⁽¹⁾.

وبهذه المعاهد الدينية اشتهرت مدينة زاريا كحاضرة علمية فقصدها العلماء وطلبة العلم من كل أنحاء البلاد السودانية وبذلك أصبحت منارة للعلم تشد إليها الرحال.

- المبحث الرابع: عاصمة الخلافة مدينة سكوتو (Sokoto) :

جمعت مدينة سكوتو بين الأهمية السياسية كونها عاصمة الخلافة، والأهمية العلمية كونها أيضاً مركزاً علمياً وثقافياً تميز بكثرة العلماء، وتزاحم الطلبة على المؤسسات التعليمية، وانطلاقاً من أن المدينة في الفكر الإسلامي هي سبيل الملك، والملك بالجند والجند بالمال والمال بالعمارة، وهذا يثبت على أن المدينة هي المحرك الأساسي لمختلف أنشطة الحياة⁽²⁾، وهذا ما تميّزت به حاضرة سكوتو حيث أنشئت المدينة بعد اختيار دقيق لموقعها، وهي تعتبر من بين أهم الأعمال التي قام بها السلطان محمد بلو وكان ذلك سنة 1227هـ / 1812م⁽³⁾، فقد اختطها وأمر ببنائها السلطان محمد بلو في مكان المعسكر الذي كان مركزاً لانطلاق العمليات العسكرية لحركة الجهاد التي أدت في النهاية إلى توحيد كل ممالك الهوسا وتحويلها إلى إمارات خاضعة تحت ظلّ الحكم الفودي⁽⁴⁾.

(1)- نفسه، ص114.

(2)- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، منشورات عالم المعرفة، عدد 128، الكويت، 1988، ص23.

(3)- محمد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص190.

(4)- بوفيل إدورد، المرجع السابق، ص375.

حيث يقول السلطان محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور: "...ولما حان الخريف بنيت للشيخ حصناً بجنب معسكرنا بسيفاو، فانتقل إليه، متعنا الله ببقائه وجعل اللحاق به خيراً وبنيت على معسكرنا حصناً، فكانت قرية سكت عمارة إسلامية، وفي ذلك قلت:

بَسَكْتِ فَذَاتُ التَّلِّ دُونَ الْمَنَاهِلِ لِسَعْدِي دِيَارِ يَأْ لَهَا مِنْ مَنَازِلِ
وَجَادُّ عَلَيْهَا كُلِّ أَسْحَمِ هَاطِلِ بِلَادِ تَمْنَاهَا ذُوو الرِّأْيِ قَبْلَهَا (1).

وترجع أسباب ذلك الاختيار إلى أن السلطان محمد بلو رأى أن الدولة الجديدة بحاجة إلى عاصمة يكون موقعها حصينا، وأرضها خصبة مناسبة لاستقطاب عدد كبير من السكان فاختار لها موقعا على قمة تل منخفض، على الضفة الشمالية لأحد روافد نهر النيجر، كما جعلها مسورة بواسطة جدار يقدر بحوالي ثلاثين قدم في الارتفاع⁽²⁾، ويمثل موقعها الاستراتيجي ملتقى تقاطع الطرق الرئيسية لأهم المدن حيث غوبر في شمالها، وكبي في جنوبها وبورمي وزمفارة في شرقها⁽³⁾.

وقد أمر السلطان محمد بلو بإنشاء دواوين الدولة فيها⁽⁴⁾، ولم يمض وقت طويل على إنشائها حتى أصبحت مركزا ثقافيا وتجاريا كبيرا، بل إنها أصبحت محط الأنظار في النواحي العلمية والثقافية والأدبية والسياسية، ومما ساعدها على احتلالها هذه المكانة المرموقة عناية محمد بلو الفائقة لها، فقد أعطاهما جلّ اهتمامه لتكون في المكانة اللائقة بها كعاصمة للدولة الجديدة، واهتم محمد بلو بنظافتها، وشجع على العمران والسكن فيها، حيث أطلق سياسة قوية لتشجيع البدو على الاستيطان في منطقة

(1) - المصدر نفسه، ص 120.

(2) - Donald Mackenzie, The flooding of the Sahara : an account of the proposed plan for opening Central Africa to commerce and civilization from the north-west coast ; with a description of Soudan and western Sahara, and notes of ancient manuscripts, London, 1877, pp129-131.

(3) - Murry last, The Sokoto Caliphate ,Op.cit , p.42

(4) - السر سيد أحمد العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكتية، المرجع السابق، ص 61

سكوتو⁽¹⁾ فأصبحت في فترة وجيزة أم المدائن ومركز التجارة الذي فاق مركزي كانو وكاتسينا، وأضحت بذلك قبلة العلوم والآداب ومعين الثروة والرخاء⁽²⁾.

وقد سجّل الرحالة بارث (Barth) (1237هـ/1821-1282هـ / 1865م) ملاحظات كثيرة عند زيارته للمدينة سنة (1270هـ/1853م)، وشاهد حركيتها التجارية، ومعاملاتها؛ كما لاحظ أيضا التنوع في السلع المعروضة؛ والكميات الكبيرة من المنتجات الحديدية والجلدية⁽³⁾.

وقد ساهم موقع سكوتو الممتاز في نموها واتساع عمراتها وزيادة سكّانها هذا إلى زيادة نشاطها التجاري كونها تمثل ملتقى الطرق التجارية ومحطة هامة للقوافل التجارية القادمة من شمال إفريقيا، بالإضافة إلى تميزها العلمي، حيث أصبحت تسير على خطى حاضرة تمبكتو العلمية⁽⁴⁾، وذلك بإقامة المساجد وعمارتها، وبناء المدارس القرآنية، وتأسيس المعاهد الدينية والاهتمام بالتعليم.

من السمات البارزة في حاضرة سكوتو كثرة معاهدها الدينية التي حملت على عاتقها تبليغ رسالة العلم، فكانت منارات تصدح بعلوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وتعتبر معاهد العاصمة سكوتو كلها حديثة النشأة؛ لأنها تأسست في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي بعد أن شيدها السلطان محمد بلو بأمر من الشيخ عثمان بن فودي، واتخذها كعاصمة للخلافة الجديدة سنة (1227هـ / 1812م)، فمعاهد سكوتو حديثة النشأة؛ إذا ما قورنت بمعاهد كاتسينا وزاريا وكانو التي يعود عهد بعض منها إلى القرن الخامس عشر أو قبله، فبالإضافة إلى المساجد والكتاتيب ومراكز التعليم الأخرى هناك ستة معاهد كبيرة في عاصمة الخلافة سكوتو، لتدريس مختلف العلوم العربية والإسلامية.

(1)- Murry last, The Sokoto Caliphate, Op.cit, p80.

(2)- السر سيد أحمد العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكيتية، المرجع السابق، ص61.

(3) - Heinrich Barth, Travels and discoveries ..., Op.cit, p515.

(4)- Murry last, The Sokoto Caliphate, Op.cit, p93.

وأول هذه المعاهد معهد الشيخ عثمان بن فودي الذي يعدّ من أكبر المعاهد، وقد تفرّعت منه معاهد كثيرة في جميع أنحاء البلاد، وقد خلف السلطان محمد بلو على المعهد بعد وفاة والده الشيخ عثمان في عام (1233هـ/1817م) حيث واصل عملية التدريس، إلا أن الالتزامات السياسية لشؤون الخلافة لم تمكنه من ممارسة التدريس كثيرا، وبوفاته عام (1253هـ/1837م) قلّ نشاط المعهد رغم أنّ علي بن محمد بلو بذل جهدا كبيرا في الحفاظ على نشاط هذا المعهد، ولكنه عندما أصبح أمير المؤمنين سنة (1252هـ/1836) صرف اهتمامه إلى تسيير شؤون الدولة، وفي النصف الأخير من القرن التاسع الميلادي، عشر توقّف نشاط المعهد عن التدريس⁽¹⁾.

ومن المعاهد الكبيرة نجد معهد الوزير غداد بن ليم الذي تأسس في عهد الشيخ عثمان بن فودي وتميز بنشاطه الحيوي في نشر الكثير من العلوم العربية والإسلامية؛ بسبب اعتناء هذه الأسرة بالعلم، والتي كانت علي إدراك أن من يتولى منصب الوزارة لأمير المؤمنين لا بد أن يكون عالما، ولو كان ذلك بالوراثة، فقد كان مؤسس هذا المعهد عالما من الذين صحبوا الشيخ عثمان وتلمذوا على يديه، وكانت ثقة الشيخ عثمان بعلمه وورعه من أهم الأسباب التي جعلته يستوزره، حتى أنّه بعد تنازل عثمان عن الخلافة وحلّ محلّه ابنه محمد بلو استبقاه في منصبه إلى وفاته. ليخلفه بعده ابنه عبد القادر في الوزارة وكذلك في التدريس في المعهد، وقد كان من أعلم أهل زمانه وخلفه في المنصب من ابنه إبراهيم الخليل، وقد كان عالما أيضا إلا أنّه لا يقارن بوالده وجدّه، ثم خلفه الوزير عبد الله الملقب ببيارو، وكان عالما وأديبا وله مرثية رثى بها أمير غواندو المصطفى بن محمد بن عبد الله التي مطلعها:

أَيَا عَجَبًا لِقَلْبِ الْمُسْتَهَامِ سَيِّدِ عَيْنَيْهِ لَيْلَ التَّمَامِ

(1) - أعاد إحياء نشاط هذا المعهد الأستاذ عبد القادر موسى بن أبي بكر الملقب بميكائيل سنة 1942، بعد تخرجه من كانو وعودته إلى سكوتو، فأخذ ينشر العلم، إلى أن توفي في 1959. ينظر: علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 100.

وخلفه من بعده الوزير محمد البخاري الأديب السياسي، الذي كان من بين العلماء الذين تقلدوا منصب الوزارة، حيث بقي في هذا المنصب مع تعاقب العديد من الأمراء⁽¹⁾.

ومن العلماء أيضا الذين ساهموا في تأسيس المعاهد الدينية في حاضرة سكوتو، نجد الأستاذ الشيخ مصطفى الذي يعدّ من العلماء البارزين في خلافة سكوتو الإسلامية، وهو من أصحاب الشيخ عثمان بن فودي المقربين، فكان كاتبه ومعدن سره، وكان عالما تقيا وأستاذا متفنا، وكان معهده مشهودا حيث كثر طلابه وقصدوه من جميع أنحاء الخلافة، وبعد وفاته خلفه ابنه الحسن الذي عرف أيضا بالعلم والصلاح، ثم خلفه من بعده أخوه الخضر العالم التقى الزاهد في عهد الأمير عبد الرحمن⁽²⁾.

ومن العلماء البارزين أيضا الشيخ إسحاق، وهو من أشهر علماء خلافة سكوتو الإسلامية أسس معهدا، وكان متضلعا في علوم كثيرة، وخلفه على المعهد ابنه الشيخ عثمان كان عالما كبيرا له تأليف في النحو والتصريف والمعاني والعروض والمنطق والفقه والحديث والشعر، وبدوره خلفه ابنه عبد الله وكان عالما جليلا وكان يتولى تفسير القرآن في المسجد في شهر رمضان يحضره أمير المؤمنين وكبار العلماء، وخلفه عمر قاضي سيلاس الذي يعد أيضا من كبار العلماء، كما أسس الشيخ مصطفى الملقب بمالم تفا معهدا دينيا، وهو يعدّ أيضا من كبار علماء خلافة سكوتو الذين صحبوا الشيخ عثمان بن فودي، ثم تولى ابنه عبد القادر التدريس بالمعهد، وله كتابا في تاريخ السودان المعروف بحوص بكي منرككي، وله أيضا ديوان أشعار اسمه سلوة الأحزان وبعد وفاته خلفه ابنه محمد الملقب بمو الله يعلى، وكان عالما أيضا وضع عدة تأليف منها: قطف الجنان في مدح الشيخ عثمان بن فودي⁽³⁾

(1)-علي أبو بكر، المرجع السابق، ص100.

(2)-نفسه، ص101.

(3)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص102.

ومن بين أبرز المعاهد المشهورة في حاضرة سكوتو معهد الإمام سابون يريي أبي بكر الملقَّب ببوبس الذي يعتبر أيضا من كبار علماء خلافة سكوتو الإسلامية، الذين عرفوا بالعلم والصَّلاح وقد عرف بتضلُّعه في شتى العلوم قضى حياته كلها في طلب العلم ونشره، تولَّى الإمامة ثم أصبح قاضي القضاء، ومع ذلك لم يثنه المنصب عن المعهد فقد بقي متصدِّراً للتدريس فيه⁽¹⁾.

بالإضافة إلى ذلك، فقد عرفت حاضرة سكوتو الكثير من العلماء الذين اشتهروا خلال هذه الفترة بعلمهم وإسهاماتهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية، وأسَّسوا المعاهد الدِّينية، منهم الشَّيخ رغا الذي تتلمذ على يد الحسن بن مصطفى، وكان يلقي دروسه في مسجد الشَّيخ عثمان بن فودي، ومنهم الشَّيخ سعيد بن عثمان وأخوه عبد القادر اللذان كانا من أكبر علماء الفقه⁽²⁾.

- المبحث الخامس: حاضرة غواندو (Gwando):

لما استتبَّ حكم بلاد الهوسا للشَّيخ عثمان بن فودي قسم الخلافة إلى قسمين؛ حيث نصَّب أخاه الوزير الأكبر عبد الله بن فودي أميرا على سائر البلاد الغربية⁽³⁾ وعاصمتها غواندو على بعد مائة ميل من العاصمة سكوتو، وتعاقب عليها سلاطين من نسل الشَّيخ عبد الله بن فودي⁽⁴⁾، وبعد وفاة الشَّيخ عثمان في سنة (1232هـ/1817م)، بويع ابنه محمَّد بلو بالخلافة العامة، فتوترت علاقته مع عمِّه الشَّيخ عبد الله بن فودي لبعض الوقت، حيث تمسك الشَّيخ عبد الله بإدارته لقسمه، ولم يعلن الانفصال عن الدولة؛ كما أنه لم يعترف بخلافة محمَّد بلو، ثم تحسنت العلاقة بينهما بعد معركة كالمبينا Kalambaina سنة (1235هـ/1820م)، فاعترف الشَّيخ عبد الله بخلافة ابن أخيه

(1) - نفسه، ص. 103.

(2) - نفسه، ص. 104.

(3) - محمَّد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص. 213،

(4) - أحمد شليبي، المرجع السابق، ص. 286.

محمد بلو بن الشيخ عثمان، وأصبح نائباً عن ابن أخيه في قسمه حتى وفاته سنة 1245هـ/1829م⁽¹⁾.

وتميزت فترة حكم الشيخ عبد الله بن فودي بتوسيع حدود الدولة، حيث استطاع مد نفوذه إلى ناحية الغرب بالسيطرة على إمارات آروا وزايرما ودندي وجزء كبير من بورجو⁽²⁾، وقد واصل توسعه إلى الجنوب من بلاد اليوربا فبسط نفوذه على أجزاء كبيرة من مملكة أويو القديمة، ومد نفوذه إلى بلاد أجمينا وأكرون وجبوقن وإكوبي⁽³⁾، وبذلك أصبحت تشمل أراضي واسعة وتضم الإمارات التالية: نوبي (Nupe)، وإلورن (Illorin)، وكبي (Kappi)، ويوري (Youri)، وقرما (Gorma)، وزيرما (Zaberma)، وكامبا (Kamba)، وأريوا (Arewa)، ودندي (Dendi)، وبورجو (Borgu)، ولبتاكو (Liptako)⁽⁴⁾.

وبفضل حكمة الشيخ عبد الله بن فودي أصبحت حاضرة غواندوا مركزاً علمياً قوياً أمه الطلاب من جميع أنحاء غرب إفريقيا⁽⁵⁾، وقد ترك الشيخ عبد الله في سنواته الأخيرة تسيير الحكم في أيدي ابنه محمد وابن أخيه البخاري، وكرس نفسه للقراءة والكتابة حتى توفي في عام 1245هـ/1829م في سن الثامنة والسبعين⁽⁶⁾.

اشتهرت في حاضرة غواندو مجموعة من المعاهد الدينية، ويرجع الفضل في نشأتها وتأسيسها إلى الجهود العلمية للشيخ عبد الله بن فودي الذي ترك عدة مؤلفات علمية وطلبة متفوقين علمياً أسسوا

(1) - S. A. Balogun, Succession Tradition In Gwandu History, 1817-1918, J.H.S.N, Vol. 7, No. 1, Historical Society Of Nigeria, 1973, P20.

(2) - J. F. A. Ajayi, History of West Africa, vol. 2, Longman, England, 1984, p. 65.

(3) - Ibid, p 67.

(4) - إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 53.

(5) - عمر أحمد سعيد، عبد الله بن فودي رائد الآداب والعلوم في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 20.

(6) - S. J. Hogben, The Muhammadan Emirates Of Nigeria, Op.cit, p120.

من بعده عدّة معاهد في مختلف أنحاء غواندو، بحيث ساهم ذلك في إنعاش الحركة العلمية، وتوطيد الإسلام، واللغة العربية في خلافة سكوتو الإسلامية.

ومن أبرزها نجد، معهد الشّيخ عبد الله بن فودي الذي تخصصّ في تدريس الكثير من العلوم، أهمّها علوم اللغة العربية؛ كالنحو والصّرف، كما أسّس الشّيخ محمّد مود معهدا خاصّا به، وقد أخذ عن الشّيخ عبد الله بن فودي، وامتاز بالذكاء، فتنحّر في العلوم وأمّ طلاب العلم خصوصا بعد وفاة الشّيخ عبد الله، وقد تولّى التدريس بالمعهد بعد وفاته، ابنه أحمد الذي كان عالما أيضا وخلفه محمّد بيا الذي عين وزيرا لغواندو وموته توقّف نشاط المعهد.

ومن أهم المعاهد أيضا، معهد محمّد البخاري الذي يعتبر أحد طلبة الشّيخ عبد الله المتفوقين، حيث حمل المعهد اسمه، فلم يكذب يتوفى شيخه عبد الله حتى تحول معظم طلبة ذلك المعهد الى معاهده، نظرا لقيمة صاحب المعهد محمّد البخاري عندهم، حيث كان أستاذا متفنا متقنا لمعظم العلوم، وقد رزق بولدين نجيبين، أنشأ كلّ واحد منهما معهدا بعد وفاته، وهما محمّد الملقب بمي فيص وعثمان الملقب موطعل، أما معهد محمّد البخاري فتفرع منه معهدان أيضا، أحدهما لعثمان الذي اشتهر بالعلم حتى أصبح المفتي في غواندو والآخر لمحمّد الملقب بينغوري غير أن المعهدين لم يعمر طويلا بعد وفاتهما⁽¹⁾.

ومن طلبة الشّيخ عبد الله بن فودي الذين أسّسوا معاهد دينية نجد الحاج سعد الذي عرف عنه العلم والتّقوى، وقد خلفه أبنائه في العلم وتأسيس المعاهد، واشتهر منهم أحمد قاضي القضاة في غواندو الذي عاصر الاحتلال البريطاني لخلافة سكوتو الإسلامية.

معهد مود بوكو شنط وقد عرف عن مؤسس هذا المعهد علمه الواسع، حيث كان من أكابر علماء غوند، له ثلاثة اولاد وهم عثمان وأحمد وبابو، حيث أنشأ كل من أحمد وبابو معهدا بعد وفاة

(1) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص. 104.

والدهما، أمّا أحمد اتّجه إلى التصوف ولم يقيم بالتّدرّيس، وقد رزق أحمد بابن يسمّى عبد الله ويلقّب بمجيلي وكان حافظاً للقران وعالماً أيضاً، خلفه في مهمة التّدرّيس بالمعهد بعد وفاته⁽¹⁾.

– المبحث السادس: حاضرة أدماوا: (Admawa)

يرجع الفضل في تأسيسها إلى موقعها الجغرافي، وإلى طلبة الشّيخ عثمان بن فودي نظراً لكونها كانت بداية للحركة الجهادية، وقد كان لتأسيس هذه الإمارة دور استراتيجي لحماية سائر الأقاليم، وقد شملت أكثر من عشرين إمارة فرعية في إقليم أدماوا، والمعروفة أيضاً باسم فومبينا (Fombina)، وعاصمتها يولا على نهر بينو⁽²⁾، وقد أسّس هذه الإمارة موديو أداما، ومن هنا جاء اسم أدماوا. كان والده حسن من أسرة متعلمة من قبيلة باين أو باجو الفلانية، الذين عاشوا في هذا الجزء من البلاد لقرون عديدة⁽³⁾.

وقد ولد موديو أداما في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، في تلال فيري، بالقرب من غورين. ويذكر أنه التحق في شبابه بمدرسة مالم كيارى في بورنو، التي جذبت سمعتها الطلاب من كل الأنحاء البعيدة.

وبعدما أن أكمل تعليمه عاد موديو أداما إلى أدماوا واستقر في قرية توند، وفي عام (1221هـ/ 1806م) سمع عن الجهاد الذي أعلنه عثمان بن فودي، فسافر إلى سكوتو لتقديم ولاءه للشّيخ الذي قلده الراية وطلب منه أن يبدأ الجهاد في حاضرة أدماوا، حيث بدأ موديو أداما جهاده من كورين في عام (1224هـ/ 1809م)، بعد تسعة وعشرين عاماً نقل مقره إلى ريبادو وفي العام التالي انتقل إلى

(1) – نفسه، ص105.

(2) – Paul E. Lovejoy, Les empires djihadistes de l'Ouest africain aux XVIII^e – XIX^e siècles, Cahiers d'histoire. Revue d'histoire critique, n° 128, 2015, p91.

(3) – Temple, Olive Susan Miranda Macleod, Notes on the tribes, provinces, emirates and states of the northern provinces of Nigeria, C.M.S. Bookshop, Lagos, Nigeria 1922, p566-567.

جوبوليو (Joboliwo) ، وأسس مدينة يولا (Yola) ، عام (1257هـ/1841م) ، وبعد اثنين وثلاثين عاماً من الجهاد توفي في غورين توفي عام (1265هـ/1848م)⁽¹⁾ .

خلف موديو أداما أربعة أبناء الذين واصلوا مسيرته في الغزو على القبائل الوثنية التي تمكن بعضها من الاحتفاظ بالاستقلال، حيث حكم ابنه الأكبر لوال من عام (1265هـ/1848م) إلى عام 1289هـ/1872م، ثم شقيقه الأصغر ساندا من عام 1872 إلى عام 1890. ثم أخوه زيرو ساندا الذي عارض الاحتلال البريطاني في عام 1901، ففرّ زيرو مع عدد قليل من الأتباع المخلصين، وبعد ثمانية أشهر من الهروب والاختباء مع جماعته الصغيرة قُتل على يد قبائل لالا الوثنية في 1902⁽²⁾

وصل الرحالة هاينريش بارث إلى يولا (1268هـ/1851م) عن طريق برنو، وبقي فيها ثلاثة أيام فشاهد قوتها وترتيبها، وبيّن مساهمة حكامها في ازدهارها، فقد أسس الأمير لوال (Lowal) بعض المدارس في يولا قبل وفاته في عام 1872م، وقام شقيقه الأمير ساندا بالكثير لتوطيد أركان هذه الإمارة، التي وصلت في عهد الأمير زيرو 1890م، إلى ذروتها حيث أصبح سكانها يتقنون القراءة والكتابة باللّغة العربية بشكل كبير⁽³⁾ ، كما انتشرت فيها الكثير من المعاهد الدّينية المتخصصة في كثير من العلوم بفضل علمائها الذين سهرروا على إثرائها وتنميتها فكانت مقصداً لكثير من الطّلاب.

تعتبر معاهد أداماوا مثلها مثل المعاهد المنتشرة في أنحاء خلافة سكوتو الإسلامية حيث نجد أنّها لا تختلف عن غيرها، ومن المعاهد الدينية معهد موديو جمن غرن وابنه إبراهيم، فقد كان كل واحد منهما يلقي الدروس ويحكم في المحكمة الشرعية نيابة عن الأمير المسمى بلايطو بلغة، ومن المعاهد معهد الحاج حامد الذي يعتبر من أشهر المعاهد، وكان الشّيخ عثمان بن فودي قد أشرك صاحب هذا المعهد في أمر الجهاد لعلمه وصلاحه وقام بالتدريس مدة طويلة في غرن، ومن العلماء موديو آدم غنا كان عالماً متفنناً

(1) - S. J. Hogben, The Muhammadan Emirates Of Nigeria, Op.cit, p188.

(2) -Ibid, p189.

(3) -Temple, Olive Susan Miranda Macleod, Notes on the tribes, Op.cit, p566-567.

ويعتبر أول من أدخل العلم في مدينة يولا، وكان صاحب آمال كبيرة حيث أراد أن يستقل بإمارة ولكنه لم ينجح وبموته مات المعهد أيضا⁽¹⁾.

ومن بين أكبر المعاهد وأبرزها معهد مودبو عمر غرن الذي تلقى تعليمه في عاصمة الخلافة سكوتو حيث قضى ثلاثا وثلاثين عاما ثم عاد إلى مدينته يولا في عهد الأمير عمر سنة 1872-1890 وأنشأ بها هذا المعهد وأخذ يدرس فيه مدة، ثم سافر إلى الحج، وتوفي هناك، وكان ابنه البكر قد صحبه إلى الحج وبعد وفاة الوالد غادر الحرمين إلى السودان حيث درس علوما كثيرة، ثم رجع إلى يولا وأحيا معهد والده وأخذ يدرس فيه إلى أن توفي⁽²⁾.

- المبحث السابع: حاضرة باوتشي: (Bawtshi)

ومن الحواضر التي ظهرت في عهد خلافة سكوتو الإسلامية حاضرة باوتشي التي كان لها نفس الخصائص من الناحية الدينية نظراً لأهمية موقعها الاستراتيجي، حيث تقع على روافد نهر النيجر، ولم يسجل سوى القليل من تاريخ باوتشي قبل حياة الأمير يعقوب، الذي يعتبر أول أمير لها، حيث كان من تلاميذ الشيخ عثمان بن فودي ولازمه حتى قيام الجهاد واستأذنه للوعظ في بلاده وفي نواحي نهر بنوي اختط المدينة المتاخمة لحدود بورنو الجنوبية⁽³⁾، وفي غضون سنوات قليلة خضعت المنطقة بأكملها لجيوش خلافة سكوتو الإسلامية في مساحة واسعة عبرت حدود نهر بنوي (Benue) ونهر قونقلي (Gongila) وتلال وركوم (Wurkum)، وبيري بيري (Beri-Beri)، وليري (Lari)⁽⁴⁾

كان مقر الإمارة الرئيسي في مدينة إنكل (Inkil) مدة سبع سنوات، وفي عام 1809 يضع الأمير يعقوب أسس مدينة بوتشي، بعد انتقاله نحو الغرب قليلاً، وقد تميزت بالأمن والاستقرار حتى وفاته في عام 1845م، ليخلفه على حكم الإمارة ابنه إبراهيم، الذي عرفت في عهده الإمارة عدة

(1)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص121.

(2)- نفسه، ص122.

(3)- الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص 167-168.

(4)- S. J. Hogben, The Muhammadan Emirates Of Nigeria, Op.cit, p172.

صراعات، حيث ثارت العديد من القبائل وانفصلت عن الإمارة وفي سنة 1877م تنازل الأمير إبراهيم بن يعقوب لابنه عثمان عن الحكم الذي تنازع مع عمه هاليلي (Halilu) عن العرش، كما ساعد الأمير عثمان بن إبراهيم أمير كانو في حربه ضد بورنو، وغزا ميساو، وسلمه إلى حليفه ماي-مونجا. ثم أعطى الأمير ماي مونغا إذناً لفرض ضريبة على الفولاني من بورنو.

تضمّ إمارة بوتشي الكثير من القرى التي تحيط بها أسوار متينة وصلبة، كما تحيط بها مزارع الذرة، والدخن بشكل واسع، وبها مياة وفيرة⁽¹⁾، ويذكر أن سكانها كانوا من قبائل النوبة والأمازيغ، وأصبح يعمرها عناصر متعددة وقد كانوا كفارا وثنيين وأغلبهم أسلموا على يد الشيخ يعقوب⁽²⁾

وقد بدأ نشاط الحركة العلمية بهذه المدينة وما جاورها إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك بفضل جهود علمائها ومعاهدها الدينية الكثيرة التي انتشرت في هذه الإمارة، ومن بين أهمّ معاهدها الدينية التي حملت على عاتقها نشر العلم والثقافة العربية الإسلامية معهد الإمام الذي أسّسه الشيخ إدريس الذي يعدّ أحد كبار أصحاب الشيخ عثمان بن فودي وكان عالماً متضلعا، حيث كان له نشاط كبير في الحركة العلمية، وبعد وفاته خلفه ابنه أحمد الذي عرف بعلمه وورعه⁽³⁾، ومن بين أبرز المعاهد الدينية معهد الشيخ قاسم الذي جاء من زاريا في عهد أمير بوشي يعقوب الأول، وكان بصحبه حوالي أربعمائة شخص معظمهم من طلبته، وقد عرف بتضلعه في علوم كثيرة، خلفه من بعده ابنه نور الدين الذي أسندت إليه إمامة مسجد الجمعة وابنه الآخر صالح الذي أسند إليه منصب قاضي القضاة.

كما اشتهر كذلك في حاضرة باوتشي معهد القاضي محمد الذي تمّ تأسيسه في أواخر القرن التاسع عشر على يد الشيخ علي الذي قدم إلى بوشي من كانو في عهد الأمير إبراهيم بن يعقوب وكان عالماً متضلعا فعين إماماً في مسجد أجيا وأقام بها عدة سنوات يقوم بالتدريس، وبعد وفاته خلفه ابنه علي، غير

(1)- Percy A. Clive, Notes on a Journey to Pali and Mamaidi, in the Kingdom of Bauchi, The Geographical Journal, Vol. 14, No. 2 , The Royal Geographical Society 1899, pp. 181-183

(2)- الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص56.

(3)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص115.

أن هذا المعهد لم ينل شهرة واسعة إلا بعد مجئ الابن محمّد الذي خلف والده علي، بعد أن تتلمذ على يده وعلى يد القاضي صالح، حيث اشتهر بالعلم والمعرفة⁽¹⁾.

ومن أشهر معاهدها أيضا معهد القاضي محمّد الملقب بحميو، بعد دراسته في حاضرة كانو وعودته إلى نافطا، ولم يلبث بعد إنشائه لهذا المعهد حتى أسند إليه منصب القضاء في تلك المدينة مع مزاولة مهمّة التدريس، وبعد سنوات تنازل عن منصب القضاء وتفرغ للمعهد، حيث أولاه اهتماما أكبر حتى أصبح معهده من أشهر المعاهد في إمارة غمبي بأسرها، وفي سنة (1316هـ / 1898م) سافر إلى كانو، واستشهد بفيزاوا عندما كان يحارب في جيش أمير كانو ضدّ أمير دماغرم الذي أغار على كانو، ليخلفه ابن أخيه أبو بكر محمّد الذي صاحبه إلى كانو وكان من بين الذين تتلمذوا على يده⁽²⁾.

- المبحث الثامن: حاضرة إلورن (ILORN):

ونفس الدّور أنيط بحاضرة إلورن التي كانت لها مهمة دعوية بنشر تعاليم الدّين الإسلامي بين القبائل الوثنية المنتشرة في القرى المجاورة لها، لكونها تقع في الأقاليم الجنوبية لخلافة سكوتو الإسلامية المتاخمة لبلاد اليوربا الوثنية التي كانت تمثل خطرا دائما لها، ممّا أدّى إلى عدم استقرار المنطقة لسنوات طويلة بسبب الهجمات المتكررة لهذه القبائل الوثنية، وقطع الطريق أمام القوافل التجارية ممّا أثر على الحياة الاقتصادية في كثير من الأحيان.

تعتبر مدينة إلورن مركزا علميا مهمّا في خلافة سكوتو الإسلامية منذ خضوعها، وقد ساهمت في إثراء الحياة العلمية ورقبها في مختلف المجالات، وتقع هذه المدينة في جنوب نهر النّيجر الواقع في المنطقة الوسطى بين شمال خلافة سكوتو وجنوبها⁽³⁾، حيث تأسّست المدينة أواخر القرن الثامن عشر الميلادي

(1) - نفسه، ص ص 116-117.

(2) - نفسه، ص 117.

(3) - عثمان عبد السلام محمّد الثقافى، خليل الله محمّد عثمان بودوفو، دور إمارة إلورن النيجيرية في استعمار اللغة العربية، المؤتمر الدولي الثالث: (دبي) 7-10 ماي 2014، ص 1.

حوالي 1780م⁽¹⁾، ويتألف سكانها من يوربا وهوسا وفلان ونوفي، كما كانت تحيط بها العديد من القرى الصغيرة التي يعمرها الفلاحون والفلازيون البقارون الرعاة الرحل، ومع مرور الوقت أصبحت تنافس العاصمة عويولي المملكة اليورباوية القديمة⁽²⁾.

نشأت المدينة في البداية كمستوطنة صغيرة داخل إمبراطورية أويو القديمة في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وأصبحت مقر لأفنججا (Afonja) ، القائد المتمرّد الذي عمل على سقوط إمبراطورية أويو، وبدأ في جذب السكان إليها بما في ذلك مجموعات اليوروبا والهوسا والفولاني⁽³⁾.

وهناك عدة روايات تروي قصة تأسيسها، منها أن مؤسسها رجل اسمه "لاديرن" وهو الجد الرابع "لأفنججا" الذي ظهر على مسرح الأحداث سنة 1817م. أما الرواية الثانية فتقول أن مؤسسها رجل اسمه "أوجوسيكوسي" من أهل غنبي جاء للمنطقة لصيد الفيل ثم لحق به آخرون "إيمنيلا" و"دحداح" و"إديوولي" ثم "أفنججا" وحاشيته من العاصمة عويو، ثم جاء الفلازيون من أريسا بقيادة "أولوفادي"، والهوساويون من كاتسينا بقيادة "باكو" وسكنوا إلى جانب "أفنججا"، وكانت هناك قرية صغيرة قريبة من مدينة إلورن تدعى "أوكي سنة" زعيمها "سولا بيرو"⁽⁴⁾، وقيل أن اسمها أخذ من كثرة وجود الفيل فسميت إلو أيرن أي بلد الفيل، وقيل في تسميتها أن في موقع المدينة هناك حجر كبير يشهد الناس عليه خناجرهم وسكانهم فاشتهر المكان باسم إلو إرين أي مكان مشهد الحديد⁽⁵⁾.

(1) - الألوري، لمحات البلور، المرجع السابق، ص 5.

(2) - الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص 41.

(3) - Ann O'Hear , Political and Commercial Clientage in Nineteenth-Century Ilorin, African Economic History, No. 15, University of Wisconsin Press, 1986, p 69.

(4) - الألوري، نسيم الصبا، المرجع السابق، ص 64.

(5) - الألوري ، لمحات البلور، المرجع السابق، ص 5.

ويعود انتشار الإسلام في إلورن وفي بلاد اليوربا قبل تأسيسها كإمارة إسلامية تابعة لخلافة سكوتو إلى جهود العديد من العلماء، منهم الشيخ محمد السنسي السنّي عالم منطقة ربوة السنّة، والشيخ محمد ينبؤ ويقال إن في منطقة ربوة السنّة من الأولياء والعلماء ما يقرب من سبعة قبل مقدم الشيخ عالم، ومنهم الشيخ موسى البرنوي الأيجي، وإخوانه كالإمام متاشي الذين كانت لهم جهود كبيرة في نشر الإسلام في بلاد يوربا الوثنية⁽¹⁾.

وحينما ذاع صيته في بلاد اليوربا استقدمه أفنجا لكي يستعين بدعائه في حروبه، وقد استفاد منه في حربه مع العاصمة التي انتصر فيها على أعدائه⁽²⁾، وقد أخذ الشيخ عالم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحارب الوثنيين ويحطم أصنامهم حتى توفي بعد ست سنوات من مجيئه إلى إلورن، وله من الأبناء عبد السلام وشنت ودانيال وأبوبكر وآسية⁽³⁾، وبعد وفاته في 1236هـ/1821م بويع ابنه عبد السلام أميراً بصفته إمام المسلمين الذي شيّد بيت الإمارة⁽⁴⁾.

لكنّ الأمر تطور بين القائد أفنجا وأمير المسلمين عبد السلام إلى حد وصل إلى الاقتتال بينهما وانتهى بقتل أفنجا، فقام حليفه ملك مدينة إيكوبي طلباً للثأر فعمد إلى إثارة القبائل اليورباوية ضدّ إلورن ورأوا في الجهاد مبرراً للتمرد، واستمرت الحرب سنين طويلة كان النصر فيها حليفاً للمسلمين حتى تم إسقاط على مدينة إيكوبي وتخريبها سنة 1845م، وبهذه الهزيمة عاودت جيوش يوربا الزحف

(1) - الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص 97.

(2) - الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص 43.

(3) - أبو بكر إكوكورو، أخبار القرون في من أمراء مدينة إلورن، تح: آدم عبد الله الألوري، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، 2012، ص 170.

(4) - كاتب وثيقة الأمير عبد القادر، النور المصون في اخبار أمراء إلورن، تح: آدم عبد الله الألوري، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 2012، ص 201.

للاتنقام⁽¹⁾، وتراجع أمراء الحرب في أويو ميسي جنوباً لتشكيل مدن جديدة، بما في ذلك إبيادان، حيث استمروا في مقاومتهم للخلافة وحاربوا فيما بينهم أيضاً⁽²⁾.

وظهرت مدينة إلورن كمركز تجاري مهم نظراً لموقعها الجغرافي المميز؛ كبوابة تربط بين الشمال والجنوب⁽³⁾، فعلاقتها التجارية باتت مزدهرة بينها وبين كانو، فقد كانت ترتادها قوافل كبيرة محملة بمختلف المنتجات كالعاج والنترون⁽⁴⁾. ومن المنتجات الرئيسية لهذا البلد هو زيت النخيل الأحمر وهو زيت مصنوع من النواة، زبدة الشيا من المكسرات من أشجار الشيا، والمكسرات المطحونة، والقطن، والعاج جميعها كانت رائجة في الأسواق الأوروبية⁽⁵⁾.

وأصبحت إمارة إسلامية خاضعة لخلافة سكوتو على يد الشيخ عالم بن جنتا وأبنائه في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي⁽⁶⁾، الذين اهتموا بشؤون الإمارة وتنظيماتها كالوزارة والقضاء والجيش ومختلف الدواوين الأخرى، كما اهتموا بنشر تعاليم الإسلام فقاموا باستقدام العلماء من بلاد الهوسا وبلاد نوفي⁽⁷⁾، وبذلك تطورت اللغة العربية وآدابها في إلورن وانتشرت انتشاراً كبيراً بفضل هؤلاء العلماء، حتى أصبحت اللغة العربية وسيلة المراسلات الدبلوماسية، والتي استخدمها العديد من حكام اليوروبا في اتصالاتها مع إلورن⁽⁸⁾.

(1)- الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص 43.

(2) - Metz Helen Chapin , Nigeria : a country study, Washington,1992, p21.

(3)- Abdul-Rasheed Na'Allah, Yoruba Oral Tradition in Islamic Nigeria, Routledge, New York, 2020, p9.

(4) - amuel Crowther and John Christopher Taylor, The Gospel on the Banks of the Niger ,London, 1859, reprinted London, 1968, pp 96-97.

(5) - Ann O'Hear , Op.cit, p72.

(6) - عثمان عبد السلام محمد الثقافي، خليل الله محمد عثمان بودوفو، المرجع السابق، ص1.

(7)- لطيف أونيريتي إبراهيم، عيسى ألي أبو بكر، الأدب العربي في إمارة إلورن الإسلامية في نيجيريا، الموقف الأدبي، ع508،

جامعة إلورن، 2013، ص19.

(8)- Abubakre, Razaq D.Reichmuth, Stefan, Arabic writing between global and local culture: Scholars and poets in Yorubaland Southwestern Nigeria, Research in African Literatures, Vol. 28, No. 3, Indiana University Press, 1997, p185.

وبهذا أضحت إمارة إلورن عامرة بالسكان ومزدهرة، ونشطت بها الحركة العلمية، فكانت مقصدا لكبار علماء الهوسا والفلان بفضل جهود الشيخ عالم بن جنتا الكبيرة، وبطرقه السلمية أدى إلى كسب عدد كبير من اليورباويين الوثنيين ذوو النفوذ الهائل إلى الإسلام، وواصل على منواله الشيخ سعد بن محمد الثالث بوعظه وإرشاده، وإلى الجهود التي بذلها الأفراد من اليوربا وبين الفلانيين والهوسويين والنفويين في إنشاء الكثير من المعاهد الدينية التي قامت بدور فعال في ترسيخ الإسلام وبت مختلف العلوم الإسلامية والعربية⁽¹⁾

ومن أشهر علماء حاضرة إلورن الشيخ موسى أتيري، اهتم بتحفيظ متون اللغة العربية، ويقال أنه كان يحفظ القاموس المحيط⁽²⁾، وجعل منزله كتاب لتعليم القرآن الذي يعد من أقدم الكتابات في مدينة إلورن، وكان إضافة إلى تعليم القرآن الكريم يركز على تعليم طلبته الكتابة بالرسم على الألواح الخشبية، حتى تكون لهم المهرة والإتقان في كتابة اللغة العربية، ويرسم حروف اللغات المحلية⁽³⁾.

ومن علماء إلورن المشهورين أيضا، العلامة محمد البغوري الفلاني، والشيخ أحمد التاحتي النفاوي، والشيخ إبراهيم الملقب بقبر العلوم الهاوساوي، والشيخ عبد الله الدندي، والشيخ إبراهيم بتوري الأغداسي والإمام الملوي الأول، والإمام موسى الكبير الذي جاء من أمهجي، حيث تخرج على أيديهم الكثير منهم الشيخ مالك بن الأمير شئت، والشيخ بدر الدين، والشيخ أحمد بن أبي بكر، والشيخ أحمد بنما مما ساهم

في نشر الدين وتعليم الأدب وبت العلوم في هذا الجزء من خلافة سكوتو الإسلامية⁽⁴⁾

ومن العلماء أيضا حبيب بن الحسن الذي مدح الأمير شئت 1836-1861م في قصيدة على منوال القصيدة العربية القديمة التي تدل على براعته وتحكمه في اللغة العربية، ومن بين العلماء الذين وفدوا

(1) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 124

(2) - الألوري، لحات البلور، المرجع السابق، ص 48.

(3) عبد الرشيد محمود مقدم، الشيخ موسى أتيري، علماء الإمارة، ترجمة نخب من أعلام إمارة إلورن، ط 1، ج 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2015، ص 81.

(4) - الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص 44.

إلى مدينة إلورن العالم الفلاني محمد بيغوري 1831-1913م الذي مدح الفقيه أبوبكر بوبي ومن خلاله أظهر المهارات البلاغية والشعرية في أوساط علماء المدينة⁽¹⁾، كما استقدم الأمير شئت الكثير من العلماء منهم الشيخ أبو بكر الفلاني الشهير بلقبه (بوبي) الذي استقدمه من مدينة سوكتو، ونزل في إلورن حوالي 1245هـ، وتصدّر للتدريس بها، وأخذ عنه الكثير من طلبة العلم⁽²⁾.

ونختم الحديث عن إلورن كمركز من مراكز الحركة العلمية في خلافة سكوتو بذكر عدد من معاهدها الدينية التي كان لها الأثر الطيب في تنشيط الحركة العلمية وتطورها، حيث تم تأسيس الكثير من المعاهد الدينية من بينها معهد الشيخ أبو بكر بوس (ت. 1267هـ / 1850م)، ومعهد الشيخ إبراهيم الهاوسوي وابنه الشيخ عبد الرحمن، ومعهد الشيخ محمد التاكني النفوي تتلمذ على يده كثير من الطلاب منهم الإمام حبيب الله بتوري والشيخ سليمان جيحي، ومعهد الشيخ عبد القادر أفنو المتوفي سنة 1900م، ومن المعاهد المشهورة في حاضرة إلورن معهد الشيخ محمد بيغوري الفلاني الذي كان أستاذا متضلعا في العلوم تقيا صالحا تتلمذ له كل من الشيخ بن محمود بنما والشيخ ابن أبي بكر كوكورو توفي عام 1913، ومعهد الشيخ موسى أتيري بربوة ليلي كان من أعلام اللغة العربية في مدينة إلورن المتوفي سنة 1907، وكذلك معهد الشيخ بوصيري بن بدر الدين كان من علماء النحو البارزين اخذ عنه محمد الأمين الدارس المتوفي سنة 1915 والشيخ أحمد ابن أبي بكر المشهور بابن كوكور المتوفي سنة 1939م⁽³⁾.

خلاصة الفصل:

ومما تقدّم يمكن القول، بأن حواضر خلافة سكوتو الإسلامية قد تميزت بنشاطها وحيوتها في كثير من المجالات، فالحواضر الأولى التي تأسست قبل خلافة سكوتو الإسلامية والتي ذكرناها ونعني بها كانوا

(1)- Abubakre, Razaq D;Reichmuth, Stefan, Op.cit, p188.

(2)- الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص97.

(3)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص124

وكاتسينا وزاريا، والحواضر التي ظهرت في ظل خلافة سكوتو الإسلامية ونعني بها سكوتو وغواندو وباوتشي وادماوا وإلورن، كل هذه الحواضر أدت إلى ظهور التخصص في الشريعة الإسلامية فظهرت معاهد متخصصة في علوم القرآن منها معهد الحاج ناصر المتخصص في تدريس علوم التفسير، ومدارس متخصصة في الفقه المالكي مثل الشيخ عمر باجوس المتخصص في تدريس مختصر خليل، ورسالة أبي زيد القيرواني بمعهد حارة مداو بحاضرة كاتسينا.

ومنها معاهد متخصصة في تدريس علوم الحديث بحاضرة كانو، أهمها معهد ثروماوا الذي أسسه الشيخ يوبي، ومعاهد متخصصة في تدريس اللغة العربية وآدابها من نحو وصرف وبلاغة كمعهد الشيخ عبد الله بن فودي في حاضرة غواندو، إلى غير ذلك من المعاهد المنتشرة في كافة أنحاء خلافة سكوتو الإسلامية التي كان لها دور كبير في إثراء الحركة العلمية، حيث كانت تدرّس فيها أمّهات الكتب في مختلف العلوم، وكلّها حملت لواء العلم ونشره خدمة للدين الإسلامي بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى تعليم اللغة العربية وآدابها باعتبارها لغة القرآن الكريم.

وقد كان التعليم يشتمل على مرحلة تبتدئ بالكتاتيب، ثم الانتقال إلى حلقات المساجد، أو الالتحاق بإحدى المعاهد الدينية المنتشرة في أنحاء خلافة سكوتو، هذا وبالإضافة إلى تعدد أماكن كانت مقصدا لطلاب العلم كمنازل العلماء و الزوايا والأربطة التي تعتبر مراكز للتعليم في هذا العصر.

لقد كان اهتمام علماء وقادة خلافة سكوتو الإسلامية بالتعليم كبيراً، وساعد علي ذلك وجود مراكز، ومؤسسات تعليمية متعدّدة كالمساجد والكتاتيب والمعاهد الدينية والزوايا والرباطات التي كان لها الأثر الكبير في تنشيط الحركة العلمية وازدهارها، خاصّة بعد استقرار الأوضاع السياسية في كثير من الأوقات، وقد أسهم ذلك كلّه في تنشيط حركة التأليف خصوصاً في مجال العلوم التقليدية؛ كالدراستات الشرعية والأدبية التي قدمت خدمة الوعظ والإرشاد بما ينفع المجتمع في مختلف مجالات الحياة، وسنحاول استعراض أهمّ هذه المراكز التعليمية ودورها في تنشيط الحركة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية في الفصل الموالي.

الفصل الرابع: المنشآت العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا)

- تمهيد

- المبحث الأول: المنشآت العلمية ومراكز الطرق الصوفية

- المبحث الثاني: نظام ومناهج التعليم في خلافة سكوتو الإسلامية

- المبحث الثالث: الحركة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية

- المبحث الرابع: المخطوطات وحركة التأليف

- خلاصة الفصل

تمهيد:

عند الحديث عن المنشآت العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية يقودنا إلى دراسة المنشآت التي مسّت المساجد والمعاهد الدينية وقصور السلاطين والأمراء، والرباطات ومراكز الطرق الصوفية، فكان لهذه المنشآت التعليمية نظام تعليمي خاصّ بها يتمثل في طريقة التدريس وأساليب الحفظ، والمناهج الدراسية هذا ما أدّى إلى ظهور حركة علمية كانت نهايتها الحصول على الإجازات العلمية، والتي تبعثها رحلات ومجالس علمية، ومراسلات، وتأليف المخطوطات إفريقية عكست هذا الجهد العلمي لعلماء خلافة سكوتو الإسلامية.

ولقد كان لعلماء الجزائر حضور كبير في المواد الدراسية مثل كتب محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت. 909هـ/1405م)، والقصيدة الجزائرية في العقائد؛ لصاحبها أحمد بن عبد الله الزواوي (ت. 884هـ/1479م)، وكتب محمد بن يوسف التلمساني (ت. 895هـ/1489م)، وأرجوزة الدجنة في عقائد أهل السنة لأحمد المقرّي التلمساني (1041هـ/1631م)، وغيرهم من العلماء، كلّ هذا سنتعرّف عليه في هذا الفصل.

المبحث الأول: المنشآت العلمية ومراكز الطرق الصوفية:

1- المساجد والجوامع:

تعتبر المساجد المؤسسة التربوية التعليمية الأولى في الإسلام والتي أسهمت بشكل كبير في نشر علوم الدين واللغة العربية؛ إذ أنّهما من الدعائم الأساسية للحضارة الإسلامية⁽¹⁾، وقد بين الشيخ عثمان بن فودي حدود ذلك لأهل الإسلام في درء المفاصد وجلب المنفعة، والمصلحة في الدين والدنيا، وحثّ الولاة بالاجتهاد في بناء الجوامع لإقامة صلاة الجمعة، وإصلاح المساجد،

(1)- زيد بن عبد الكريم الزيد، وظيفة المسجد في المجتمع، مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع11، 1415هـ،

وإقامة الصلوات الخمس فيها، وقراءة القرآن وتعليمه⁽¹⁾، كما نصّب الكثير من تلاميذه أئمة يقتدون بهم ويرجعون إليهم في أمور دينهم⁽²⁾، وتعتبر الجوامع والمساجد في ممالك غرب أفريقيا مواقع رئيسية للتعليم⁽³⁾، وكانت المرحلة التعليمية في المساجد تمثل المرحلة الثانية حيث تأتى بعد مرحلة التعليم في الكتاتيب، التي يتعلّم فيها الصبيان القراءة؛ والكتابة؛ وحفظ القرآن⁽⁴⁾.

كانت وظيفة المسجد في خلافة سكوتو الإسلامية وظيفه تعليمية يتلقى في المسلمون مبادئ الإسلام، وسمعوا فيه الأحاديث النبوية، وتلقوا فيها توجيهات العلماء والفقهاء، وهكذا نجد أن المسجد قد ساهم في الحركة العلمية في ناحيته، وفي ساحاته عقدت مجالس العلم الشرعي والذنيوي معا من الذكر والتفسير وعلوم اللغة العربية وغيرها، وقد حظيت المساجد في حواضر خلافة سكوتو الإسلامية بعظيم العناية من قبل أمرائها؛ حيث عملوا على إقامتها كما سهروا على عمارتها، حيث كان الملوك هم الذين يتبرعون بأرض المساجد للدعاة، لذلك يكون المسجد الكبير غالبا أمام بيت الملك، أو في مكان عام يجتمع به الناس غالبا كالسوق الكبيرة⁽⁵⁾.

ومن المساجد الشهيرة في مجال التعليم الإسلامي ونشر الثقافة الإسلامية؛ مسجد هيب بحاضرة كاتسينا الذي بني على طراز مساجد السنغالي، وجنى، وتوجد المساجد الجامعة بحاضرة كانو ومختلف مدن الهوسا الأخرى. وقد تخرّج من هذه المساجد علماء أفذاذ أناروا الطريق أمام مسلمي غرب أفريقيا، وقاموا بدور كبير وهام في إرساء قواعد الثقافة العربية والحضارة الإسلامية في بلادهم⁽⁶⁾.

(1) - عثمان بن فودي، كتاب الفرق، المصدر السابق، ص 193-194، ينظر أيضا: Celeste Intartaglia, p160

(2) - الألوري، تاريخ دخول الإسلام في افريقية الغربية المرجع السابق، ص 284.

(3) - قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في افريقيا الغربية، المرجع السابق، ص 142.

(4) - محمود كعت، المصدر السابق، ص 188.

(5) - الألوري آدم عبد الله، نسيم الصبا، المرجع السابق، ص 51.

(6) - مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص 135.

وعندما تأسست مدينة إلورن بني بها الهوساويون والفلاّنيون مساجدهم الصغيرة قبل نزول الشيخ عالم بها حوالي عام 1816م، وأسس لكل حيّ بها مسجده الخاص، وبعد وفاته قامت الإمارة الإسلامية عام 1821م على يد ابنه عبد السلام⁽¹⁾.

وقد اهتمت خلافة سكوتو الإسلامية بالمساجد اهتماماً كبيراً، حيث أقيمت المساجد في كلّ المدن والقرى⁽²⁾، وكانت موضع اهتمام ولاة الأمور لبنائها في المناطق المحتاجة لها⁽³⁾، ولم يكن المسجد مقتصرًا على الوعظ والإرشاد والتعليم، بل بدأت العلوم تأخذ طريقها إلى المسجد كالعلوم اللغوية والتاريخية فأدّت دورها في نشر التعليم والثقافة الإسلامية، كما كانت التّواة الأولى للتّعليم الجامعي في الإسلام⁽⁴⁾.

والشيخ عثمان بن فودي نفسه عند توكيل الخلافة لابنه وأخيه قعد للتدريس، وتصدّر مجالس الوعظ وتعليم القرآن في جامع سكوتو، الذي أصبح من أكبر مراكز التّعليم في غرب إفريقيا وأبرزها، كما قد نبّه الشيخ إلى قضايا مهمّة كتحديد أصحاب المسؤوليات، وبيّن أنّ إسناد أمر التّعليم والحكم والفتوى لا تكون لغير أهل العلم والتّقوى، وألاّ يترك لعامة النّاس، وغاية ذلك حفظ الدّين من العبث والاستهزاء⁽⁵⁾.

واستمر المسجد يؤدّي الدور نفسه في خلافة سكوتو الإسلامية؛ رغم انتشار المدارس في مدن وقرى الخلافة. وبذلك يعتبر المسجد ركيزة أساسية في التّعليم، ومدرسة المسلمين المعهودة التي حافظت طوال العصور الإسلامية على مكانتها التّعليمية.

(1) - الألوري آدم عبد الله، نسيم الصبا، المرجع السابق، ص 47

(2) - محمد علي فاضل باري، سعيد إبراهيم كريدية: المرجع السّابق، ص 195.

(3) - محمد بلو، الغيث الويل في سيرة الإمام العدل، تح: عمر بلو، أطروحة دكتوراه فلسفة، المدرسة الشرقية للدراسات الشرقية، لندن، 1983، ص 400.

(4) - مهدي رزق الله احمد، المرجع السّابق، ص 270.

(5) - Celeste Intartaglia, op.cit, p 161.

2- الكتابات والمحاضر:

هي مؤسسة من مؤسسات التربية العربية الإسلامية الأصلية، وإن تعددت أسماؤها إلا أنها تحمل معنى المكان الذي يتعلم فيه الصبيان المبادئ الأولية للقراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم ثم يتدرج في مراحل التعليم بتلقي تفسير القرآن علوم الحديث، والفقه، وعلوم اللغة العربية وآدابها ومختلف العلوم الشرعية الأخرى⁽¹⁾.

وهي تعدّ من أهمّ مراكز التعليم في العصور الإسلامية، فقد انتشرت في جميع أرجاء الدولة الإسلامية عبر العصور المختلفة، وبانتشار الإسلام انتشرت المحاضر في مناطق واسعة من إفريقيا، وأصبح لها دور تعليمي كبير، إذ ساهمت في نشر الإسلام، وتعميقه بين الزنوج فأضحت تمثل مراكز إشعاع علمي وثقافي، وانتشر علماء المحاضر لتدريس العلوم الشرعية، ومعها اللغة العربية، وكان الأمراء الأفارقة الذين يعتنقون الإسلام يقربونهم لكي يعلموهم أحكام دينهم، ويُقرؤوهم القرآن، ويؤمنون بهم الصلوات، ويبدلون النصح لعامة المسلمين⁽²⁾.

وقد ذكر لنا الرحالة ابن بطوطة أثناء زيارته لمملكة مالي الإسلامية في سنة (753هـ - 1352م)، "...من عنايتهم بحفظ القرآن العظيم أنّهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه، ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون، فقلت له: ألا تسرحهم؟ فقال: لأفعل حتى يحفظوا القرآن، ومررت يوماً بشاب حسن الصورة، عليه ثياب فاخرة، وفي رجله قيد ثقيل، فقلت لمن كان معي: ما فعل هذا؟ أقتل؟ ففهم عني الشاب وضحك، وقيل لي: إنما قيد حتى يحفظ القرآن"⁽³⁾.

(1) - البشير عبد الله الشيخ، التربية في المسجد والكتاب (الخلوة)، ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، السعودية، 1980، ص 3.

(2) - نفسه، ص 259.

(3) - ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1، ج2، تح: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ص 704.

لقد اهتم أهل سكوتو بتعليم الصبيان في صغرهم، واعتنوا بذلك عناية فائقة، حيث كان تعليم الصبيان العلم النافع من أعظم وجوه الخير؛ لذا فقد زاد عدد معلمي الكتاتيب في خلافة سكوتو الإسلامية زيادة ملحوظة حتى أصبح بكل قرية من قرأها كتاب، ومسجد، وربما وجد في القرية الواحدة أكثر من كتاب، وكانت تلك الكتاتيب هي البداية الأولى لتعليم الأولاد المنهج القويم والطريق الرشيد، كما كانت الكتاتيب تؤدي دوراً بارزاً في تعليم الصبيان وتنقيفهم، وكانت أغلبها إما ملحقة بالمساجد، أو في بيوت المعلمين، أو تكون متجولة من قرية إلى أخرى، يعسكر فيها التلاميذ خارج القرية وينزلون فيها عن المجتمع للتركيز في تحصيل العلم⁽¹⁾.

ومن أولويات المدارس القرآنية في غرب إفريقيا تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة كمرحلة أولية ومن ثم ينتقل الطالب إلى الدراسات العليا في علم من العلوم حسب رغبة وميوله، ويولي أهل غرب إفريقيا حفظ القرآن الكريم أهمية قصوى كما هو الحال في كثير من المجتمعات الإسلامية⁽²⁾، ويلتحق بهذه المدارس التلاميذ من سن ثلاث سنوات إلى نحو الرابعة عشرة من العمر، وفيها يتعلمون مبادئ القراءة والكتابة وختم قراءة القرآن الكريم⁽³⁾.

ولم يكن لتلك المدارس نظام محدد تخضع له، ولا تحت وصاية الدولة، وبإستطاعة أي شخص أن يفتحها إذا تمكن من حفظ بعض السور القرآنية وتعليم الكتابة والقراءة. وليس بشرط أن يحفظ القرآن كاملاً، وغالبا ما كان المعلم يبدأ بتعليم أولاده أو أولاد أقاربه وأصحابه فيرسل الناس أولادهم بعد ذلك حتى تصبح مدرسة⁽⁴⁾، وتتأثر هذه المرحلة من التعليم بالخلفية اللغوية للمعلم

(1) - الطاهر محمد داود، المدارس القرآنية في نيجيريا نشأتها نظامها وأفاق المستقبل، المؤتمر العالمي للقران الكريم، ص ص 52-53

(2) - نفسه، ص 49.

(3) - نفسه، ص ص 52-53

(4) - شيخو أحمد سعيد غلادنت، المرجع السابق، ص 47.

لأن الاختلاف في نمط تعبير التلميذ يمكن أن يكون بسبب لهجة المعلم. تستمر هذه المرحلة من ستة إلى ثمانية عشر شهراً ، اعتماداً ، مرة أخرى ، على قدرات كل تلميذ⁽¹⁾.

وللمدرسة القرآنية أسماء عديدة منها مكرنترالو (Makrantaralo) أي مدرسة الألواح لأن التلاميذ يستعملون الألواح الخشبية، ومكرنتر توكا (Makrantartoka) بمعنى مدرسة الرماد لان تلاميذها يقرؤون ليلاً بإيقاد الحطب فيخلف رمادا كثيرا، وتسمى مكرنتر القرآن أي مدرسة القرآن، وكذلك من الأسماء مكرنتر محمديه أي المدرسة المحمدية⁽²⁾ وتنقسم مدارس تعليم القرآن إلى قسمين، فالأول هو القسم الذي يتعلم فيه الصبيان قراءة القرآن فقط من غير حفظ، والثاني هو القسم الذي يتعلمون فيه الحفظ، وكان القسم الأول الأكثر انتشارا في البلاد وهو بمثابة الأساس الذي تبنى عليه المراحل اللاحقة⁽³⁾.

3-المدرسة الدهليزية (المعاهد الدينية):

اشتهرت معاهد كثيرة في خلافة سكوتو الإسلامية بنشاطها التعليمي، وتميزت بتعاقب أجيال من المعلمين والطلبة ترتب على وجودها حتمية للتقدم والوعي الديني الإسلامي وتثبيتها للعقيدة الإسلامية وحماتها من الزيغ والانحراف، وسميت بالمدرسة الدهليزية لأنها كثيرا ما تكون في دهليز من منزل الشيخ، وقد تكون في حلقة من حلقات المسجد، وتسمى بمدرسة العلم أو الكبار وهي امتداد للمدرسة السابقة (مدرسة اللوح) وقد يستغني الطالب في المرحلة عن الكتابة في اللوح ويكتفي بالقراءة من الكتب وفيها يدرس كتبا معينة في الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية⁽⁴⁾،

(1) -A. Babs Fafunwa, History of Education in Nigeria Edition1, Routledge, London,1974, p61.

(2) - عبد الرحمن محمد علي المكّي، المرجع السابق، ص64.

(3) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص94.

(4) - الطاهر محمد داود، المرجع السابق، ص53.

وتكون مفروشة بحصير أو فراء وقد لا يكون هناك فراش إلا في مجلس الشيخ وحده خصوصاً، وقد تكون كبيرة أو صغيرة حسب إمكانيات صاحبها⁽¹⁾

وتوجد هذه المعاهد غالباً في المدن وهي مفتوحة لجميع الذين يرغبون في الاستفادة من خدماتها، وتدور سمعة وأنشطة كل معهد حول المعلم وعائلته، ويشكل عدد الطلاب الذين يحضرون المحاضرات مؤشراً على مكانة المعهد في المجتمع، ويميل كل معهد إلى التخصص في مجالات معينة من الدراسات الإسلامية مثل التفسير والحديث النبوي والطب، واللغة العربية آدابها، وهناك متخصصون في تدريس كتاب واحد كاختصاص علماء كانو بحارة مدابو في تدريس مختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي⁽²⁾.

وينقسم هؤلاء الشيوخ إلى قسمين؛ متفنين ومتخصصين ومعنى التفنن هو أن يجمع العالم بين أصول الدين والشريعة واللغة، والتخصص هو مقدرة على تدريس واحد من العلوم الثلاثة وعلى الرغم من صعوبة الجمع بين العلوم الثلاثة فإن عدداً كبيراً من العلماء يدعي أنه متفّن ولا غرابة في ذلك، أما طريقة الدراسة فيبدأ الطالب بالكتب الدينية السهلة ثم قراءة بعض كتب اللغة والتحو، ثم الحساب ثم التفسير، ثم الحديث، ثم الصرف؛ إلى غير ذلك من الكتب، وقد يدرس جميع العلوم عند أستاذ واحد إن كان متفناً وقد يعدد أساتذته إذا شاء أو ينتقل من معهد إلى آخر⁽³⁾.

وكان الشيوخ مع طلبتهم يقسمون أوقاتهم ثلاثاً قسم للتعليم والتعلم من الصبح إلى الظهر وقسم للتكسب من الحرفة والصناعة من صلاة الظهر إلى صلاة العصر وقسم للبيع والشراء وعرض منتجاتهم في السوق من العصر إلى المغرب⁽⁴⁾

(1) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 97.

(2) - Albert Ozigi et Lawrence Ocho, Education in Northern Nigeria, London, 1981, p9.

(3) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 97.

(4) - الألوري، لمحات البلور، المرجع السابق، ص 11.

من يتكسب عمل يده كنسيح الثياب أو الطرز على القمصان والبرانس، والبعض الآخر يتكسب من نسخ المصاحف، ومختلف الكتب العلمية لمن يريدها⁽¹⁾، وهناك من الشيوخ من يقضى ساعات طويلة في التدريس تصل أحيانا من الصّباح إلى المساء، إذ ليس له عمل غيره ولا يتقاضى عليه مرتبًا شهريًا، وإنّما يقوم به ابتغاء وجه الله وحبا في نشر العلم، فكانوا مثلا في التواضع والزهد، ويعيش أغلبهم على إحسان الأغنياء وطلبتهم عليهم⁽²⁾.

وقد جرت العادة في بلاد السودان الغربي تعويد الطلبة على الحضور والمشاركة في مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية⁽³⁾، فتجدهم يشاركون في إضاءة مكان الحفل، وترتيبه للحضور، ويقوم التلاميذ بإلقاء القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتقديم عروض في سيرته في المناسبات الاحتفالية مثل عيد الفطر، والعيد الكبير، والمولد النبوي وليلة القدر في شهر رمضان وغيرها من المناسبات⁽⁴⁾.

4- قصور السلاطين والأمراء:

قامت قصور السلاطين بأدوار أساسية في الحكم، كما ساهمت في نشر مختلف العلوم من خلال جلب العلماء المشاهير لاستفادة أهل القصر من علمهم، وكانت ساحات القصور مكاناً تقام فيها المناظرات الأدبية والفقهية، وتعد فيها أيضا المجالس العلمية؛ ذلك لما لها من هبة المجلس في حضرة الأمراء والملوك، وهذا ما قرره أيضا محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ/1504م) ناصحا للملوك والسلاطين بضرورة تقريب الأختيار، وعدم مجالسة من كان ناقصا في أعين الناس؛ حيث يقول في أبيات له:

(1) - الأثوري، نحات البلور، المرجع السابق، ص 12.

(2) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 99.

(3) - محمود كعت، المصدر السابق، ص 244.

(4) -A. Babs Fafunwa, Opcit, p63.

إِذَا قَرَّبَ السُّلْطَانُ أَحْيَارَ قَوْمِهِ وَأَعْرَضَ عَنْ أَشْرَارِهِمْ فَهُوَ صَالِحٌ
كُلَّ امْرئٍ يُنْبِئُكَ عَنْهُ قَرِينُهُ وَذَلِكَ أَمْرٌ فِي الْبَرِيَّةِ وَاضِحٌ⁽¹⁾

وهناك من السلاطين من يجلب معلمين إلى قصره من أجل أن يتعلم هو بنفسه أو لتعليم أولاده، وهكذا كانت قصور الخلفاء مكانا يلتقي فيه الأدباء والعلماء. وهذا ما أكده المغيلي أيضا بضرورة تقرب العلماء والأئمة والقضاة الثقة في العلم والتقوى الذي ن يرشدونه في جميع الأمور⁽²⁾.

وظهر هذا النوع من النشاط العلمي وانتشر في بلاد الهوسا، حيث قام أمير مملكة غوبر باوجن غوزو (1776-1797م) بتقريب الشيخ عثمان بن فودي، وطلب منه بأن ينتقل إلى العاصمة القاضوا لتعليم أبناء الأسرة المالكة، وهناك أخذ يلقنهم مبادئ الإسلام الصحيح، وهكذا فعل أيضا مع أخيه الأمير يعقوب (1794-1800م) فيما بعد⁽³⁾.

ولعل أهم ما يمكن أن نشير إليه هنا أن الشيخ عثمان بن فودي وخلفائه من بعده كانوا من أنشط الحكام في هذا الميدان، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في تشجيع الحكام بما في ذلك أمراء الأقاليم في خلافة سكوتو الإسلامية، وقد كان السلطان محمد بلو يقرب العلماء والفقهاء، منهم الشيخ الفقيه محمد الوردى التواتي⁽⁴⁾، وكذلك المعلم سعيد الذي أسكنه داره ليذاكره في مختلف العلوم، وقد أوصى ابنه عليا بأن يقرب علماء الذكر أنصار الرحمان، وحذره من علماء السوء أنصار الشيطان⁽⁵⁾.

(1) - محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تح: محمد خير رمضان يوسف، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر، بيروت، 1994، ص 23.

(2) - نفسه، ص 26.

(3) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 42-43.

(4) - رحلة كلابرتون، المصدر السابق، ص 187.

(5) - محمد سعيد، تاريخ سكت، المصدر السابق، ص 198-199.

5- منازل العلماء:

فتح العلماء أبواب بيوتهم على مصرعيها لتعليم الناس أمور دينهم، وتدرّس اللغة العربية فتطوّرت اللغة العربية في هذه البلاد تطورا عجيبا⁽¹⁾، فكانت خلافة سكوتو الإسلامية تزخر بالعلماء الذين تلقوا تعليمهم على يد الشيخ عثمان بن فودي، وعلى أخيه الشيخ عبد الله بن فودي وابنه السلطان محمد بلو، وقد تنوعت مؤلفاتهم، وشملت الكثير من العلوم، وانتشرت انتشارا عمّا كل أنحاء الخلافة⁽²⁾، ممّا يؤكّد أنّ هذه المؤلفات إلى جانب كتابات قادة الخلافة قد قامت بدور فعّال في نشر الإسلام، واللغة العربية في بلاد الهوسا.

تعتبر منازل العلماء من المنارات الهامّة لنشر الدّين، ومختلف العلوم، إذ هي امتداد طبيعي للحلقات التي يعقدونها في المساجد، أو في أي مكان آخر، فمن العلماء من يدرّس أبنائه عند عالم آخر في منزله، وهو أشبه ما يكون بالتعليم الخاص⁽³⁾، وإذا كان في الأسرة علماء فإنهم عموما يعلمون أقاربهم، وهناك نماذج كثيرة لعلماء تعلّموا وتفقهوا وتخرّجوا على أيدي أقاربهم في منازلهم فهذا عبد الله بن فودي قد تتلمذ على يد والده، وشقيقه الشيخ عثمان وغيره من الأقارب⁽⁴⁾، كما يذكر الشيخ عثمان بن فودي أنّه قد تلقّى العلم على يد والده أيضا، وبعض أقاربه⁽⁵⁾، وقد كان لهذه المجالس العلمية، التي كانت تعقد في منازل العلماء بالغ التأثير في التّعليم، والوعي والثّقافة، والحركة الفكرية في هذه الفترة، ذلك أنّها استلزمت أن يكون المتناظرون على معرفة جيدة بشقّي العلوم مع الالتزام بقواعد وآداب المناظرة.

(1)- موسى عبد السلام أبكن، محمد على جامع، أثر القرن الكريم في الشعر العربي النيجيري، مؤتمر اللغة العربية، ص8.

(2)- محمد السّكاكر، الدّولة الصّكنية، المرجع السّابق، ص 158.

(3)- مهدي رزق الله، المرجع السّابق، ص 292.

(4)-M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning among the Fulani before Their Jihād, Op.cit, p552.

(5)-Ibid, p 554.

6-الرباطات:

الرباط حصن دفاعي أخذ تسميته من مرابطة المجاهدين في سبيل الله، فكان هؤلاء المجاهدون يرابطون فيه ويقضون يومهم وليلهم في العمل أو العبادة، وكان المرابطون يقومون بعدة أشغال منها: صنع الورق والحبر، وهما لازمان لما كانوا يقومون به من نسخ المصاحف، وكتب الفقه والحديث، وكان المؤلفون وأصحاب التصانيف يعطون مؤلفاتهم الأصلية، التي كتبوها بخط أيديهم إلى الرباطات لتتسخ منها نسخ أخرى، ويحتفظ بالأصل للرجوع إليه عند الالتباس، وكان المرابطون يقومون بنسخ الكتب وتوزيعها على طلبة العلم⁽¹⁾.

تعددت أدوار الرباط في خلافة سكتو الإسلامية إلى الجوانب الحربية والدينية والعلمية والاجتماعية لذلك يمكن تسمية خلافة سكتو بدولة الرباط ذلك أهما عبر تاريخها اهتمت بالرباط اهتماما كبيرا، لأن الرباط هو عدة الجهاد المستمر . وعلى ذلك انتشرت الرباطات في كل موقع من المواقع الهامة في أرض الخلافة، ولذا أدت هذه الرباطات أدوارا هامة في الدفاع عن الدولة الإسلامية الجديدة، وقد ظهرت فيها أعداد كبيرة من الزهاد والعباد الذين جاهدوا في سبيل الله وظهروا معتقدات الناس من كل الشبهات والبدع⁽²⁾.

وقد كانت المدن التابعة للرباطات تشكل جوانب هامة في هيكلها الإداري والاقتصادي حيث كانت وظيفتها زراعية إلى حد كبير، فوفرت المواد الخام لإنتاج الحرف، فضلا عن الغذاء لدعم الأنشطة العسكرية وغيرها من الأنشطة خاصة عندما يحل موسم الجفاف⁽³⁾، حيث تحتاج فيه مدن الرباط إلى تموين أكبر ومستمر طوال السنة خاصة التموين بالمواد الغذائية.

(1)- محمد منير مرسى التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ط1، عالم الكتب، 2005، ص303.

(2) - السير سيد أحمد العراقي، نظام الحكم الخلافة الصكتية، المرجع السابق، ص 59.

(3)- John E. Philips, Ribats in the Sokoto Caliphate: Selected Studies 1804-1903, Ph.D, dissertation University of California, 1992, p453.

ويعتبر الرباط في خلافة سوكوتو الإسلامية مستوطنة عسكرية مسورة أنشئت للدفاع عن الحدود وحماية المناطق الزراعية، ومركز رئيسي يستقر فيه السكان⁽¹⁾، خاصة بعد نجاح الجهاد، وبعض أتباع الشيخ عثمان بن فودي قد انتقلوا إلى مدن الرباط لغرض التعليم والإفادة في توجيه شعوبهم⁽²⁾

وعلى عهد السلطان محمد بلو يعد إنشاء الرباطات جزء من سياسة الدولة الدفاعية⁽³⁾، فقد شجّع البناء داخل حدود المدن المسورة؛ حيث يمكن فتح المساجد، والمدارس وممارسة التجارة وفتح ورشات العمل، وتعيين علماء في هذه المدن كأئمة وقضاة ومحتسبين، ومعلمين، وهكذا عمل السلطان محمد بلو على ترسيخ الإسلام، والسيطرة العسكرية على المناطق الحدودية لتوفير الأمن⁽⁴⁾، ودعا محمد بلو البدو إلى هذه المناطق حتى يستقروا حولها وقام بتعليم هؤلاء السكان الزراعة⁽⁵⁾، التي تعدّ مصدراً غذائياً مهماً لتموين إحتياجات مدن الرباط.

ويعتبر رباط ورنو (wurno) من أكبرها وأهمها فكانت شؤون الخلافة تسير من هذا الرباط حيث فيه مكث فيه السلطان محمد بلو حتى وفاته (1253هـ/1837م)⁽⁶⁾، كما قام أبناء السلطان محمد بلو بتشديد العديد من الرباطات فمحمد موي أسس رباطين في كل من مردوا وامير، وإبراهيم شيد رباط رابا، وعلى كرامي شيد رباط عيسى، ورباطين شيدهما أخوه أبو بكر عتيق وهما رباط شنكا ورباط بكورا، كما شيد قائد الجيش علي غيدادو رباطاً في بنجي⁽⁷⁾

(1)-John E. Philips, Ribats in the Sokoto Caliphate ,Op.cit, p411.

(2) - muhammad sani zahradeen, Op.cit, p 268.

(3)- ينظر رباطات خلافة سوكوتو الإسلامية في الملحق رقم 03.

(4) -Murry last, The Sokoto Caliphate, Op.cit, p80.

(5)- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 71.

(6) - Paul E. Lovejoy 2003

(7)السير السيد العراقي، نظام الحكم الخلافة الصكتية،المرجع السابق، ص 63.

في عام (1235هـ/1819م) تولى إبراهيم مدايو منصب الأمير في إمارة كانو، وكان مسؤولاً عن تأسيس العديد من الرباطات حيث قام بتحويل مدينة فانيسو إلى رباط (1)، كما شيد رباطاً آخر وهو رباط غوارزو gwarzo، وقد أحاطه بخندق عميق، وقام بتهيئته بالمرافق الضرورية كالمساجد، وأقام فيه المدارس القرآنية لتعليم الأطفال (2)، واستمر تأسيس الرباطات في خلافة سكوتو الإسلامية إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي حيث تم تأسيس العديد من الرباطات في عهد الخليفة علي بابا (1316هـ-1894/1321هـ-1903م) منها رباط ماغامي، وسيتي، وكوجالي، وسانسانين، وكاناوا، وكاو غومباس، كما قام بإعادة بناء رباط داندو، الذي دمره نينغا (3).

وبهذا كان الرباط في خلافة سكوتو الإسلامية إضافة لكونه حصناً دفاعياً عن حدود الدولة وثغورها، كان مورداً اقتصادياً كبيراً، كما أصبح يمثل مركزاً تعليمياً مهماً يضم المسجد والمدرسة والمكتبة، كما أصبح مقصداً للعلماء، والطلبة من كل أقاصي البلاد، وكان العلماء يرابطون فيه فترة ليدرّسوا العلم احتساباً لوجه الله.

7- مراكز الطرق الصوفية:

تعتبر الطريقة القادرية من بين أهم الطرق الصوفية الكبرى، التي انتشرت انتشاراً واسعاً في أجزاء كبيرة من قارة إفريقيا، بل كانت أسبق الطرق الصوفية في كل السودان الغربي، لنشر الإسلام وتثبيت دعائمه (4)، وكان لهجرة قبائل كنتة من مراكزهم بمنطقة توات خلال القرن

(1)- Nasiru Ibrahim Dantiye, A Study Of The Origins, Status And Defensive Role Of Four Kano Frontier Strongholds (Ribats) In The Emirate Period (1809 - 1903), Submitted To The Faculty Of The Graduate School In Partial Fulfillment Of The Requirements Of The Degree Doctor Of Philosophy In The Department Of History , Indiana University, 1985, Pp 25- 26.

(2)- Ibid , pp 95-96.

(3)- Ibid, p27.

(4)- عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص 231.

الخامس عشر وانتقلهم إلى ولاّته⁽¹⁾ ثم تمبكتو أثره البالغ في نشرها نظراً للدور الديني، والقيادي البارز، الذي قامت به هذه القبائل، حيث أسهموا في نشر هذه الطّريقة، وفضلاً عن ذلك ساهموا في نشر الدّين الإسلامي⁽²⁾، وحيثما وصلت موضعاً أقامت فيه مسجداً، والذي يعتبر مركزاً أساسياً لتعلم أمور الدّين والعبادة⁽³⁾، ومع بداية القرن التاسع عشر كانت الطّريقة القادرية تسيطر على الحياة الفكرية، والروحية في أكثر نواحي إفريقيا الغربية مما ساعد على نشر الإسلام بشكل أوسع وأسرع فكان دخوله من حالات فردية إلى حالات جماعية⁽⁴⁾، وتعتبر الطّريقة الوحيدة في غرب إفريقيا من حيث الانتشار لتأتي بعدها الطّريقة التّجانية⁽⁵⁾.

ومما يجدر ذكره أن أتباع الطّريقة القادرية قاموا بدورهم في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، فكانوا خير سفراء للحضارة العربية الإسلامية، كما أنه قد برهن دعاة القادرية على أنّهم أوفياء لأهمّ المبادئ التي كانوا يعملون بها في حياتهم، والتي تقوم في مجملها على حبّ الجار والتّسامح وغيرها من الصّفات الكريمة التي يتميّز بها الإنسان المسلم المتصوّف⁽⁶⁾، وقد قام رجالها المتزعمون باسمها من فلاّنين، وسراكوليين، وماسنيين بحركات الجهاد لنشر الإسلام بين الوثنيين⁽⁷⁾، وكان أروع تحقّق لهذه الطّريقة هو جهاد الهوسا في القرن التاسع عشر الميلادي بتوجيه من عثمان بن

(1) - تقع ولاّته إلى الشمال الغربي من تمبكتو، ومعناها الأرض المرتفعة، من أسمائها " بيرو " وهي حالياً من مدن جمهورية موريتانيا الإسلامية، كانت مركزاً تجارياً كبيراً، إلى جانب الازدهار العلمي، حيث وفد إليها العلماء والتجار من كل النواحي من أهل مصر وفرن وغانميس وتوات ودرعة وفاس وسوس وغيرها ثم تحول النشاط عنها إلى تمبكتو، انظر أحمد شليبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج6، 1983، ص198.

(2) - J. S. Trimingham, Islam in West Africa, Oxford, 1959, p156-60.

(3) - حسين مؤنس، الطرق الصوفية و أثرها في نشر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص 27.

(4) - أحمد شليبي، المرجع السابق، ص212.

(5) - سبنسر ترمنجهام، الفرق الصّوفية في الإسلام، تر: عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعية، 1994، ص 178.

(6) - ارنولد توماس، المرجع السابق، ص365، 366.

(7) - عبد القادر زبادية، دراسة عن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 231.

فودي⁽¹⁾، حيث وصلت الطريقة القادرية إلى ذروة انتشارها بين خلفاء سكو تو الذي ن قاموا بدور كبير في نشرها بعد إسلام الوثنيين⁽²⁾، وقد تفرّعت الطريقة القادرية إلى عدّة فروع من أهمّها:

- الطريقة البكائية⁽³⁾؛

- والطريقة المختارية⁽⁴⁾؛

- والطريقة الفاضلية⁽⁵⁾.

ويعود الفضل إلى أصحاب الطرق الصوفية في نشر التعاليم الإسلامية بين الشعوب الوثنية في غرب إفريقيا، وإدخال اللغة العربية إلى جهات بعيدة . فأصحاب الطرق الصوفية قاموا بدور ثقافي وديني كبيرين، وتطوّعوا في تعليم الكبار ممن لم تتح لهم فرص التعليم الأولي، فبنوا مدارسهم ملحقة بالزوايا، فكانت بجانب كلّ زاوية من زواياهم مدرسة للتعليم، ومن أهم الطرق الصوفية التي قامت بهذه المهمة - ولا تزال - في غرب إفريقيا هي القادرية والتّجانية⁽⁶⁾

(1)- إيوان ميردين لويس، الحدود القصوى للإسلام في إفريقيا وآسيا، ضمن تراث الإسلام، بإشراف، شاخت وبوزوروث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص 141.

(2)- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ص 200-225.

(3)- تنسب إلى مؤسسها الشيخ سيدي أعمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي، كانت له أسفار متكرّرة نحو الشمال، ومن جملة من لقيه الشيخ عبد الكريم المغيلي الذي أخذ عنه أورا د الطريقة، وقد بلغت ذروتها في عهد الشيخ سيدي المختار الكنتي (

ت 1226هـ/1821م)، أنظر: الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 121

(4)- وتنسب هذه الطريقة إلى الشيخ سيد المختار الكنتي (ت 1226هـ/1821م)، ثم تولى قيادتها من بعده ابنه سيدي محمد الذي قام بنشر القادرية في أجزاء كبيرة من بلاد غرب إفريقيا، وعنه اخذ الشيخ سليمان من علماء أولاد ديمان، والشيخ أحمد بن حبيب الرحمن من تندغة، أنظر: الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 121

(5)- أما الشّعبة الفاضلية فمؤسسها الشيخ محمد فاضل بن مامين القلقمي (ت 1297هـ/1879م) كان يقيم في منطقة الحوض ثم انتقل إلى أدرار شمالي مدينة شنقيط فاتخذ منها مقراً له، وقد سلك سياسة رشيدة حيث وّزّع أبناءه في أنحاء البلاد فكان كل واحد منهم منهج، ومنطقة نفوذ خاصّة به، الخليل النحوي، المرجع السابق، ص ص 121-122.

(6)- ابراهيم عبد الله عبد الرزاق، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، القاهرة 1990، ص 35-73.

أصبحت الطريقة القادرية في أواخر القرن الثامن عشر راسخة في بلاد الهوسا وأصبح عثمان بن فودي مع أتباعه من أبرز أعضائها. وكتب عدد كبير منهم قصائد مكتوبة باللغة المحلية واللغة العربية محملة بصور تقاليد الصوفية⁽¹⁾.

أما عن الطريقة التجانية فقد وصلت إلى بلاد الهوسا عن طريق أحد أتباع الشيخ عمر الفوتي وهو الشيخ أحمد باه المعروف بصمب ليللي الفولاني، الذي كان دوره كبيراً في فتح أعداد من الزوايا في مدينة كانو بعدما استقدمه الملك عباس أمير كانو الذي أحسن استقباله⁽²⁾.

ولمهامها المتعددة ودورها في توعية المجتمع فقد كان للزوايا الصوفية مكانتها العالية وسلطتها الروحية الكبيرة، وقد ارتبط انتشار الإسلام في شمال إفريقيا وغربها بانتشار الطرق الصوفية وعلى الأخص الطريقتين القادرية والتجانية، وقد زاد عدد أتباع الطرق الصوفية خصوصاً التجار منهم، وقام أتباع هذه الطرق بدور ديني وسياسي وثقافي هام، ساهم في الازدهار الحضاري للمناطق التي انتشرت فيها، وارتبط التصوف بالعلم وكانت الكتابات مقررته الأساسي، وكانت معها مراكز الزوايا الصوفية كمكان هام لتدريس مختلف العلوم الإسلامية كالحديث والفقه والتفسير وعلوم اللغة إلى جانب تدريس السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي⁽³⁾، وقد أصبح التصوف يمثل نشوة دينية يتقرب بها المجاهدون إلى الله واللجوء إليها لمحاربة الاستعمار⁽⁴⁾، حيث أدت الطرق

(1) - SAMBO WALI JUNAIDU, THE SAKKWATO LEGACY OF ARABIC SCHOLARSHIP IN VERSE BETWEEN 1800-1890, Thesis submitted for the degree of PhD in the University of London School of Oriental and African Studies, 1985, p108.

(2) - عثمان براهما باري، المرجع السابق، ص ص 238-239.

(3) - الخليل النحوي، بلاد شنقيط، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، 1987، ص 120.

(4) - محمد حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة والثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 177.

الصّوفية دورها في نشر الثقافة الإسلامية، ويحسب لها أيضا دورها الفعّال في مقاومة الاحتلال الأوربي الذي حلّ بالمنطقة طامعاً في ثرواتها⁽¹⁾.

ورغم أنّها الطّريقة الأكثر انتشاراً في غرب إفريقيا، إلاّ أنّ أتباع هذه الطّريقة وأورادها يعود لأسباب نفسية، تعود على الشّخص، ويبدو أنّ تقبّل الشّيخ عثمان بن فودي لهذه الطّريقة، كان في أكثرها مسألة اختيار شخصي روحي، دفعه للتّفاني في أيّ فرع من فروع الطّريقة القادرية⁽²⁾، فقد ألف الشّيخ العديد من الكتب التربوية عندما كان في سيفاوا (Syfawa)، التي تحدّث عن منهج القادريين وسلسلتهم⁽³⁾، ومن مؤلّفاته في القادرية السّلاسل الذهبية، والسّلاسل القادرية وتبشير الأمة المحمدية بفضائل الطّريقة القادرية، وكان جميع مشايخ ابن فودي وإخوته وتلاميذه منتسبين للقادرية، فكان لابنه محمّد بلو كتاب مفتاح السّداد، وللوزير غيداد بن ليم في ذلك كتاب أسماء المواهب الرّبانية في تحقيق الطّريقة القادرية.

وقد ساعدت هذه المؤلّفات الشّيخ عثمان على جعل الطّريقة القادرية أكثر انتشاراً في غرب إفريقيا بالتّصدي للبدع والخرافات، كما توجه أتباع الطّريقة بقوة للدراسة والتّعلم للقضاء على الجهل، وصارت زواياها بمثابة مراكز للذكر والصّلاة، إلى جانب التّعليم، وزاد شأنها، حيث أصبحت مصدراً لفتاوى التّشريع الإسلامي⁽⁴⁾.

(1) شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ شمال وغرب إفريقيا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2012، ص61.

(2)- Ralph A Austen ،Trans-Saharan Africa in World History ,Oxford University Press, New York, 2010. P92.

(3)- علي بن أيوب ناجي، المرجع السّابق، ص 89.

(4)- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطّرق الصوفية في القارة الإفريقية، المرجع السابق، ص 46.

المبحث الثاني: نظام ومناهج التعليم في خلافة سكوتو الإسلامية:

1-النظام التعليمي في المدارس القرآنية:

رغم أنّ خلافة سكوتو الإسلامية لم تفتح مدارس رسمية نظامية على النمط الدراسي الحالي، إلاّ أنّها شجعت التعليم، وأهله تشجيعاً كبيراً، فقادة الخلافة كلّهم علماء مثقفون⁽¹⁾، وقد كانت العملية التعليمية تستند إلى عدّة أمور، مثل شخصية المعلمين وتكوينهم، وحسب المستوى الدراسي للطلاب، فكان المعلمون يراعون جوانب مهمّة في التدريس، كالتي ذكرها ابن خلدون في مقدّمة المتعلّمين، كما كانوا يعملون على التّغيب في المجالس العلمية⁽²⁾، وشحذ الهمم ودفعهم للمنافسة العلمية.

وكانت المدرسة القرآنية داخل المسجد أو داخل منازل خاصة، ويشرف على المدرسة شخص واحد وأحيانا يساعده بعض التّبهاء من الطلاب في عملية التدريس، وفي المدارس الابتدائية كان التركيز على حفظ أجزاء من القرآن الكريم، بالإضافة إلى القليل من القراءة والكتابة، أما في المدارس العليا فيوجد معلمين متخصصين يقومون بتدريس مختلف المواد، وكان للطلاب حرية اختيار المواد وحرية اختيار المعلم⁽³⁾

إنّ الطّرق المستخدمة في التدريس في بلاد الهوسا مستقاة من الطّرق المنتهجة في البلاد العربية الإسلامية كالحجاز ومصر وبلاد المغرب⁽⁴⁾، ويعتمد أسلوبهم التّعليم على التّلقين والتّكرار،

(1) مصطفى حجازي السيّد، المرجع السّابق، ص 36.

(2) ابن خلدون، المقدمة، المصدر السّابق، ص 583.

(3) - فاروق إمام محمد، تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في المدارس الابتدائية والثانوية في شمال نيجيريا، ترجمة خير الدين جيرة، الخرطوم ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا المحور 02 غرب إفريقيا: مركز البحوث والترجمة، جامعة إفريقيا العالمية، 1988، ص 127.

(4) - خالد عبد القادر علي، انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر و نيجيريا و أثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2014، ص 68، ص 227.

الذي يعتمد على الحفظ، والكتابة، والعرض، حيث يسرد الشيخ الأحاديث الشريفة على الطلاب ثم يحفظونها عن ظهر قلب، ويقراها كل طالب على الشيخ، ثم يقوم الشيخ بشرح مقاصد الحديث⁽¹⁾.

وتبدأ المرحلة الأولى من التعليم القرآني في وقت مبكر، ما بين السنة الثالثة والخامسة من العمر⁽²⁾ يتعلم التلاميذ في هذه المرحلة قصار السور من خلال عمليتي التكرار والحفظ عن ظهر قلب. وطريقة التدريس كالتالي: يقرأ المعلم لتلاميذه الآية التي يتعلمونها، ويردودونها من بعده، ويفعل ذلك عدة مرات حتى يتقن الطلاب النطق الصحيح للآية، ثم يُترك التلميذ بمفرده ليواصل ترديد الآية حتى يحفظها جيداً. ثم يتم ربط الآية بالآيات المحفوظة سابقاً وبهذه الطريقة يتعلم التلميذ تدريجياً عن ظهر قلب سوراً كاملة من القرآن، وعادة ما تكون هذه السور التي حفظها من قصار السور هي التي يحتاجها في صلاته⁽³⁾.

ويتّم قبول الأولاد والبنات للتعليم طوال العام، والمعلم يبدأ مع الولد من أوّل المقرّر ولا توجد فصول دراسية بل تتكوّن المدرسة من منزل عادي، أو تلحق بالمسجد، وأحياناً تكون تحت ظلّ شجرة، أو سقيفة ويكثر استعمال الشجر في القرى والأرياف لأنّ المعلم يتنقل بتلاميذه من مكان لآخر⁽⁴⁾، والهدف من نظام التعليم التقليدي هو إعداد الفرد جسدياً، ومعنوياً، وفكرياً واجتماعياً، ومهنياً لجعل الفرد جيداً بما فيه الكفاية لتحمل المسؤوليات المجتمعية⁽⁵⁾

(1)- مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص615.

(2)- يذكر الشيخ عبد الله بن فودي في إيداع النسخ أنه درس على يد والد وحفظ القرآن ثم انتقل ليتلمذ على يد أخيه عثمان وعمره ثلاثة عشر، وبذلك يمكن القول انه بدأ دراسته وهو في سن السادسة أو السابعة من عمره.

(3) -A. Babs Fafunwa, , J. U, Aisiku, Education in Africa : a comparative survey, G. Allen & Unwin, Boston ,London , 1982, p 17.

(4)- عبد الرحمن محمد علي المكي، المرجع السابق، ص 64.

(5)-A. S. Thakur and A.N. Ezenne, A short history of education in Nigeria, De Ayo publication, Ibadan, 1980, p1.

وعن طرق الكتابة وأدواتها فتتكوّن من الأوراق والأقلام، والألواح والمداد، وتصنع الألواح محلياً ، أما الأقلام فتصنع من القصب بعد تقطيعه وتسويته، والمداد يصنع من مادة الصمغ والماء والفحم المسحوق حيث تغلى هذه المحتويات لتنتج مادة الكتابة، أو يستخرج من نوع من الأوراق تستخرج منها صبغة تسمى "تادا"⁽¹⁾

تميزت المدارس القرآنية في خلافة سكوتو الإسلامية ببعض الأنظمة الداخليّة التي تسير بها هذه المدارس من أجل ضمان السير الحسن، ويكون المعلم الضابط الأول لشؤون مدرسته، وربما يساعده تلاميذه في حفظ النظام، وتوفير الوسائل المهمة لتسهيل عملية التدريس ومن هذه الأنظمة نذكر ما يلي:

أ- تعيين مساعد للمعلم: يكون من بين الطلاب، ويسمونه في بعض اللغات المحليّة "سنتارو" وهو المسؤول عن التنظيم والإدارة في الحلقات، ومراقبة الطلاب والإشراف عليهم عند غياب المعلم، وغالباً ما يكون أكبرهم، وأكثرهم حفظاً للقرآن.

ب- العقاب: يمارس المعلم سلطة عقاب الطلاب في المدارس القرآنية، إما ضرباً بالعصي، أو السوط، ويكون غالباً سبب عقاب الطالب عدم إتقانه للحفظ⁽²⁾.

ج- الاحتطاب: ويكون الاحتطاب في الأرياف، حيث يجمع الطلاب حزمة من الحطب من الغابة القريبة، وبعد الغروب يشعلون النار في الحطب، ويقرؤون القرآن على ضوء موقد النار⁽³⁾.

(1) - sambo wali junaidu, Op.cit, pp26-27.

(2) - علي أبو بكر أمادو، واقع التعليم الإسلامي في النيجر مع تصور مقترح لتطويره، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية العالية الدكتوراه، إشراف خالد بن حامد الحازم، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، السعودية، 2014، ص71

(3) - نفسه، ص71

د- الوليمة بعد ختم القرآن: بعدما يحتم الطالب القرآن الكريم يقيم أولياء الطالب وليمة حسب قدرتهم المادية، ويكافأ المعلم كذلك على حسب مقدرة الأولياء الحياة، ويحمل حافظ القرآن لقب (مودابو)، أو (ألفا)، أو (مالم)، أو (قوني)، وقد يعتم بعمامة تميزه عن العوام⁽¹⁾

هـ- الإجازة: إذا قرّر الشيخ المعلم منح إجازة لأحد التلاميذ، فإنه سيكتف من احتكاكه به في تلك الأيام الأخيرة، كآخر مرحلة ليسمع منه القرآن من أوله إلى آخره مضبوطا عن ظهر قلب، ويجب التلميذ على أسئلة الشيخ المختلفة المتعددة، والتي تشمل كافة ما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه التجويدية⁽²⁾

2- نظام التدريس في المعاهد الدينية:

يجلس الشيخ ويلتف التلاميذ حوله بوقار شديد وأدب جم، لا تسمع لهم همسا، فكلهم آذان صاغية بما يقول الشيخ⁽³⁾، وتفتح المدارس يوميا بالبسملة والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأول يدرّس في المعاهد الدينية هو تفسير القرآن الكريم والكتاب المعتمد غالبا هو الصّاوي على تفسير الجلالين⁽⁴⁾، والتفسير شأنه كشأن باقي المواد الدراسية يتم بلغة التلاميذ التي هي لغة الشيخ المعلم في أكثر الأوقات مما يسهل لهم فهم الكتاب بعد إزالة العائق اللغوي ومع ذلك فالشيوخ يشجعون الطلاب على استعمال اللغة العربية وفي الدروس عالية المستوى مثل الدراسات اللغوية كالبلاغة والصرف فإن الشيخ في الغالب يشرح باللغة العربية، لأن الشيخ هنا يسعى لصقل مواهب تلميذه⁽⁵⁾.

(1)- الأثوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص 152.

(2) عمر صالح الفلاني، الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، ص 95.

(3)- نفسه، ص 104.

(4)- نفسه، ص 104.

(5)- نفسه، ص 106.

أمّا عن فترة الدّراسة فتبدأ مبكراً بعد صلاة الصّبح مباشرة، إلى ما بعد صلاة العشاء في دورتين أو ثلاث متقطّعة نظراً لانشغالات المدرسين للتّكسب نهاراً، وتستمرّ الدّراسة طوال العام، أمّا بالنّسبة للالتحاق بالمعاهد الدّينية، فلا تتقيّد بزمن معين فيمكن لأيّ طالب الالتحاق في أيّ وقت خلال السنّة، فيبدأ معه المعلم بما يناسب خلفيته العلمية، وتختلف مدة الدّراسة حسب تفرّغ كل طالب، حيث تمتدّ من ثلاث إلى سبع سنوات، وبعض المعاهد الدّينية يمنح الإجازة بعد خمس سنوات⁽¹⁾.

3- المناهج الدّراسية المقرّرة:

ومن أهمّ المواد المقرّرة في التّدريس: التّوحيد، والفقه المالكي، والتّجويد، والتّفسير والحديث، وقواعد التّحو، والصّرف، والبلاغة، والعروض، والقصائد الوعظية، ومتون اللّغة، والأصول، والمنطق، والفلك، أمّا الكتب فهي المشهورة في البلاد العربية الإسلامية، وربّما أضافوا لها بعضاً من مؤلّفات علمائهم⁽²⁾، ومن عادة طالب العلم دراسة الكتب المشهورة في المادّة الواحدة، وإذا استوعب الكتب اللاّزمة في علم من العلوم استأذن شيخه بتدريس ذلك العلم، وربّما بعثه الشّيخ من تلقاء نفسه وأجاز له التّدريس فيما علّمه إياه، على أن يتعهّد شيخه بالمراجعة، وتوضيح ما أشكل عليه من المسائل⁽³⁾.

لقد كانت هذه هي المصادر الدّينية والعلمية، التي نهل منها قادة خلافة سكوتو العلوم واعتمدوا عليها في نظيراتهم وكتاباتهم المختلفة، ولا ننسى أنّهم اعتمدوا أيضاً على بعض المصادر المالكية المشرقية. ومن الجدير بالذّكر هنا هو أنّ الكتب في هذه الفترة كانت صعبة، وإن وجدت فهي باهظة الثّمّن، لذلك يضطرّ الطّلاب إلى نسخ الكتب المقرّرة وغيرها أو شرائها من الأسواق

(1)- عبد الرحمن علي مكي، مؤسسات التعليم العربي الإسلامي في شمال نيجيريا 1200-1400 هـ، رسالة ماجستير،

إشراف: الفاتح أحمد عبد السلام، معهد الدراسات الإفريقية والأسبوية، جامعة الخرطوم، 1987، ص ص 71-72.

(2)- الآلوري آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص ص 78-79.

(3)- نفسه ص 79.

كأسواق مدينة كانو إن أمكن ذلك⁽¹⁾، كما أن زيارة البقاع المقدسة مكة، وغيرها من البلدان، كتركيا والمغرب، وكذلك الجزائر وتونس وطرابلس، تعد فرصة سانحة لجلب الكثير من الكتب العربية التي كانوا قادرين على الحصول عليها أو شرائها⁽²⁾

ومن النّصائح التي كان يبثها الشيخ عثمان بن فودي هي قراءة كتب علماء زمانه، كما نصح بقراءة مؤلفات أخيه عبد الله التي تعنى بأمور الشريعة الإسلامية، و قراءة مؤلفات ابنه محمد بلو التي تعنى بعلم سياسة الأمة، وبقراءة مؤلفاته التي تجمع بين الاثنين الشريعة والسياسة⁽³⁾، كما كان يقول: "فدع العلماء المتصدرين لسبيلهم: فإن أصابوا فلهم، وإن أخطأوا فعليهم، ومن تعلم العلم ليحكم به على الناس - على سبيل القهر والتغليظ - فلا يستريح ولا يستراح معه، ومن تعلم العلم لنفسه وليحكم به على سبيل اللطف والرحمة فمستريح ومستراح معه"⁽⁴⁾.

المبحث الثالث: الحركة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية:

1- الإجازات العلمية:

هناك تشابه كبير في الإجازات بين السودان الغربي وبلاد المغرب الإسلامي، ويعود ذلك إلى الاتصال القوي بين علمائهما، وبصفة خاصة بعد عودة العلماء السودانيين إلى أوطانهم⁽⁵⁾، وكانوا يعتمدون على المتون دون شروحاتها، ويأخذون منها الشواهد فقط، كما أن الطالب يدرس الكتب المشهورة في علم معين، حتى إذا استوعب العديد من هذه العلوم كالنحو والصرف والفقه

(1) - علي، أبو بكر أمادو، واقع التعليم الإسلامي في النيجر مع تصور مقترح لتطويره، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه) إشراف خالد بن حامد الحازم، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، السعودية، 2014، ص 79

(2) - Hugh Clapperton journal of a second expedition into the interior of Africa, from the Bight of Benin to Soccatoo, London : J. Murray, London, 1829, p206.

(3) عثمان بن فودي: نجم الإخوان، المصدر السابق، ص 158-159.

(4) عثمان بن فودي: إحياء السنة، المصدر السابق، ص 323.

(5) عبد الله عيسى، التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا خلال القرن 16م مجلة البيان، دراسات تاريخية 24/09/2014 العدد

والتفسير أجازته شيخه فيما علم، وربما أرسله إلى جهة معينة للتدريس فيها⁽¹⁾، وهناك من الشيوخ الذين يلقون الدروس فلا يشترط عليهم أن يتحصّلوا على إجازات في المواد التي نصبوا أنفسهم فيها لتدريسها، تكفيهم الثقة بالنفس والقدرة على تدريسها، لأنّها تدرّس على الطريقة التقليدية⁽²⁾

وفي السودان الغربي لا تكاد تخلو حياة عالم مرموق من إجازة علمية، سواء أجازها له أحد العلماء، أو أجازها هو لتلميذ من تلامذته أو عالم آخر. ومن ذلك أن الأخوان عبد الله بن فودي وعثمان بن فودي مُنحا إجازة من شيخهما جبريل بن عمر لجميع مروياته⁽³⁾. وقد ذكر الشيخ عبد الله بن فودي في مؤلفه إيداع النسخ أنّه شيخه محمد المعروف ببوطغ عبد الرحمن بن محمد غنّ بن محمد ثنّب أجازته في جميع مروياته⁽⁴⁾

ويقول الشيخ عثمان بن فودي في كتابه سوق الأمة إلى إتباع السنة، أن رواية البخاري أخذها سماعاً ورواية مسلم عنده إجازة⁽⁵⁾، ومن مميزات علم التفسير دون غيره من العلوم في غرب إفريقيا تخصيصه بنوع من الإجازة العلمية وهي التعميم، حيث أصبح عادة إفريقية مستحدثة يلبس فيها الشيخ تلميذه عمامة شهاده على بلوغه درجة عالية في تفسير القرآن الكريم، وتقام في مراسيم احتفالية⁽⁶⁾

ويذكر الشيخ عبد الله بن فودي سنده في روايه صحيح البخاري بجمع مروياته في قصيدة يقول فيها:

(1)- الألورى آدم عبد الله ، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص 79.

(2)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 97.

(3)- M. Hiskett، Material Relating, Opcit, p558.

(4)- Ibid, p557.

(5)- عثمان بن فودي، سوق الأمة لاتباع السنة، تح: الشيخ أبو الفاعمر محمد شريف بن فريد، المعهد الاسلامي

للدراستات الافريقية والدولية، سنار، 2010، ص 6.

(6)- آدم. ممبا، حركة تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى لغات غرب افريقيا الكبرى دراسة تاريخية تحليلية، المؤتمر العالمي

للقرآن الكريم، السودان، 2011، ص 273.

يُقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ الْحَمْدِ اللَّهُ وَالصَّلَاةَ فِي ذِي الْمَجْدِ
 أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَاجٍ أَيَّ عَمَّنَا خُلَاصَةَ الْحُجَّاجِ
 الْجَامِعِ الصَّحِيحِ لِلْبُخَارِيِّ وَالشَّيْخِ عُثْمَانَ عَلَيْهِ الْقَارِيَّ
 عَنْ شَيْخِهِ بَطِيئَةَ أَبِي الْحُسَيْنِ الْعَالَمِ السَّنْدِيِّ حَافِظِ السَّنَنِ
 عَنْ شَيْخِهِ مُحَمَّدَ حَيَاةٍ عَنْ بَنِ سَالِمٍ عَنِ الثَّقَاتِ
 مُحَمَّدَ الْبَابِلِيِّ الْمِصْرِيِّ عَنْ بَنِ سَالِمٍ أَبِي النَّجَا السَّنْهُورِيِّ
 عَنْ شَيْخِهِ الْقِطِيِّ أَيَّ مُحَمَّدٍ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ بِمَا عَنْ أَحْمَدَ
 ابْنَ عَلِيِّ حَجَرِ الشُّيُوخِ عَنْ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ التَّنُوخِيُّ
 عَنْ أَحْمَدَ الْحَجَّارِ عَنْ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ الْأَوَّلِ عَنِ الدَّوُودِ
 عَنِ السَّرْحَسِيِّ عَنِ الْفَرَبَرِيِّ عَنْ الْبُخَارِيِّ الْعَظِيمِ الْأَمْرِ⁽¹⁾

ويمنح الشيخ الإجازة بطريقتين أولهما بالمشافهة، وثانيها بالإجازة التحريرية، على أن الإجازة الشفهية أقدم من الإجازة التحريرية، وقد اعتاد الشيوخ أن يكتب الطلبة إجازاتهم على الكتاب الذي درسوه، وتكون الإجازة عادة مقتضبة لا تحتوي طرق الرواية ولا أسماء، ومن هذا يتضح أن الإجازة هي إذن أو رخصة تتضمن تخويل المجاز حق نقل المادة العلمية أو الرواية لحديث معين أو كتاب محدد يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة عنه⁽²⁾

2-الرحلات العلمية :

عرفت بلاد السودان الغربي أغلب المعارف التي توصل إليها العالم الإسلامي، سواء عن طريق الكتب التي كانت ترد على أسواقها بكميات كبيرة، أو عن طريق الفقهاء الذين كانوا يأتون للدعوة والتعليم، أو عن طريق الفقهاء التجار الذين كانوا يأتون إلى بلاد السودان للتجارة، وفي

(1)- Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Opcit, P38.

(2)- M. Hiskett, Material Relating, Opcit, p558.

الوقت نفسه يقومون بالتدريس والتعليم⁽¹⁾ على أن هذا النوع من التبادل كان بين غرب إفريقيا والمغرب أكثر مما هو عليه مع البلدان الإسلامية الأخرى، ولذلك دخلت إلى المنطقة كثير من المؤلفات المغربية مثل مؤلفات المغيلي وجامع المعيار للونشريشي⁽²⁾، ويذكر المؤرخ عبد القادر زبادية في أن علماء غرب إفريقيا: قد تمكّنوا من دراسة العربية والإسلام حتى أصبحوا ينتجون العلوم على النمط الذي كان عند العرب في المشرق والمغرب على السواء⁽³⁾

وكان الطلبة يرحلون من شتى بقاع غرب إفريقيا سعيا لطلب العلم على علماء تمبكتو وجني وكاغ وكانو وكاتسينا وعسرغمو وولاتة، كما انتقلوا إلى بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق لهذا الغرض إلى جانب زيارة البقاع المقدسة⁽⁴⁾، ومن العلماء الذين اشتهروا برحلاتهم العلمية الشيخ مخلوف بن علي البلبالي، الذي تلقى تعليمه في معاهد إفريقيا الغربية في وولاتة وتمبكتو، ثم ارتحل إلى بلاد المغرب ودرس علي يدي ابن غازي⁽⁵⁾.

ومن العلماء أيضا الذين كان لهم في النشاط، والرحلة العلمية الفقيه محمد بن أحمد التادختي، رحل إلى تكده قاصداً الشيخ المغيلي، ثم رحل إلى مصر ولقي القلقشندي واللقاني، ثم رجع إلى السودان الغربي إلى مدينة كاتسينا تولى فيها القضاء والتدريس، والشيخ عبد الله ثقة الذي رحل إلى أغاديس وفزان وغيرها سعيا في طلب العلم⁽⁶⁾، ومن أشهر علماء بلاد الهوسا أبي علي محمد ثنب بن عبد الله الفلاني بعد أن تعلّم وعلم من المنطقة ارتحل إلى الحرمين الشريفين

(1) - طرخان إبراهيم علي، امراطورية غانة الاسلامية، الهيئة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1970، ص 44.

(2) - عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسبقين، المرجع السابق، ص 148.

(3) - نفسه، ص 154.

(4) - مهدي رزق الله، حركة التعليم والتجارة، المرجع السابق، ص 65

(5) - ابن غازي هو محمد بن احمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني، المكناسي الفاسي أبو عبد الله مقري

محدث فقيه مؤرخ فرضي حاسب عروضي، نحوي، توفي 909هـ/1513م مصنفاته كثيرة. أنظر معجم المؤلفين، ج9،

ص16.

(6) - محمد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص 210-214.

ومكث في المدينة المنورة أكثر من عشر سنوات، وافته المنية بأغاديس، وهو في طريق العودة، وقد رثاه الشيخ عبد الله بن فودي في قصيدة لامية متأسفا على رحيله لأنهم لم ينهلوا من علمه⁽¹⁾ وللشيخ عثمان بن فودي رحلات علمية ودعوية كثيرة منها للتعليم ومنها للتعليم، ومن جملة رحلاته انتقاله إلى بلاد آهير قاصدا الشيخ جبريل بن عمر حيث لازمه ما يقرب العامين أخذ عنه علوما كثيرة كما أجازته في جميع مروياته⁽²⁾، ونجده أيضا قد ارتحل برفقه أخيه عبد الله إلى بلاد زنفرا لنشر الإسلام، ثم رحل إلى جهة الغرب لبلاد كبي، حتى عبروا حدود نهر النيجر، إلى بلد إلو حيث عمل على تبليغ دين الله، ثم رحل إلى بلد زرم وبلغوا أميرها بموضع يسمى زقو، ثم رجع إلى وطنه وتاب على يده خلق كثير، ثم رحل إلى كانو وكاتسينا ومكث مدرّسا مدة ثم رجع إلى بلده (Degel)⁽³⁾

3- المجالس العلمية:

لقد أسهمت المجالس العلمية التي كانت تعقد في المساجد والرباطات، ومنازل الحكام والعلماء في بعث نهضة علمية شاملة في خلافة سكوتو الإسلامية، وإن كانت تظهر بوسائل منظمة للتعليم إلا أنها أسهمت إسهاما كبيرا في التطور الثقافي والفكري والتعليمي خلال فترة البحث. وكان لشيخو العلم دورا بارزا في نقل صورة المجالس العلمية الموجودة في البلاد الإسلامية إلى غرب إفريقيا، وقد اشتهرت بهذه المجالس العلمية عدة حواضر علمية منها تمبكتو، وجني وغاو وأغاديس، وفي بلاد الهوسا اشتهرت كانو وكاتسينا، وسكوتو، وغواندو، خاصة بعد تأسيس خلافة سكوتو الإسلامية⁽⁴⁾.

(1)- Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Op.cit , P39.

(2)-M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning, Op.cit, pP557.

(3)- Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Op.cit, P39.

(4)--- عمر أحمد سعيد، عبد الله بن فودي رائد الآداب والعلوم في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص55.

ويتصدّر المجالس العلمية للتدريس العلماء والطلاب الذين تفوقوا في قواعد اللغة العربية وأصول الشريعة الإسلامية، خاصة الذين تخرجوا من المدارس المشهورة في إفريقيا؛ كفاس، وطرابلس، وتمبكتو، ومصر، وغيرها من المراكز الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي⁽¹⁾. وكان لهذا النوع من التعليم الإسلامي تأثيراً واضحاً في حياة الناس، فكان له دوراً بارزاً في توطيد الإسلام، وازدهار الحركة العلمية بخلافة سكوتو الإسلامية، ويقدم لنا محمد بلو وصفا لتلك المجالس العلمية ومجالس الوعظ التي كان يعقدها الشيخ عثمان بن فودي حيث يقول "فكان يخرج في كل ليلة جمعة يعظ الناس، ويحضر مجلسه جمع غفير، وبعد صلاة العصر للتدريس، يفسر القرآن، ويدرس الحديث، والفقه، والتصوف، وبعض كتبه، وكان أيضا يخرج في سائر الليالي بعد العشاء لبث العلوم، كما كان ينتقل إلى البلدان للإفادة والوعظ، ثم يرجع لمحلّه في بلده دييجل (Degel)⁽²⁾ .

وقد وصف السلطان محمد بلو مجالس والده العلمية إذ يقول: " وكان إذا وصل إلى المجلس سلم بسلام عام يسمعه جميع الحاضرين، وإذا صعد على الكرسي حياهم بتحية عامة ثلاث مرات، ببشاشة وطلاقة وجه، وحسن خلق، فلا يضر ولا يحقد ولا يسأم من العوام ذوي سوء أدب، إذا استنصتهم لا يسكتون، وإذا منعهم من السؤال لا ينتهون، ثم يحدثهم بصوت عال لا يواجه بخطابه أحداً دون آخر، ولا يستحي من أحد، بل يتكلم على الجميع، بما يعم الانتفاع به " ⁽³⁾

تعتبر الحلقات العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية التي تقام في المساجد ومنازل العلماء والمعلمين ذات أهمية كبيرة، وهي امتداد طبيعي للتعليم القرآني في الكتاتيب، والتعليم العالي في المعاهد الدينية إذ يحصل التكامل التام في أداء الرسالة التربوية بين هذه المراكز التعليمية المتمثلة في السعي إلى غرس التعليم العربي الإسلامي، والعقيدة الصحيحة في نفوس المجتمع، وساعد على بلوغ

(1)- الألووري، الاسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص 53-54.

(2)- محمد بلو، انفاق الميسور، المصد السابق، ص 95

(3)- نفسه، ص 68.

هذه الغاية تشجيع الخلفاء والأمراء ووزرائهم لتلك المجالس العلمية؛ حيث كان يحظى رجال العلم فيها بالهبات والصلات الجزيلة، جراء ما يقومون به في سبيل العلم والمعرفة.

4-المراسلات:

كانت المراسلات العلمية رافداً قوياً من روافد النهضة الثقافية العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، وكان لها أثرها البالغ في توجيه وتصحيح بعض العقائد والأفكار المنحرفة، وتعليم ونشر مبادئ الإسلام، كما كان لها إسهام كبير في نشر اللغة العربية، وهناك نماذج كثيرة من هذه المراسلات، والتي حدثت في فترات مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر نموذجاً من تلك المراسلات، فقد حفظ لنا القلقشندي رسالة باللغة العربية بعثها سلطان كانم عثمان بن إدريس إلى السلطان الظاهر سيف الدين برقوق، وقال إنها وردت سنة (794هـ/1394م).

مما يوجب القول أن انتشار اللغة العربية واضح بجلاء في هذه البلاد، ومادامت الرسالة طابعها رسمي، فإنه يدلّ حتماً على أن اللغة العربية كانت اللغة الرسمية للدولة، وتكتب بها سجلاتها كما أن مضمون الرسالة يُعبر عن مدى شيوع الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة⁽¹⁾.

كذلك كان للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي رسائل وفتاوى الأسقيا الحاج محمد الكبير حاكم مملكة سنغاي الإسلامية، ولأمير كانو أبي عبد الله محمد رنفا بن يعقوب، فالراجح أنه كتبها حينما كان في بلاط كل منهما⁽²⁾.

وفي إطار نصح العلماء، كانت لعلماء غرب إفريقيا مراسلات علمية ومناظرات، منها ما كتبه أحد علماء التكرور يستفتي فيها الإمام السيوطي في بعض الأمور المتعلقة بعوائد أهل السودان

(1)- القلقشندي، المرجع السابق، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، المصدر السابق، ج8، ص ص 106-118.

(2)- محمد بن عبدالكريم المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي عليها، تقدم وتحقيق عبدالقادر زباديه، الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع، الجزائر، عام 1989، ص ص 151-191

المخالفة للشريعة⁽¹⁾، كما حدث كذلك مراسلات بين الشيخ عثمان بن فودي وسلطان المغرب المولى سليمان مما يدلّ التواصل والعلاقات الطيبة⁽²⁾

لقد تنوعت أساليب الاستهلال والخاتمة في هذه المراسلات بحسب مقام المرسل إليه، فقد وزنوا الألفاظ، وقدروها بشكل رفيع، وظهرت أساليب مختلفة في المراسلات، فكان للشيخ عثمان بن فودي رسائل كثيرة بعث بها إلى أهل السودان، حيث بين لهم عن طريق هذه الرسائل المكتوبة باللّغة العربية كل ما يتعلّق بأحوال بلاد الهوسا من انحرافات، وبين لهم الطّريق المستقيم بإتباع الكتاب والسنة، ومن التّماذج أيضاً، الرّسائل المتبادلة بين الشيخ عثمان بن فودي، وسلطان الكانم بورنو محمد الأمين الكانمي (1251هـ/ت 1835م) ، في أمر الجهاد في تلك البلاد وهي كثيرة وقد بلغت حدّ الرّوعة في التّعبير دلّت على التّضلع الكبير لهؤلاء في اللّغة العربية وأساليبها⁽³⁾.

وقد كانت للشيخ عثمان بن فودي مراسلات كثيرة مع ملوك الهوسا الوثنيين، حيث يقول محمد بلّو: "... فسار بالوثائق عبد الرحمن بن العلامة زمنو والمصطفى. فلما أوصلوا وثيقة أمير كاشنة ونظر إليها أخذته العزة فمزقها، فمزق الله ملكه، ولما أوصلوا وثيقة أمير كانو كاد أن يقبل، ثم أبي وسلك ما سلك إخوانه، ولما أوصلوا وثيقة أمير زكرك قبل وتاب، وأبى عليه قومه، فقاتلهم فقام على ذلك مدة عمره..."⁽⁴⁾.

إن مثل هذه المراسلات كان لها دور كبير في تبليغ دعوة الشيخ عثمان بن فودي بالكلمة الطيبة، وبذلك فقد يكسب أنصارا جدد مثل أمير زكرك، أو يدعم شرعية جهاده ضدّ من وقف معاديا للدعوة السّلمية التي كان يتحلّى بها الشيخ وأتباعه مثل أميري كاشنة وكانو.

(1)- السيوطي، الحاوي للفتاوي، ص ص 284-294.

(2)- وقد أورد نص الرسائل محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور، ص ص 192-221.

(3)- محمد بلّو، إنفاق الميسور، المصدر السّابق، ص ص 153-192.

(4)- محمد بلّو، المرجع السّابق، ص 110.

وقد ظهر في هذا العصر أيضاً المراسلات عن طريق المناظرة الشعرية، حيث أثار جهاد بن فودي بعض العلماء من الأحزاب الموالية لملوك الهوسا، الذين قاموا بالدفاع عن أنفسهم وعن ملوكهم، ويطعنون الشيخ وجماعته في سياستهم، ومن ذلك ما كتبه محمد بلو نيابة عن والده الشيخ عثمان بن فودي يتهم فيها سلطان برنو الحاج الأمين الكانمي بنصرة الأعداء فيما يلي:

رِسَالَةٌ نَاصِحٌ يُبْدَى الْيَقِينَا	أَلَا مِنْ مَبْلَغِ عَنَى الْأَمِينَا
بَنَّهُ بُرَاءً فَأَوْفِ الْعُذْرَ فِينَا	تَعَلَّمْ أَنْتَ مَا رَمَتْنَا
عُلُوءًا أَوْ فَسَادًا قَاصِدِينَا	وَأَنَا مَا تَغَلَّبْنَا عَلَيْهِمْ
وَبَغْيَا صَاحِ قُمْنَا دَافِعِينَا	وَلَكِنَّ حِينَ أَجْرَجْنَا إِعْتِدَاءً
وَفَتَشَهُ وَلَا تُعَجِّلْ عَلَيْنَا	تَبَيَّنَ أَمْرُنَا هَذَا أَخَانَا
وَنَصْرِ الظَّالِمِينَ الْفَاجِرِينَ	فَدَعُ عَنْكَ الرُّكُونَ إِلَى الْأَعَادِي
وَوَالِ أَخَا الظَّالِمِ صُلَاحِ الْمُؤْمِنِينَ	تَعَلَّمْ أَنَّهُمْ أَهْلُ إِعْتِدَاءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ مَخْزِي الْكَافِرِينَ (1)	وَحَالِهِمْ وَظَاهِرَهُمْ عَلَيْهِمْ

ورد عليه الحاج الأمين بقوله:

حَرِيصٌ عَلَيَّ مَنْ يُقْبَلُ الْقَبْلُ بِالْفَهْمِ	أَلَا عَمَّ صَبَاحًا وَأَحْضُرِ الذُّهْنَ أَنْبِي
وَمَا زِغْتُ يَوْمًا عَنْ طَرِيقِ ذَوَى الْعِلْمِ	فَإِنِّي أَرَى نَفْسِي عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى
مِنَ الْعَزْوِ وَالْغَارَاتِ وَالسَّفْكِ لِلدَّمِ	وَمَا كُنْتُ مُحْتَارًا لَمَّا قَدْ سَمِعْتُمُوهُ
عَلَيْهِمْ وَلَكِنَّ دَافِعَ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ	وَلَسْتُ بَعَاتٍ فِي قِتَالِيٍّ وَمُعْتَدٍ
وَذَا وَاجِبٍ لَنَا جَوْفٌ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ	كَإِنْقَازِ غَرْقَى وَالْحَرِيقِ وَمَنْ ظَلَمَ
لِنُنْجُو مِنَ التَّأْوِيلِ وَالْقَوْلِ بِالرَّجْمِ (2)	وَفِي الصُّلْحِ خَيْرٍ إِنْ رَضِيْتُمْ جَوَابَنَا

(1) - نفسه، ص ص 182-183.

(2) - محمد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص ص 185-186.

يعتذر محمد بلو في جراءة جماعة الشيخ عثمان مما يعابون عليه من إفساد في الأرض بتغلبهم على الناس ويحتجون بأنهم قاموا بسياسة الجهاد للدفاع عن أنفسهم ثم نصح الأمين الا ينصر الظالمين على المؤمنين. والأمين في دوره يعتذر أيضا أنه قام بالغزو لا للاعتداء بل للدفاع ضد الجور والظلم.

واستمرت المراسلات بين حكام الخلافة والأسرة الحاكمة الكانمية بحكم الجوار مثل مراسلات عمر محمد الأمين الكانمي (1298هـ/1880م) مع السلطان معاذ بن محمد بلو (1299هـ/1881م) حول نزاع الحدود في منطقة كتاغم، وكذلك مراسلات مع ابنه هاشم⁽¹⁾. ومن مراسلات السلطان محمد بلو رسالته إلى الحرمين الشريفين²، لتوضيح الرؤية حول الجهاد في بلاد الهوسا وما جرى بينهم وبين الممالك الوثنية، وفيها شرح لهدف الحركة الإصلاحية التي قادها الشيخ عثمان بن فودي⁽³⁾، وقد حدثت أيضا مراسلات بين السلطان محمد بلو ويوسف باشا القرمانلي (1248هـ/1832م) تظهر فيها مدى قوة وعمق العلاقات الطيبة⁴ من تقارب وتبادل للهدايا ووصف للمشاعر الطيبة الصادقة والمحبة التي تجمع بين البلدين⁽⁵⁾.

ومن المرسلات الهامة الرسائل التي تبادلت بين الفوديين والشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي وفيها مباركة لحركتهم الإصلاحية، واهتمام أقطاب الطريقة القادرية بأتباعهم في بلاد الهوسا ومناصرتهم وتشجيعهم على نصره الإسلام⁽⁶⁾.

(1) - A. D. H. Bivar, Arabic Documents of Northern Nigeria, B. S. O. A. S, University of London, Vol. 22, No. 1/3 (1959), p 332.

(2) - ينظر نص الرسالة في الملحق رقم 17.

(3) - موسى أحمد كامره، زهور البساتين في تاريخ السودان، تح: نصر الدين سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010، ص ص 99-100.

(4) - ينظر نص الرسالة بن السلطان محمد بلو ويوسف باشا القرمانلي في الملحق رقم 09.

(5) - A. D. H. Bivar, Arabic Documents of Northern Nigeria, Op.cit. 345-346.

(6) - هارون بن الشيخ سيدي باب، كتاب أخبار المدون في أخبار الموريتانيين ومن جاورهم من النواحي المحيطة بهم، ج1، قدمه للطباعة باب بن هارون، 1998، ص 181.

كما كانت المراسلات بين أمراء خلافة سكوتو نشطة حيث اهتمت بمختلف جوانب التسيير والتدبير والإعلام والاستفسار والإعلان والإخبار وغيرها من احتياجاتهم لبعضهم البعض فيما يخدم مصالح الدولة، من ذلك ما حدث من مراسلات بين السلطان محمد بلو والأمير يعقوب بن داد (1259هـ/ ت 1843م) حاكم باوتشي، يعلمه بأمر الجهاد والغزو لشمال البلاد في منطقة تادغو، وان يكونوا على استعداد تام لجهاد الكفار⁽¹⁾، ومنها أيضا المراسلات التي حدثت بين وزير المصالح والنصائح محمد البخاري، وبين علماء البلاد، منهم العالم أحمد بن سعيد للتشاور في أمر مصالحة الانجليز الذي احتل بلادهم⁽²⁾

ونجد في موضوع المراسلات أن الإمام الحاج عمر بن أبي بكر عثمان الكنوي وضع كتابا في فن الترسل، حيث أورد في مقدمته: " وقد سألني بعض الإخوان أن اجمع له مادة من الرسائل والترسل وألح علي فأجبتة إلى ذلك رجاء للثواب وخوفاً من الكتمان الممنوع شرعاً" ثم بين كيف تكتب الرسائل سواء شخصية أو ديوانية⁽³⁾، وبهذا التأليف الذي أصبح مرجعا متداولاً يرجع إليه في كتابه مختلف الرسائل الديوانية، والإخوانية.

المبحث الرابع: المخطوطات وحركة التأليف:

1-المخطوطات:

للمخطوطات مكانتها الكبيرة في الحضارة الإسلامية، وهي تعبر عن مدى تقدم الشعوب، والأمم وعلو شأنها الثقافي، وهذا واضح وجلّي لما تركه العلماء المسلمون من إرث ضخم من المخطوطات، الذي ينم عن مدى قوة التفوق في شتى العلوم، ويعتبر الشيخ عثمان بن فودي أحد أولئك العلماء الذين تركوا بصماتهم في الحضارة الإسلامية، وخلف لنا مكتبة عامرة بمختلف

(1) - Ibid, pp. 337-338.

(2) - شيخو أحمد سعيد غلادنت، المرجع السابق، ص ص 321-326.

(3) - الحاج عمر بن أبي بكر عثمان الكنوي، السرحة الوريقة في علم الوثيقة، المرجع رقم 4، المادة 8 M/AR، الورقة 1.

الكتب الٲى تعالج قضايا الدين والمجتمع في عصره، كما ركزت على مواضيع عديدة بتعدّد القضايا كالعقيدة، وأحكام العبادات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة البدع، وكثيراً ما ألف الشيخ عثمان بن فودي مخطوطاته في النصّح والوعظ والإرشاد فكانت سلاحاً دعويّاً استعمله لمحاربة هذه البدع والخرافات الٲى تفسّٲت في مجتمعات بلاد الهوسا. فبيّن لهم أصول الدين، وأرشدهم لقيم الأخلاق، ودلّل على ذلك كلّ من الكتاب والسنة، وعلى مذهب الإمام مالك، ولم تكن مؤلفاته وليدة الحاجة العلمية فقط بل كانت وفق ما يحتاجه مجتمعه ضروريات⁽¹⁾

ومن جملة الأسباب الٲى أدت ظهور المكتبات وازدهار حركة التّأليف وإنتاج المخطوطات العربية والإسلامية في بلاد الهوسا تفسّٲي البدع والخرافات في أوساط طبقات المجتمع المختلفة الحاكمة والعامّة، ومن المؤلّفات الٲى ظهرت لغرض التوعية بخطرها كتاب إحياء السنة وإخماد البدعة، وإرشاد الناس وتوعيتهم، ببيان إتباع الطّريق الصّحيح بظهور حركة الدّعوة والإصلاح، ونشر المعرفة والثّقافة بين أفراد المجتمع⁽²⁾

وفي منتصف القرن التاسع عشر كان التّنافس على أشده بين كلاً من الطّريقتين القادرية والتّجانية ممّا فتح الباب واسعاً في الكتابة الصوفية كالأوراد ونسخ الكتب الخاصّة بكل منها فسمح بانتشار الكتب وشجع على القراءة والكتابة معاً⁽³⁾، وبذلك اشتهر نسخ الكتب وراجت تجارتها بشكل واسع في أنحاء خلافة سكوٲو الإسلامية⁽⁴⁾. فكان لتشجيع حكامها حافظاً كبيراً في تنشيط تجارة الكتب، ونسخها وتوزيعها على نطاق واسع لإرشاد الناس وتعليمهم .

(1) - عثمان بن فودي، المسائل المهمة، المصدر السّابق، ص178

(2) - رفاعي الحاج إسماعيل، دور المخطوطات العربية الإسلامية لقادة الخلافة الصكّنية، في إثراء اللغة العربية في نيجيريا، مقالة مقدمة إلى المؤتمر الدولي للغة العربية الثاني، دبي، 2013، ص ص 2-4.

(3) - Murray LAST, The Book in the Sokoto Caliphate, dans Shamil JEPPIE, Souleymane Bachir DIAGNE, The Meanings of Timbuktu, Cape Town, Codesria, 2008, p, p145.

(4) - Ibid, p 136.

وأصبحت حواضر الخلافة مراكز لتجارة إقليمية الكتب خاصة الكتب التي تم تأليفها محلياً، وساعدت بذلك على إحياء سوق عامة لتداول الكتب كما كان الزوار من العرب يأتون بالكتب كهدايا للحكام وخاصة السلطان محمد بلو قد أرسل مبعوثين على وجه التحديد لشراء الكتب العلمية من شمال أفريقيا ومصر⁽¹⁾.

2- حركة التأليف:

كانت صناعة الكتب ونشرها بالغة الأهمية في السودان الغربي منذ القرن السادس عشر حقيقة أكدها كثير من المؤرخين على أن نسخ الكتب أصبح مصدراً مهماً لكسب العيش للعديد من علماء المنطقة⁽²⁾، وقد اشتهر بحسن الخط الشيخ الخضر بن مصطفى العالم التقى الزاهد حيث لقب بالخطاط وكان ذلك في عهد الأمير عبد الرحمن⁽³⁾، بالإضافة إلى تعلم أهل المنطقة فنون الخط وصناعة الورق وان كان على الطريقة التقليدية وكانت المخطوطات والكتب تباع بأسعار أعلى من أسعار السلع التجارية الأخرى⁽⁴⁾، وقد اشتهر في إمارة إيلورن الشيخ موسى أتيري بدوره الكبير في تدريب أجيال كثيرة على الكتابة العربية الجيدة، فأنجج بذلك كتاباً مهرة اتخذوا من الكتابة مصدراً للتكسب والمعيشة، فبرزت هناك من البيوت الإلورية مثل بيت الكاتيبي، وبيت ذي المداد، وبيت ألاكوف، وبيت أولأوتي، وبيت أودي بنبا وغيرها من الأسر التي احترفت مهنة النسخ أو الوراق، فنسخوا المصاحف، وأحاديث السنة النبوية الشريفة، والكتب الفقهية، ومتون اللغة العربية، وغيرها⁽⁵⁾، لقد كانت مهنة الوراق منتشرة في مدن خلافة سكوتو بشكل كبير وفضلاً

(1) - Ibid, p146.

(2) - H. F. C. Smith, SOURCE MATERIAL FOR THE HISTORY OF THE WESTERN SUDAN, J.H.S.N, Vol. 1, No. 3 , Historical Society of Nigeria, 1958, p238.

(3) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص101.

(4) - الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 161. عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسبقين، مرجع سابق، ص 222.

(5) - عبد الرشيد محمود مقدم، الشيخ موسى أتيري، علماء الإمارة، ترجمة نخبة من أعلام إمارة إيلورن، ط1، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2015، ص82.

على أنّها مهنة للتكسّب والمعيشة فهي بالأساس مصدر رئيسي لتوفير الكتب في سائر العلوم والفنون.

وبذلك انتشرت المخطوطات العربية بشكل كبير في غرب إفريقيا والواضح فيها أنّ أغلبها كتبت بالخطّ المغربي يقول القلقشندي: وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة⁽¹⁾، ومن كثرة الإنتاج لهذه المخطوطات زاد اتّساع معرفتهم بالكتابة العربية فأصبح لافت للنظر خاصّة عند الاتّصال بالمراكز العلمية في شمال إفريقيا أو مصر. هذا يشير إلى أنه سهّل التعليم الإسلامي في السودان الغربي فأصبح أكثر تقدّمًا ابتداءً من القرن السادس عشر⁽²⁾، مما تيسّر للعلماء الذين يعرفون اللّغة العربية، ويمتلكون قدرات فائقة للقيام بدور كبير في القصور الملكية بصفة مستشارين سياسيين أو موظفين⁽³⁾، وكان اهتمام العلماء وحرصهم الكبير على اقتناء الكتب والمخطوطات كبيراً لدرجة التنقل إلى مسافات بعيدة من ذلك تنقل الشّيخ عثمان بن فودي إلى شمال أغاديس في جبال آير للحصول على نسخة من قاموس الفيروزبادي⁽⁴⁾

ومع ظهور خلافة سكوتو لم يهمل قادتها جانب التّأليف لأهمّيته، فعكفوا على إنتاج المخطوطات العربية، والإسلامية بغية إصلاح المجتمع الهوسوي، وتزويده بشتّى المعارف، والأفكار الإسلامية⁽⁵⁾، وكان للمناخ الاجتماعي، والدّيني والثّقافي والسياسي السّائد في بلاد الهوسا خلال القرن التّاسع عشر دوره في دفع حركة التّأليف، حيث ازدهرت الكتابة باللّغة العربية وانتشرت المخطوطات العربية الإسلامية وتطوّرت تجارتها، في حين اتّسمت قبل ذلك القرن بالقلّة، وركاكة

(1) - القلقشندي: المصدر السّابق، ص 298.

(2) - M.Hiskett, Material relating to the state of learning, Op.cit, pp 572-573.

(3) - بطران عبد العزيز، الثورات الإسلامية في القرن التاسع عشر، إشراف ج.ف.آداي آجاي، تاريخ إفريقيا العام، مج6، اليونسكو، 1996، ص 616.

(4) - Murray LAST, The Book in the Sokoto Caliphate , Op.cit, p143.

(5) - رفاعي الحاج إسماعيل، المرجع السابق، ص 2.

الأسلوب، وبالضعف، كما أنّ معظمها اندثر مع الوقت وضاع، ولم يكن للباحثين نصيب فيها⁽¹⁾.

كما كانت حركة التأليف لدى الشيخ عثمان بن فودي وليدة الحاجة العلمية فقط بل كانت وفق ضروريات عصره، ومما يحتاجه مجتمعه⁽²⁾، وهذا ليبين حقائق الإسلام ومفاهيمه، ويردع ما شاع من بدع وخرافات، وقد تميّزت مؤلفاته بالكثرة، والتنوع، والتكامل في موضوعاتها، والأمانة عند نقله عن الأئمة والعلماء، حيث كان ينسب ما نقله إلى مصدره⁽³⁾، كما نشطت حركة التأليف من طرف أخيه عبد الله وابنه محمد بلّو، وكثير من العلماء، وأصبحت هذه الفترة تمثل عصر نهضة حقيقية في العديد من المجالات. شجع الشيخ عثمان بن فودي شعبه على خلق اهتمام بالقراءة والقيام بزيارات مستمرة إلى مكاتب العلماء لمزيد من التنوير يصرح: من بين المواقف الجليلة للناس: مشاركة الجلوس مع العلماء، لإظهار الحب لهم؛ وإبداء الاهتمام بدراسة كتب العلوم والبلاغة؛ والاهتمام بزيارة مكاتب العلماء⁽⁴⁾.

كما كانت الكتب والمخطوطات والورق من بين أهم بضائع القوافل التجارية فقد كانت قوافل التجار الطوارق محملة بالكتب مما ساعد على رواج تجارة الكتب بين العلماء⁽⁵⁾، ويبدو أن المركز الرئيسي لاستيراد الكتب خلال فترة الازدهار عندما كانت الأسعار والطلب على أعلى مستوى هو تمبكتو إلى جانب برنو، حيث كان الكثير من العلماء في طريقهم من وإلى مكة المكرمة في نقل مختلف الكتب العلمية، والواقع أن تجارة الورق ربما سهلت على الوراقين الحفاظ على

(1) - نفسه، 2013، ص 2.

(2) - عثمان بن فودي، المسائل المهمة، المصدر السابق، ص 178.

(3) - حسين عيسى عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 254-255.

(4) - عثمان بن فودي، بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان نصب الإمام وإقامة الجهاد، تح: ثاني يوسف برنن تد،

مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013، ص18.

(5) - Murray LAST, The Book in the Sokoto Caliphate ,Op.cit, p138.

التدوين وكتابة أعمال التاريخ المحلي، مع وجود كانو كسوق مزدهرة بتجارة الكتب، التي وصلت من برنو عن طريق مصر، وطرابلس وتونس وأصبحت متداولة في السودان الغربي⁽¹⁾.

- خلاصة الفصل:

ومما تقدّم يمكن القول، بأنه من خلال تعرّضنا للمنشآت التعليمية ومختلف المؤسسات التعليمية ووظائفه في خلافة سكوتو الإسلامية، فقد اتّضحت أمور عديدة ميّزت حركة التعليم في هذه الفترة ومن أبرز ما يلحظ في هذا الصدد تعدد المراكز والمؤسسات التعليمية المنتشرة في أنحاء الخلافة، من مساجد وكتاتيب ومعاهد دينية وزوايا وغيرها، وكلها أدّت دوراً أساسياً في تنشيط الحركة العلمية، أمّا نظام التعليم فهو يشبه إلى حدّ بعيد النظام التعليمي في البلاد الإسلامية، كما أن المواد الدراسية هي نفسها المواد التي تدرّس في بلاد المغرب، وكذلك نظام الإجازات، وبالتّسوية للرحلات العلمية كان لها دور كبير تطور العلوم في هذه البلاد، بالإضافة إلى المراسلات والمجالس العلمية التي كان لها أيضاً دورها الريادي في تنشيط الحياة العلمية.

مع موازاة اهتمام قادة خلافة سكوتو الإسلامية بما يخدم مصالح الأمة الدّينية والدّنيوية، فقد نشطت الحركة العلمية، وكان التركيز على العلوم الشرّعية واللغوية، عن طريق هذه المؤسسات العلمية المنتشرة في أنحاء الخلافة، لذا كانت حصيلة هذا النشاط إنتاجاً علمياً غزيراً، سيكون مدار البحث في الفصل الموالي.

(1) - Ibid, p146.

الفصل الخامس: الدراسات الإسلامية وعلوم اللغة العربية في خلافة سكوتو الإسلامية

- تمهيد

- المبحث الأول: علوم العقيدة

- المبحث الثاني: علم التفسير

- المبحث الثالث: علم الحديث

- المبحث الرابع: الفقه وأصوله

- المبحث الخامس: النحو والصرف

- المبحث السادس: النثر

- المبحث السابع: الشعر

- خلاصة الفصل



الفصل الخامس: الدّراسات الإسلامية وعلوم اللّغة العربية في خلافة سكوتو الإسلامية

- تمهيد:

نظراً لتسرّب الدّراسات الإسلامية وعلوم اللّغة العربية في المجتمع الإفريقي، فقد أولى العلماء في خلافة سكوتو الإسلامية اهتماماً واضحاً بهذه الدّراسات والعلوم، وظهرت ميزة التخصص في معاهدها الدّينية فمنها ما هو متخصص بعلم التّفسير، أو علوم الفقه، ومنها ما هو متوجّه إلى علوم اللّغة العربية التي تعتبر وعاء لهذه الدّراسات.

لهذا فقد ظهر اهتمام جلي بالدّراسات الإسلامية علوم اللّغة العربية عند خلفاء سكوتو الإسلامية؛ فنجد الخليفة هو المفسّر والمحدّث واللّغوي، وفي بعض الأحيان نجد منهم من جمع بين هذه العلوم فظهر منهم الموسوعيون في علم التّفسير والحديث واللّغة العربية، حيث اشتهر الشّيخ عثمان بن فودي بمؤلفاته المعروفة بالإخوانيات مثل إرشاد الإخوان وتبئيه الإخوان ونجم الإخوان، بينما اشتهر عبد الله بن فودي بالضّيّات، مثل ضياء الأنام وضياء السّلطان وضياء الحكّام، وأكثر ما يميّز مؤلّفاتهم أيضاً أنّها جاءت موثّقة بذكر مصادر نقولاتهم بحرص شديد⁽¹⁾، لقد اهتم قادة خلافة سكوتو وعلمائها بالدّراسات الإسلامية اهتماماً بالغاً، حيث اعتبرت من اهتماماتهم الأساسية، ومن هذه الدّراسات الإسلامية نجد:

-المبحث الأول: علوم العقيدة:

تميّزت بلاد الهوسا برسوخ العلوم الإسلامية فيها، وتجلّى ذلك من خلال انتشار أمّهات الكتب منها كتب العقيدة والتّوحيد، حيث نجد مؤلّفات الإمام محمّد بن يوسف الحسيني السنوسي التلمساني (892هـ/1486م)، مثل كتاب أمّ البراهين، وكتاب العقيدة الصّغرى، والعقيدة الوسطى، والعقيدة الكبرى، كما نجد أيضاً مؤلّفات الشّيخ أحمد بن محمّد المقرئ (1041هـ/1631م) مثل كتابه إضاءة

(1)- عمر أحمد سعيد، نظرات حول أثر الإسلام في التشكيل الثقافي في غرب إفريقيا بتركيز على الدور الحضاري لخلافة صكتو، ع 28، دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 2002، ص 210.

الدّجّة في عقائد أهل السنّة⁽¹⁾، ومنهم أيضا العالم محمّد الوالي بن سليمان بن أبي محمّد الفلاني الباغرماوي البرناوي من علماء القرن 17م، رغم أنّه عاش خارج بلاد الهوسا إلاّ أنّه كانت له علاقاته وطيدة بعلمائها وقد كان عالما متضلّعا تارك بصمته الفكرية في بلاد الهوسا، وركّز في منظوماته على قضايا التّوحيد منها دحض الإدّعاءات بأنّ الخلق دائم بدوام الخالق⁽²⁾.

ومن أهمّ مؤلّفات محمّد الوالي بن سليمان كتاب المنهج الفريد في معرفة علم التّوحيد، والكتاب شرح للعقيدة الصّغرى للسّنوسي باللّغة الفلانية⁽³⁾، وله أيضا كتاب منهل ماء عذب لعلم أسرار صفات الرّب، وهو كتاب في بيان توحيد الله وصفاته⁽⁴⁾، ومن المنظومات التي عاجلت مسائل في العقيدة المنظومة الوعظية مزجرة الفتيان على طفئ نور الله بالعصيان للشيخ محمّد بن الصّبّاغ بن محمّد الحاج الكشناوي العربي المعروف بابن الصّبّاغ⁽⁵⁾

وقد اهتمّ علماء خلافة سكوتو الإسلامية بالعقيدة والتّوحيد اهتماما بالغًا ظهرت من خلال مؤلّفاتهم الكثيرة، ومن كتب العقيدة والتّوحيد المهمّة في إرشاد المجتمع وتوجيهه في المسائل العقائدية لبيان وجود الخالق مثل كتاب تنبيه الطلبة على أنّ الله معروف بالفطرة للشيخ عثمان بن فودي الذي ألفه في فترة الجهاد (1217هـ/1803م)⁽⁶⁾، وله أيضا كتاب أصول الدّين في العقيدة الإسلامية تضمّن مسائل يجب اعتقادها كالإيمان الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره⁽⁷⁾. ومن

(1) - أحمد أبا الصّافي جعفري، المخطوطات الجزائرية وأعلامها في الخزائن والمكتبات الإفريقية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص ص 91-92.

(2) - الأمين أبو منقا محمّد، أثر الإسلام واللّغة العربية وآدابها في نشأة وتطور أدب الهوسا، دراسات إفريقية، ع11، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، 1994، ص 138.

(3) - بابا يونس محمّد، المرجع السّابق، ج1، ص57.

(4) - نفسه، ص169.

(5) - نفسه، ص58.

(6) - نفسه، ص118.

(7) - عثمان بن فودي: أصول الدين، تح علي غواند، ثاني يوسف برنن تد، مختارات من مؤلّفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدابيو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013.

مؤلفاته أيضا كتاب طريق الجنة الذي تناول فيه عدة مواضيع منها عقيدة أمور الآخرة وهو ملخص من كتاب أبي حامد الغزالي⁽¹⁾، ومن كتبه أيضا في العقيدة وأصول الدين كتاب عمدة العلماء فيما يدان به الله من جهة الصلاة والصوم وتلاوة القرآن⁽²⁾، ومن كتب العقيدة أيضا التي عاجلت مسألة أشراط الساعة كتاب تنبيه الأمة على قرب هجوم أشراط الساعة⁽³⁾. كما أفرد في القسم الأول من كتابه هداية الطالبين شرحا وافيا لأصول الدين⁽⁴⁾، وله عدة قصائد في التوحيد باللغة العربية، والفلائية⁽⁵⁾

كما برز الشيخ عبد الله بن فودي بمؤلفاته الفقهية الكثيرة منها مؤلفاته في علوم العقيدة، وأصول الدين منها كتاب ضياء علوم الدين الذي ألفه في 1228هـ / 1813م في فترة الجهاد والحركة الإصلاحية بقيادة شقيقه الشيخ عثمان بن فودي⁽⁶⁾، وهذا يدل على حرص هؤلاء العلماء على ترسيخ العقائد الإسلامية الصحيحة بإحياء السنة وإخماد البدعة التي انتشرت في بلاد الهوسا.

وقد اشتهر أيضا الشيخ عمر بن مختار بتدريس علوم التوحيد في معهده بحاضرة كانو، وقد اتصل بالعلامة الشهير الطاهر بن إبراهيم الملقب (بخيرم). بمدينة غسو كمو، وطلب منه أن ينظم له متن السنوسية الكبرى ثم أملى عليه شرحها، ومنها أتجه إلى حاضرة زاريا حيث أسس بها معهدا متخصصا في علم لتوحيد، ومنها رجع إلى حاضرة كانو للتدريس⁽⁷⁾.

(1) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج1، ص ص 191-192.

(2) - نفسه، ص 24

(3) - نفسه، ص 118.

(4) - محمد حنيفة محمد أزهر، كتاب هداية الطالبين للشيخ عثمان بن فودي رحمه الله : ت 1232هـ / 1817 م : تحقيقا وتخريجا ودراسة، رسالة ماجستير في السنة وعلم الحديث، إشراف: محمد علي بن عمر أبو بكر، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2008، ص ص 29-126.

(5) - ينظر القصيدة في التوحيد باللغة الفلائية في الملحق رقم 11.

(6) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج1، ص 144.

(7) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 106.

كما دأب العلماء على نظم القصائد التي تشتمل على أقسام التوحيد كتوحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، والتي تدعو للتفكير في مخلوقات الله، وآياته الدالة عليه، من بينها منظومة للشيخ عثمان بن فودي في العقيدة والتوحيد وهي منظومة باللغة الفلانية مكتوبه بالحرف العربي⁽¹⁾، وكذلك لعلي بن السلطان محمد بلو منظومة قصيدة في هول البعث وعقيدة أمور الآخرة⁽²⁾، ومن المنظومات أيضا قصيدة في التوحيد من نظم العالم عبد القادر بن الوزير محمد البخاري ويقول فيها:

حَمِيدًا لِمَنْ رَفَعَ السَّمَاءَ بِقُدْرَةٍ عَمَّتْ جَمِيعُ الْكَائِنَاتِ تَعَلُّقًا
يَارَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى أَبَدًا وَأَصْحَابَ لَهُ أَهْلُ التَّقَى شَيْئًا
وَمُرَادَنَا إِنْ شَاءَ رَبِّي نُظْمِنَا مِنْ التَّوْحِيدِ خُذْ مُتَشَوِّقًا
وَمِنَ الصِّفَاتِ الْوَاجِبَاتِ لِرَبِّنَا عِشْرُونَ فَافْهَمْ مَا أَقُولُ وَحَقَّقَا⁽³⁾

-المبحث الثاني: علم التفسير:

يُعدّ التفسير من أجلّ العلوم وأرفعها قدرًا، وهو أشرف العلوم موضوعًا لأنّ موضوعه كلام الله تعالى وهو ينبوع كل حكمة وأصل كل فضيلة⁽⁴⁾، وقد حظي علم التفسير باهتمام علماء غرب إفريقيا لذلك دأبوا على تدريسه معتمدين في ذلك على التفاسير المشهورة مثل تفسير الجلالين ولم يتصدّر للتأليف في هذا العلم إلا قلة قليلة في بلاد الهوسا أمثال الشيخ عبد الله بن فودي ويرجع المؤرخ آدم بمبا أسباب هذا النقص إلى:

(1)- بابا يونس محمد المرجع السابق، ج2، ص 139.

(2)- نفسه، ج1، ص 243.

(3)- شيخو أحمد سعيد غلادنت، المرجع السابق، ص 210.

(4)- جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/1505م)، الإتيقان في علوم القرآن، تح شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2008م، ص 762.

- الهاجس النفسي من خطورة التعرض لتفسير القرآن أو الخوض فيه مكتفين بما لديهم من كتب التفسير المأثورة.
- أن علم التفسير خاص بالنخبة من أهل العلم؛ فعلماء غرب إفريقيا جل اهتمامهم منصب لتوضيح أساسيات الدين للعامة في العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق، أما القضايا التفصيلية فيخصون بها طلبتهم دون حاجة إلى التأليف فيها.
- ضياع الكثير من المؤلفات الخاصة بعلم التفسير وغيره بسبب فقر وسائل حفظها في ظل الظروف المناخية كالرطوبة العالية والفيضانات وكذلك الحروب وغيرها من العوامل⁽¹⁾.
- إضافة إلى إهمال الباحثين لهذا التراث بحجة أنه لم يأت بجديد، وأنه مجرد صورة منسوخة عن إنتاج المشاركة والمغاربة في البلاد الإسلامية.
- وقد كانت مناسبة شهر رمضان فرصة للانصراف إلى مجالس التفسير دون العلوم الأخرى فمنهم من يختمه في شهر ومنهم من يفسر أجزاء معدودة فحسب وفي كتب التاريخ إشارات كثيرة إلى هذا التقليد في حواضر السودان الغربي⁽²⁾، ويقول السلطان محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور عند ترجمة شيخه محمد سعيد" وعليه قرأت النحو: قرأت عليه الألفية حتى انتهيت إلى باب جمع التكسير، فأهل رمضان، فأقبلنا إلى استماع التفسير"⁽³⁾ فهنا إشارة واضحة إلى التوقف عن دروس النحو، والإقبال على دروس التفسير في هذا الشهر الكريم. فيكون هناك نشاط علمي ملموس طيلة أيام هذا الشهر يتمثل في الحلقات العلمية التي يتم فيها ترجمة القرآن العظيم من اللغة العربية إلى اللغات المحلية⁽⁴⁾.

(1) - آدم، بما، حركة تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى لغات غرب إفريقيا الكبرى دراسة تاريخية تحليلية، المؤتمر العالمي للقرآن الكريم، السودان، 2011، ص 268-269.

(2) - نفسه، ص 274.

(3) - محمد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص 206.

(4) - الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص 199.

ومن الأساليب المستعملة التّفسير بالأشعار الأعجمية، ويسمونها «واكا» في لغتي الهوسا واليوربا فقد اعتادها بعضهم حتّى صارت له ملكة يقتدر بها على التّأليف بهذا الأسلوب الشّعري لتفسير كل آية من القرآن⁽¹⁾، كما ظهرت هناك معاهد متخصصة في التّفسير مثل معهد التّفسير للحاج ناصر الذي أسّسه مع الشّيخ بن زوري فكان هذا الأخير يتلو آيات القرآن في حين يقوم الشّيخ ناصر بتفسيرها باللّغة الهوساوية لأنّها تمثل لغة الحاضرين التي يفهمونها⁽²⁾

لقي علم التّفسير اهتماماً وعناية كبرى من قبل علماء خلافة سكوتو الإسلاميّة؛ حيث عكفوا على فهم كتاب الله عزّ وجلّ ودراسته، فكانت حلقات الاشتغال والتّدرّيس في المساجد والمعاهد الدّينية لا تخلو من حلقات تدرّيس التّفسير، فقد كان الشّيخ عبد الله بن عثمان بن العالم إسحاق عالماً جليلاً وكان يتولى تفسير القرآن في المسجد في شهر رمضان يحضره أمير المؤمنين وكبار العلماء⁽³⁾

وعلى الرّغم من تلك العناية بعلم التّفسير إلّا أنّ هذه الفترة اتسمت بقلة الإنتاج والتّأليف في هذا العلم، ولعل ذلك راجع إلى انصراف العلماء بتدريسه ونشر علومه من خلال حلقات العلم ومجالس الذكر دون التّأليف فيه، خاصة في شهر رمضان الذي يعتبر مناسبة عظيمة تكثّر فيه حلقات تفسير القرآن الكريم في كلّ الأماكن التعليمية.

وقد ظهر في خلافة سكوتو الإسلاميّة علماء أجلاء برزوا في علم التّفسير، وكان أبرز هؤلاء العلماء في بلاد الهوسا كلّها المفسّر الشّيخ عبد الله بن فودي الذي كان من أئمة العلم بالدّين والتّفسير، وكتابه ضياء التّأويل في التّفسير وهو جدير بالاهتمام، لظهوره في فترة خلافة سكوتو الإسلاميّة، فهو يعتبر من أوائل المفسّرين وأبرزهم الذين شاركوا في تفسير القرآن العظيم بمصنّفاتهم في بلاد الهوسا ومن أوائل من فتح باب علوم القرآن والتّفسير نظماً ونشراً⁽⁴⁾، ويذكر الشّيخ عبد الله بأن الشّيخ عثمان بن

(1) - نفسه، ص 200.

(2) - علي أبو بكر، المرجع السّابق، ص 108.

(3) - نفسه، ص 102.

(4) - محمد تاسع نمادي، منهج عبد الله بن فودي في التّفسير، إشراف د: محمد عبد التّواب، أطروحة دكتوراه في التّفسير وعلوم

القرآن، كلية أصول الدّين، الجامعة الإسلاميّة العالمية، باكستان، 2004، ص 26.

فودي قد أخذ علم التّفسير عن ابن عمه أحمد بن محمّد الأمين، كما حضر مجلس الشّيخ هاشم الزّنفرى المتخصّص في التّفسير وأخذ عنه تفسير القرآن الكريم من أوّله إلى آخره⁽¹⁾ وبحكم أنّ القرآن هو المصدر الرّئيسي لمعظم العلوم الإسلامية فقد قام الشّيخ عبد الله بن فودي بتدريس علوم القرآن لنشر المعرفة الدّينية الإسلامية بين النّاس بما في ذلك تفسير القرىّن الكريم، فمن المهمّ للغاية أن يعرف العلماء، وعامة الشّعب على حد سواء تفسير القرآن الكريم⁽²⁾، وجاءت مؤلفاته غزيرة في التّفسير وعلومه وهي على النّحو التّالي:

1. ضياء التّأويل في معاني التّزويل:

وهو تفسير للقرآن كاملا له طابع التّفسير بالمأثور صنفه معتمداً على عدد من كتب التّفاسير المشهورة. ويشتمل هذا التّفسير على أربع مجلّدات تضمّ الأحاديث التّبوية، والقصص، والمغازي والوقائع والسّير، كما تناول فيه الخلافات الفقهيّة وخاصّة أقوال أئمّة المذاهب الأربعة في آيات الأحكام، وذكر فيه المسائل النّحوية والبلاغيّة والأصوليّة أيضاً، كما تعرّض لذكر القراءات السّبع، واستشهد ببعض الأشعار⁽³⁾. وقد بين ذلك في مقدمة الكتاب، حيث يقول: "ولما اشتدت إليه حاجة الرّاغبين وإلحاح الملحّين أن أكتب لهم تفسيراً يفهمون به كتاب الله مع الاعتماد في على أرجح القوال بإعراب ما يحتاج إلى الإعراب منه والتنبيه على القراءات المشهورة بتبدئه قراءة نافع رواية ورش إذ هي قراءتنا في هذه البلاد، وبيان الأحكام الشرعيّة مع رعي مذهب مالك فيها إذ هو مذهبنا في الأحكام الشرعيّة الفرعيّة والتنبيه على ما يتعلق بالبلاغة فأجبتهم راجياً من الله تيسيره وثوابه وسميته ضياء التّأويل في معاني التّزويل"⁽⁴⁾

(1) - M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning ,Opcit, p555.

(2) - muhammad sani zahradeen, Op.cit, p 274.

(3)-آدم بما، حركة تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى لغات غرب إفريقيا الكبرى دراسة تاريخيّة تحليليّة، المؤتمر العالمي للقرآن الكريم، السودان، 2011، ص: 264

(4)- عبد الله بن فودي، ضياء التّأويل في معاني التّزويل، تح: أحمد أحمد أبو السعود، عثمان الطيب، ج1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1961، ص 7.

وقد جاء منهج الشّيخ عبد الله بن فودي في هذا التّفسير واضحاً متميّزاً معتمداً فيه على عناصر أصوليه مع كثرة استشهاده بالسّنة الصّحيحة وأقوال الصّحابة أحياناً والصّالحين من التّابعين تماشياً في ذلك مع المذاهب الأربعة إلا أنّه كان يرجّح المالكية على غيرها، وقد سبق قوله أنه مالكي المذهب.

2- كفاية ضعفاء أهل السّودان في بيان تفسير القرآن:

وهو تلخيص لكتابه السّابق ضياء التّأويل، والفرق بين الكتابين أنّه أسهب في الأول، فأورد فيه كثيراً من القصص والأحاديث كما أشار إلى الخلافات بين المذاهب الأربعة في تفسير آيات الأحكام وتعرض لذكر القراءات السّبع. أمّا في الثّاني، فقد أوجز، ولم يتعرّض إلا لقراءة نافع على رواية ورش، لأنّها هي القراءة المنتشرة في السّودان الغربي وخاصة في ذلك الوقت، وكذلك اقتصر فيه على ذكر مذهب الإمام مالك وحده لأنّه أكثر انتشاراً في السّودان الغربي⁽¹⁾.

3- منظومة مفتاح التّفسير :

وهو كتاب منظوم تزيد أبياته عن سبعمائة بيت ، نظم فيه علوم القرآن التي أوردتها الإمام السيوطي في كتابيه "الاتقان في علوم القرآن" و"النقاية" وقد استهل النّظم بقوله:

عَلَى مُحَمَّدٍ كِتَابًا شَمِلًا	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ أَنْزَلَنَا
بَيَانَ أَحْكَامِ الْكِتَابِ مُعَلَّنًا	وَبَعْدَ ذَا فَهَآكِ نَظْمًا ضِمْنَا
مِنْهَا مَعَ الْإِتْقَانِ فَهُوَ الْعَايَةُ وَأَسْأَلُ	لِجَمْعِهِ مَا كَانَ فِي النَّقَاةِ
الْإِلَهَ بِالَّتِي سَـبَّـرَ ⁽²⁾	سَمِّيَتْهُ الْمِفْتَاحَ لِلتَّفْسِيرِ

(1)- آدم بمبا، المرجع السّابق، ص 266.

(2)- أبو بكر علي، المرجع السابق، 168.

4- منظومة الفرائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة:

هذا الكتاب عبارة عن منظومة في علوم القرآن، بلغ عدد أبياتها خمسمائة بيت من بحر الرجز، وقد نظم فيه علوم القرآن التي أوردتها أبو علي الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي في كتابه الفوائد الجميلة في الآيات الجليلة، وقسم الكتاب إلى سبعة فصول، ما يختص بترتيب سور القرآن، وفيما يتعلق بالقراءات، وبكتابة القرآن، وبتعليمه، وفيما يتعلق بأحوال حامله، وفيما يتعلق بأحوال القرآن من محكم ومتشابه، وبيان فضله. وجاء في طليعة نظمه:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيمِ الْمُنْزَلِ صَلَاتِهِ مَعَ
السَّلَامِ دَائِمًا وَبَعْدَ فَالْقُرْآنِ بِحَرِّ زَاخِرِ
كُلِّ الْفُنُونِ مِنْهُ تَسْتَمِدُّ
خَيْرُ كِتَابِهِ لِخَيْرِ مُرْسَلِ
عَلَيْهِ مَعَ أَصْحَابِهِ وَعَمَمًا وَالْعُلَمَاءَ
فَلَكَ الْمَوَاجِرُ وَكُلُّ مَا خَافَهُ فَرْدٌ⁽¹⁾

5- سلاله المفتاح:

وهذا الكتاب هو أيضا نظم فيه الشيخ عبد الله بن فودي علوم القرآن، وهو تلخيص لكتابه مفتاح التفسير⁽²⁾، لعل الغرض من هذا التلخيص ليقربه إلى الذين مستواهم المعرفي دون مستوى المتقدمين في هذه العلوم عن طريق المنظومات الشعرية وهو أسلوب استعمله كثير من علماء خلافة سكوتو الإسلامية لتبسيط مختلف العلوم تسهيلا لطلاب العلم، ومن خلال مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي بدا فيه التأثير بمنهج المشاركة واضحا شكلا ومضمونا، ورغم ذلك تجد الكثير من صفحاتها يظهر الطابع المحلي الذي يتميز به السودان الغربي⁽³⁾.

(1) - نفسه، 170.

(2) - تكرر أبو بكر، دقة دلالات ألفاظ عبد الله بن فودي في كتابه سلاله المفتاح في علوم القرآن، مجلة البحوث والدراسات العلمية، مج 17، ع2، جامعة إفريقيا العالمية الخرطوم، 2016، صص 121-132.

(3) - آدم، ممبا، حركة تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى لغات غرب إفريقيا الكبرى دراسة تاريخية تحليلية، المؤتمر العالمي للقرآن الكريم، السودان، 2011، ص 278.

كما أنّ السّلطان محمّد بلو قدّم تفسيراً سَمَّاهُ بغاية السّؤل من تفاسير الرّسول، ووضع قصيدة في علوم القرآن ثم عمل عليها تعليقات⁽¹⁾، ومن بين المفسّرين أيضاً في خلافة سكوتو الشّيخ محمّد بن عثمان الزّركزي⁽²⁾، الذي نَحَجَ خطى ابن فودي في النّظم التّعليمي من خلال مؤلفه نزهة الأسير في إنالة اليسير وفيه تتبّع ما كان مبهماً من القرآن سورة بسورة في منظومة شعرية تزيد عن ألف بيت، معتمداً على التفاسير المأثورة كالطّبري وابن كثير، وفي منظومة شعرية أخرى سَمَّاهُ هبة الرّفيق في بيان قصة يوسف الصّديق، حيث رتب فيها أحداث القصص القرآني في حوالي أربعمئة بيت، وقد كان هذا النّوع من النّظم التّعليمي شائعاً في هذه البلاد فكانت مساهمة محمّد بن عثمان الزّركزي مساهمة قيمة في تدريس علوم القرآن، حرص فيها على حمل النّاس للرّجوع إلى المنقول الصّحيح من تفسير القرآن، وفهمه، وهذا ما بيّنه في مقدّمة كتابه نزهة الأسير في إنالة اليسير أوسع مؤلّفاته في التّفسير⁽³⁾، وله مؤلّفات وضعها في كتب صغيرة منها تفسير سورة الفاتحة وسورة القدر⁽⁴⁾

ومن العلماء الذين كتبوا أيضاً في علم التّفسير الشّيخ كاسو، وهو من علماء زاريا الذي تظهر عليه الصبغة المحليّة، حيث عمل على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة الهوسا المكتوبة بالحروف العربيّة يقع في أكثر من ثلاثة آلاف ورقة⁽⁵⁾، وبذلك نقل تفسير القرآن إلى لغة غالبية النّاس في المنطقة ليسهل تقريب فهمه وبيان معانيه عن طريق اللغات المحليّة.

وهناك من المساهمات المماثلة في تفسير القرآن بلغات أخرى غير العربيّة مثل النسخة التي وجدت بحوزة الإمام محمّد وزير إمارة غواندو، التي تميزت بالتّوسع وعدم الاقتباس من التّفاسير الأخرى، كما

(1) - محمد تاسع نمادي، منهج عبد الله بن فودي في التّفسير، المرجع السّابق، ص26.

(2) - هو محمد بن عثمان بن الزركزي كان من أوائل المجاهدين في خلافة سكوتو ومن أبرز علمائها، كما تبوأ مكانة سياسية مرموقة، حيث كان أميراً على زكرك وإليها نسب وهي ما يعرف بزاريا.

(3) - آدم بمبا، حركة تفسير القرآن الكريم...، المرجع السّابق، ص 278-279.

(4) - محمد تاسع نمادي، منهج عبد الله بن فودي في التّفسير، المرجع السّابق، ص26.

(5) - نفسه، ص26.

حوت هذه النسخة على تفسير بعض آيات القرآن بلغة الكانوري⁽¹⁾، وكتاب سبع من المثاني في تفسير الفاتحة لمؤلفه محمد أبو الدارين⁽²⁾، وهناك كتاب غرائب القرآن لمؤلفه أحمد بن سعد بن محمد الأمين (توفي بعد 1321هـ / 1904م)⁽³⁾، ومن أكابر علماء التفسير في خلافة سكوتو الإسلامية الشيخ الواعظ علي بجاغل عالم كبير تصدر مجالس التفسير، وهناك أيضا العالم المفسر جلال الدين بن الوالي عبد الرحمن الكبوي⁽⁴⁾

كما كان اهتمام العلماء بعلم القراءات كبيرا وظاهرا في أعمالهم، ويؤكد ذلك الشيخ عبد الله بن فودي في كتابه ضياء التأويل في معاني التثريل أن قراءة هذه البلاد على رواية ورش بن نافع، علاوة على ذلك كان له عناية كاملة بالقراءات السبعة المشهورة لتوضيح المعنى وفي آيات الأحكام⁽⁵⁾

ويذكر في إيداع النسخ أنه درس هذا العلم عن شيخه محمود الزنفرى التوري حيث أخذ منه قصيدة الشاطبي، ومنظومة ابن البري⁽⁶⁾، الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع التي تعتبر من المنظومات المتداولة وهو علي بن محمد بن علي الرباطي المعروف بابن بري ت (730هـ/1330م)⁽⁷⁾، ومن المساهمات العلمية كتاب غسل المقارئ في علم القراءات لمؤلفه ماهر أحمد البرناوي، وهو نظم يقول في مطلعته:

بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللَّهِ فِي النَّظْمِ أَوْلَا صَلَاةً وَتَسْلِيمًا عَلَيَّ خَيْرٌ أَرْسَلَا⁽⁸⁾

(1) - آدم بمبا، حركة تفسير القرآن الكريم...، المرجع السابق، ص 282.

(2) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص 65.

(3) - نفسه، ج2، ص 220.

(4) - الحاج سعيد، تاريخ سكت، المصدر السابق، ص 212

(5) - عبد الله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التثريل، المصدر السابق، ص 7.

(6) - M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning ..., Op.cit, p558.

(7) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج1، ص 138.

(8) - نفسه، ج2، ص 1.

ومن المنظومات أيضا قصيدة الطَّنْفَاسِي في تلاوة القرآن الكريم لمؤلفها محمد الطَّنْفَاسِي⁽¹⁾،
والقصيدة العينية في علوم القرآن للسُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بَلُو مطلعها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ جَمَعَا فِي الذِّكْرِ مُعَارِضٌ لِمَنْ وَعَا⁽²⁾

لقد كانت حركة التفسير نشطة، وكان التفسير مادة أساسية في بعض دور التعليم في حواضر خلافة سكوتو حيث برز علماء أجلاء تركوا أثراً واضحاً في هذا العلم، كما تميزت مؤلفاتهم بالتخصّص؛ حيث تضمّ الكتب الكبيرة مثل كتاب التفسير ضياء التأويل ذي الأجزاء الأربعة للشيخ عبد الله وكتابه أيضا ضياء السياسات وكتاب بيان وجوب الهجرة وإحياء السنة وإخماد البدعة للشيخ عثمان بن فودي وغيرها من المؤلفات الكثيرة. ومما أسفرت عن هذه النهضة العلمية انتشار الثقافة الإسلامية ونشط التعليم وازدهرت تجارة الكتب وأصبحت اللغة العربية هي الغالبة لغة الخطاب والمعاملة والمراسلة⁽³⁾.

المبحث الثالث: علم الحديث:

إهتم المسلمون بالحديث النبوي الشريف وعلومه في كل عصورهم، فقد انكبوا على تحصيله بالرّحلة إلى طلبه، ودراسته وشرحه وحفظه، وكان لهذا الاهتمام أثره البالغ، فقد ظهرت القواعد لتمييز الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف وعليه برزت علوم تخص الحديث، مثل الجرح والتعديل والناسخ والمنسوخ، وغريب الحديث، وأصول الحديث وغيرها من العلوم.

وأبرز علماء بلاد الهوسا في علم الحديث الشيخ الحاج محمد بن راج بن مودب الذي حج وأقام طويلاً، ولقي علماء الحرمين واستفاد منهم، ورجع يعلم الناس الصّحاح السّنة، بالتركيز على صحيح

(1) - نفسه، ص 153.

(2) - نفسه، ص 189.

(3) - عمر احمد سعيد، نظرات حول اثر الإسلام في التشكيل الثقافي في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 210.

البخاري⁽¹⁾، ومن تلاميذه الشّيخ عثمان بن فوديّ الذي قرأ عليه صحيح البخاري وأجازاه على جميع مروياته⁽²⁾، كما تتلمذ على يده الأستاذ عبد الله بن فوديّ الذي مدحه في قصيدة هنّأه فيها بعودته من الحج يقول في أبيات منها:

هَنِيئًا نَبِيْلَ خَيْرِ بَانِعِرَاجِ إِلَى حَاجِّ شَهِيْرِ بَابِنِ رَاجِي
صَبُوْرَ فَائِقَ عُلَمَاءَ عِلْمِ الْحَدِّ يَثُ مُضِيئَةً مِثْلُ السَّوْرِ رَاجِ⁽³⁾

وقد اعتمد علماء خلافة سكوتو الإسلاميّة على تدريس أمّهات كتب الحديث، وبخاصّة كتب الصّحاح الستّة وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترميذي، وسنن النسائي، وسنن أبي داوود، وسنن ابن ماجّة، ولقيت هذه الكتب العناية من الحفظ والتلقين، وقد اشتهر الكثير من العلماء في بلاد الهوسا قبل تأسيس خلافة سكوتو وأكثرهم كانوا أساتذة لقادة الجهاد منهم الشّيخ عبد الله ثقة الفلاني الكشناوي له منظومة في المواعظ والحكم، وهي في نحو ألف وخمسمائة بيت تسمّى عطية المعطي، ويذكر أنّه هو أوّل من حفظ الصّحاح الستّ في هذه البلاد⁽⁴⁾

وقد امتلأت خزائن ومكتبات خلافة سكوتو بمؤلّفات، وكتب كثير من العلماء المشاركة والمغاربة نسخوها واستفادوا منها ونقلوا منها وتبادلها علماء وطلبة العلم منها كتاب جمع النهاية في بعض الخير والغاية لمؤلّفه عبد الله بن سعد المعروف أبي حمزة الأزدي الأندلسي (ت. 699هـ/1300م) وهو كتاب مختصر للجامع الصّحيح للإمام البخاري⁽⁵⁾

ومن المؤلّفات التي انتشرت في خلافة سكوتو الإسلاميّة إنتشارا واسعا مؤلّفات الشّيخ عثمان بن فوديّ في علوم الحديث منها كتاب تقريب ضروري للدين؛ الذي تناول شرحًا في حديث جبريل عليه

(1)- Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Op.cit, 37-38.

(2)- M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning ..., Op.cit, pP555-556.

(3)- آدم عبد الله الألوّري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص90.

(4)- نفسه، ص88.

(5)- بابا يونس محمد، المرجع السّابق، ج2، ص77.

السلام في أركان الإسلام والإيمان والإحسان ومراتب الدين في ثلاثين صفحة⁽¹⁾، وله كتابه أيضا كتاب سوق الأمة إلى اتباع السنة؛ جمع فيه الأحاديث التي تحث على التمسك بالسنة النبوية في العبادات، والمعاملات، والجهاد وغير ذلك حيث يقول في مقدمة هذا الكتاب: " فهذا كتاب سوق الأمة إلى إتيان السنة ومقصودي من تأليفه إحياء السنة المحمدية، واقتصر فيه لتقاصر همم أهل الزمان على إيراد الأحاديث التي فصلت إجمالاً ما في حديث جبريل عليه السلام من الإسلام والإيمان والإحسان التي هي الدين جميعه بالنظر إلى العبادات ولا أزيد إلا أحاديث الجهاد الذي هو الحافظ للدين، وأوردت فيه أحاديث الصحيحين البخاري ومسلم فقط لاجتماع الأمة على قبولهما"⁽²⁾، وفيه شرح حديث جبريل عليه السلام شرحاً وافياً.

وله أيضا كتاب ورد الأذكار والدعوات مما يُقرأ في الصباح والمساء وسائر الأوقات، وبيّن فيه آداب الدعاء في النظافة واستقبال القبلة، واجتناب أكل الحرام، والثناء على النبي صلى الله عليه وسلم، وجمع فيه الكثير من الأذكار النبوية مما يُقرأ في سائر الأوقات⁽³⁾.

وله أيضا كتاب مطية الزّاد إلى المعاد وذكر هدفه من هذا المؤلف بقوله، وقد أردت في هذا الكتاب التقاط كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام أوليائه لعل الله ينفعني به وينفع به كلّ من أرد ذلك إن ولي الإحسان وعليه التّكلان"، ورتبه على خمسة فصول فصل في أحاديث الزهد، وفصل في أحاديث الدعاء، وفصل في آداب الدعاء، وفصل في أحاديث الذكر، وفصل ما حكى عن أولياء الله⁽⁴⁾. ومن اهتماماته بالحديث النبوي أنّه جمع في كتابه هداية الطالبين عدداً من الأحاديث من الصحيحين وبيّن فضلها، ونوّه بأنّه لا ينبغي للعاقل أن يغفل عنها⁽⁵⁾

(1) - نفسه، ص 83.

(2) - عثمان بن فودي، سوق الأمة لاتباع السنة، المصدر السابق، ص 6.

(3) - محمد الأمين عيسى يعقوب، جهود علماء نيجيريا في خدمة السنة النبوية، أطروحة دكتوراه، إشراف أبو حماد زياد عواد عبد الرحمن، جامعة العلوم الإسلامية العلمية، الأردن، 2017، ص 81.

(4) - نفسه، ص 83-84.

(5) - محمد حنيفة محمد أزهر، المرجع السابق، ص 341-388.

وقد أصبحت المنظومات الطريقة المثلى لتقيد مختلف العلوم، وحفظها من طي النسيان؛ وعليه نجد أكثر المرّبين يلزمون تلاميذهم الاعتناء بحفظ منظومة في كل فن قبل تناوله بالدراسة، ذلك لأنّها تساعد على حفظ المعلومات، وتسهيل استرجاعها عند الحاجة، وقد أثبتت هذه المنظومات التعليمية نجاعتها، وهذا ما تحتاجه الذاكرة، وتبعدها عن آفة النسيان، وفيها تسهيل على تذكرها، كما أنّها محببة للدارس⁽¹⁾، وقد عرف الشّيخ عبد الله بن فودي بوفرة إنتاجاته العلميّة والأدبية، وتعدّد الفنون التي تطرّق إليها بين منشورٍ، ومنظومٍ، وقد قدّم خدمة علمية كبيرة في علم الحديث الذي أخذه عن أخيه الشّيخ عثمان بن فودي دراية كالعراقي، ورواية كالبخاري⁽²⁾، وقد ألّف في علم الحديث منظومة مصباح الرّاوي التي قامت تضاهي ألفية السيوطي⁽³⁾ وألفية الحافظ زين الدّين العراقي⁽⁴⁾، وقد نظّم هذه المنظومة معتدراً عن كلّ تقصير فيها مبينا الظروف الصعبة التي كتبت فيها من مجاعة وجائحة الجراد حيث يقول:

مُعْتَدِرًا مِنْ قَوْلٍ نَأْقِدِيهِ بِوَهْمٍ أَوْ جَهْلٍ يَكُونُ فِيهِ
بِضَعْفِ هِمَّةٍ مَعَ الشَّوَاغِلِ وَقَلَّةِ الْعِلْمِ وَقَلْبٍ غَافِلِ
مَعَ هَرَجٍ يَمْوجُ فِي الْبِلَادِ وَفِتْنَةِ الْجُوعِ مَعَ الْجَرَادِ⁽⁵⁾

(1) - عبد الله بن فودي، منظومة مصباح الرّاوي في علم الحديث، تح: محمد المنصور إبراهيم، ط2 دار العلم للطباعة والنشر، نيجيريا، 2005، ص 21.

(2) - M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning ..., Op.cit, p553.

(3) - جلال الدين السيوطي هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الحضيري السيوطي الشافعي. ولد عام 849هـ ونشأ يتيماً وهو من بيت علم ورياسة وحفظ القرآن وله ثمان سنوات وبدأ بالتأليف وله سبعة عشر سنة فصنف في كل فن تقريباً حتى بلغت مصنفاته أكثر من ثلاثمائة مؤلف. توفي سنة 911هـ ولم يعقب. رحمه الله. انظر ترجمته: يسري عبد الغني عبد الله، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، ط1، دار الكتب العمليّة، بيروت، 1991، ص 94-100.

(4) - هو الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ابن أبي بكر بن إبراهيم الكردي الرازياني ثم المصري الشافعي. وكان إماماً متفنناً حافظاً ناقدًا وله مؤلفات كثيرة. توفي رحمه الله عام 806هـ بالقاهرة. انظر ترجمته في زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ألفية السيرة النبوية المسماة نظم الدرر السنّية في السير الزكية، تح: السيّد محمد بن علوي المالكي الحسيني، ط1، دار المنهاج، بيروت، 2005، ص 12-15.

(5) - عبد الله بن فودي، منظومة مصباح الرّاوي في علم الحديث، المصدر السابق، ص 39.

ومن المؤلفات التي عنيت علم الحديث مؤلفات الشّيخ عبد الله بن فودي مثل منظومة سراج جامع البخاري وفيها يظهر اهتمامه بصحيح البخاري في نظمه لهذه القصيدة التي تناول فيها منهج البخاري في صحيحه، وعدّد أحاديثه وعدّد أبوابه، وعدّد كتبه، وشيوخه، وفضّل صحيحه، وقد صرح أنه اعتمد في منظومة على كتاب القسطلاني المسمّى إرشاد السّاري على ضوء فتح البخاري، وجاءت أبياتها في مائتين وواحد وستين بيتاً، ولقيت المنظومة عناية فائقة من طلبة العلم، وقد قام محمّد المنتقى بتحقيقه، وسمّاه مفتاح القاري في شرح سرج البخاري، وذلك بتاريخ 1391هـ/1971م ونشرته مكتبة الزينة الإسلامية في نيجيريا⁽¹⁾

هذا وقد برزت في خلافة سكوتو الإسلامية معاهد متخصصة في علوم الحديث مثل معهد ثروماوا الذي أنشأه الشّيخ يوبي الذي خلفه ابنه الشّيخ أبو بكر الملقب بياقو وخلفه ابنه عبد الكريم الملقب بسابو⁽²⁾. لقد كان لعلم الحديث في خلافة سكوتو الإسلامية الخطوة الفاتحة من علماءها تدرّيساً وتأليفاً مما جعل المجتمع يقف على حدود الشريعة بفهم أحاديث السنّة النبوية، وبالتالي الامتثال للأوامر والنّواهي، وساعد على ذلك نباهة هؤلاء العلماء ونبوغهم في الكثير من العلوم مثل الدّراسات الفقهية.

المبحث الرابع: الفقه وأصوله:

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر؛ والتّنبؤ؛ والكراهة؛ والإباحة، وهي منتقاة من الكتاب والسنّة⁽³⁾، وقد تطوّر علم الفقه عبر مراحل كغيره من العلوم وتوطّدت أركانه بظهور المذاهب الفقهية الأربعة الكبرى، ثمّ تلا ذلك ما يسمى بركود الاجتهاد ويرجع ذلك حسب بن خلدون في قوله: " ثمّ لما انتهى الفقه الى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار، وكانوا بمكان من حسن الظنّ بهم، اقتصر النّاس تقليدهم، ومنعوا من تقليد سواهم، لذهاب الاجتهاد لصعوبته وتشعب العلوم التي هي موادّه، باتّصال الزّمان وافتقار من يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعة. فأقيمت هذه المذاهب الأربعة على أصول الملة"⁽⁴⁾.

(1)- يعقوب محمّد الأمين عيسى، جهود علماء نيجيريا في خدمة السنّة النبوية، المرجع السّابق، ص 71.

(2)- علي أبو بكر، المرجع السّابق، ص 108.

(3)- ابن خلدون، المقدّمة، الدّار التّونسية للنّشر، 1984، ص 541.

(4)- نفسه، ص 555.

وقد تميزت إفريقيا جنوب الصّحراء بسيادة المذهب المالكي فيها، بعدما انتشر الإسلام سلميا في غرب ووسط السّودان نتيجة لجهود التّجار والدّعاة والعلماء المغاربة الذين عبروا الصّحراء وهم يحملون مهمة الإسلام في تلك المناطق، في نهاية المطاف تم نقل الكثير من التّأثيرات والمظاهر الثقافية المغاربية إلى تلك الدّول مما أعطى الحياة صبغة مغربية نقية نتيجة الاتّصال المباشر مع مسلمي بلاد المغرب، وبما أنّ بلاد المغرب مالكية المذهب، فقد تمّ نقله إلى هذه المناطق مع جملة من التّأثيرات المغاربية الأخرى⁽¹⁾

وقد زحرت بلاد الهوسا وحواضرها بعدد من الفقهاء الذين خدموا دينهم وصنفوا الكتب والأراجيز من أبرزهم الفقيه المدرس عبد الله بن سالم الفلاني الكشناوي المعروف بـ: "سيكا" من علماء القرن الحادي عشر الهجري؛ وهو نزيل كاتسينا، حيث تصدر فيها للتدريس، وله مناظرة مع شيخه البكري الذي يقول بتكفير أهل المعاصي وعدم تكفيرهم حسب رأيه، وله عدّة مؤلفات منها منظومة عطية للمعطي نحو ألف وخمسمائة بيت في المواعظ، وفقه الأخلاق⁽²⁾.

وقد ركز طلبة العلم وفقهاء بلاد الهوسا في دراستهم للفقهاء على أشهر أمّهات الكتب الفقهية المالكية فكانت كتب فقهاء المالكية المغاربية هي أكثر الكتب تداولاً ونسخاً ودراسة، ومن كتب المذهب التي اعتمدت في التعليم ونالت الحظوة والعناية من طرف علماء المنطقة، كتاب مختصر خليل في الفقه المالكي، ومن أشهر علماء الذين اقتصروا بتدريسه الشيخ محمد المغوري، الذي أخذ العلم عن الشيخ عبد بن فودي سنة 1200هـ / 1789م⁽³⁾،

وبهذا عرفت خلافة سكوتو الإسلامية ازدهارا في الدّراسات الفقهية، وذلك بفضل طائفة من الفقهاء الذين أسهموا بقدر عظيم بدراساتهم الفقهية خاصة فقه النوازل لما عرفه المجتمع الجديد من

(1) - Mohammed Abu Mohammed Imam, The Supremacy Of The Malikite Trend In Africa, South Of The Desert, Under The Sovereignty Of Islamic Kingdoms The International Conference Islam In Africa , 26-27 Nov 2006, 9th Book, International University Of Africa, P209.

(2) - الألووري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص ص 88-89.

(3) - M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning ..., Op.cit., p558.

تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية، ومن الطّبيعي أن يسير هؤلاء الفقهاء على المذهب المالكي تبعاً لما هو سائد في كل السّودان الغربي.

وقد تأثر الفقه في خلافة سكوتو الإسلامية بالأحوال السّياسية ولاسيما لدى قادة الجهاد، لأن الفقه مصدر التّشريع، والتّشريع قد يمس الشّؤون الخاصّة والعامة للدولة لذلك كان الفقهاء يقفون في كثير من المسائل موقف الحقّ فيكونون عرضة لغضب السّلاطين وانتقامهم؛ ولهذا فقد جاءت كتبهم الفقهية موجهة لإصلاح مجتمعاتهم تبعاً لما أملت الظروف السّياسية، وكانت كتبهم الدّينية في الفقه المالكي تشرح أمور الدّين، ومن أشهر كتب الفقه في خلافة سكوتو الإسلامية مؤلّفات الشّيخ عثمان بن فودي التي عاجلت مسائل تخص مجتمع بلاد الهوسا منها كتاب شفاء العليل فيما أشكل من كلام شيخ شيوخنا جبريل⁽¹⁾، ومن الكتب الهامة التي انتشرت في بلاد الهوسا كتاب مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السّودان² عثمان فودي الذي يحتوي على الكثير من المسائل الفقهية الضّرورية⁽³⁾،

وكذلك كتاب مرآة الطلاب في مستند الأبواب لدين الله الوهاب الذي افتتحه بآيات وأحاديث وما ذكره العلماء فيما يخصّ أصول الدّين، ثم انتقل إلى فروض العين التي تجب على الشخص بعينه من العبادات والمعاملات ملخّصة من رسالة بن أبي زيد القيرواني⁽⁴⁾، ومن كتبه الفقهية التي عاجلت عدة قضايا فقهية أيضاً كتاب كشف ما عليه العمل من الأقوال وما لا⁽⁵⁾، وله أيضاً كتاب إرشاد الإخوان إلى

(1) - عثمان بن فودي، شفاء العليل فيما أشكل من كلام شيخ شيوخنا جبريل، تح: سليمان موسى، مختارات من مؤلّفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013.

(2) - ينظر الوثيقة في الملحق رقم 10.

(3) - عثمان بن فودي: المسائل المهمّة التي يحتاجها أهل السّودان، تح حسين عيسى عبد الظاهر، حولية كلية الشريعة و القانون و الدّراسات الإسلامية، جامعة قطر، ع3، 1984.

(4) - علي أبو بكر، المرجع السّابق، ص159.

(5) - بابا يونس محمد المرجع السّابق، ج2، ص123.

أحكام خروج النسوان⁽¹⁾، ومن كتبه أيضا التي عاجلت مسائل الحلال والحرام كتاب ضياء الأنام في الحلال والحرام وهو ملخص من كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي⁽²⁾، وله أيضا كتاب مسائل فقهية تطرق فيها إلى المسائل الفقهية المختلف قبيها، مع فصل في المهدي المنتظر ألفه سنة 1226هـ/1811م⁽³⁾،

ومن الكتب الفقهية للشيخ عثمان بن فودي التي كان لها دور بارز في إرشاد الناس وتفقيهم في دينهم وفهم كل الأمور المتعلقة به كتاب مسألة الأمر بموالاتة المؤمنين والنهي عن موالاتة الكافرين⁽⁴⁾، كما له أيضا كتاب عقود اللجين في بيان حقوق الزوجين في فقه التكاح والحقوق الزوجية⁽⁵⁾، ومن خلال هذه المؤلفات نجد أن الشيخ عثمان بن فودي قد حرص على إصلاح مجتمعه، وإرشاده إلى الإسلام الصحيح بتبيان أوامره ونواهيه، مقابل القضاء على البدع والخرافات التي انتشرت في بلاد الهوسا.

كما برز الشيخ عبد الله بن فودي بمؤلفاته الفقهية الكثيرة، والفتاوى، والتوازل منها كتابه تقريب ضروري للدين؛ وهو من الكتب المنتشرة بكثرة لأهميته الفقهية⁽⁶⁾، وله أيضا كتاب فتح البصير في علم

(1) - عثمان بن فودي: إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان، تح: مالم سراج موسى ثلاث مفرا، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج3، 2013.

(2) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص 149.

(3) - نفسه، ج1، ص73.

(4) - عثمان بن فودي، الأمر بموالاتة المؤمنين والنهي عن موالاتة الكافرين، تح: ثاني يوسف برنن تد، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.

(5) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج1، ص84.

(6) - نفسه، ج2، ص 258.

التبصير في فقه الأصول⁽¹⁾، وله أيضا مؤلّف آخر أسماه ضياء السّياسات وفتاوى النّوازل مما هو فروع الدّين من المسائل تضمّن الكثير من المسائل الفقهية⁽²⁾.

ومن مؤلّفاته كذلك في فقه العبادات كتاب ضياء الأمة في أدلة الأئمة جمع في الأحاديث النّبوية، وقد رتّب عناوينه على طريقة الأبواب الفقهية وبدأه بعنوان في التّبة والإخلاص، ثم أتبعه بباب في مجاز الإيمان والإسلام، ثم كتاب الطهارة - فالصّلاة - والصّوم - والزّكاة - الحج - والفرائض، وضمّن كل باب جملة من الأحاديث⁽³⁾، كما له أيضا كتاب ضياء الولايات في الأمور الدّنيوية والدّينيّات⁽⁴⁾، وله أيضا كتاب التّبيان في حقوق الإخوان ألفه سنة 1243هـ / 1828م يتضمّن أحكام فقهية⁽⁵⁾، وله أيضا مؤلّف دواء الوسواس والغفلات تناول فيه مسائل فقهية في الصّلاة، وقراءة القرآن والأدعية؛ وهو مخصّص للعامة⁽⁶⁾.

وقد برز كذلك في العلوم الفقهية السّلطان محمّد بلو بالعديد من المؤلّفات التي عاجلت عدّة مسائل فقهية منها كتاب حلية البصائر عن الأحكام اللازمة للمسافر⁽⁷⁾، وكتاب تنبيه الرّاقد على ما يتعور الحج

(1) - نفسه، ص 201.

(2) - عبد الله بن فودي، ضياء السّياسات وفتاوى النّوازل مما هو فروع الدّين من المسائل، تح أحمد كاني، القاهرة، 1978.

(3) - يعقوب محمّد الأمين عيسى، جهود علماء نيجيريا في خدمة السنة النّبوية، المرجع السّابق، ص 79.

(4) - بابا يونس محمّد، المرجع السّابق، ج 2، ص 271.

(5) - نفسه، ص 195.

(6) - نفسه، ج 1، ص 287.

(7) - نفسه، ج 2، ص 119.

المفاسد، وهذا الكتاب متخصص في فقه الحجّ على المذهب المالكي⁽¹⁾، ومن كتبه أيضا القول المنعوت في النفقة والقسم في المبيت وقد تضمن المسائل الفقهية المتعلقة بالنكاح والنفقة⁽²⁾

لقد زخر عصر خلافة سكوتو الإسلامية بفقهاء بلغوا فهماً عظيماً رغم اقتصارهم على فهم كلام الأئمة المجتهدين الأوائل بالشروح والاختصار أو عمل الحواشي والتعليقات على كتب السابقين، ومن كبار علماء الفقه في خلافة سكوتو الإسلامية الشيخ مصطفى بن محمد الذي تميز بقوة الحفظ ومحاسن الأخلاق مع سلامة الصدر وحسن الظن بالمسلمين⁽³⁾، لطيف وتعليق وجيز على أهاجي عبد القادر بن مصطفى الذي ألفه سنة 1293هـ / 1877م⁽⁴⁾، وله أيضا كتاب عقد حلي قلائد الإيمان⁽⁵⁾.

أما عن منهجية التأليف في هذا العصر فقد أخذ العلماء أسلوب شرح واختصار المتون القديمة وفروعها وبذلوا في ذلك جهداً كبيراً، ولم يقتصر جهدهم عند ذلك بل كانت لهم دراية واسعة بأحوال مجتمعهم فكانت لهم دراسات جديدة وأصلية تدل على تقدّمهم وعلو مكانتهم وقدراتهم العلمية وفي مقدّمة الفقهاء الشيخ عثمان بن فودي الذي كان من أكبر الفقهاء علما وأوسعهم دراية بمسائل الفقه ووجوهه المختلفة، وقد قال في خاتمة كتابه نجم الإخوان عندما تحدث عن تأليفه وتأليف أخيه وابنه

(1) - سلمى عمر السيد، تحقيق كتاب تنبيه الراقد على ما يتعور الحج من المفاسد للشيخ محمد بلو بن عثمان، اشراف عمر عبد الرزاق النقر، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الخرطوم، 1992.

(2) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج1، ص119.

(3) - JOHN O HUNWICK, A SUPPLEMENT TO INFĀQ AL-MAYSŪR: THE BIOGRAPHICAL NOTES OF 'ABD AL-QĀDIR B AL-MUṢṬAFĀ Sudanic Africa, Vol. 7 (1996), p41.

(4) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص17.

(5) - نفسه، ص220.

"...وتأليفنا كلها تفصيل لما أجمل تأليف العلماء المتقدّمين وتأليف العلماء المتقدّمين تفصيل لما أجمل في الكتاب والسنة..." (1).

ولعل هذا يدل على طول باعهم في التّوسع والبحث في كتب العلماء المتقدّمين والأخذ بآرائهم في مختلف المسائل الفقهية، وقد اجتهد الشّيخ عثمان بن فودي وغيره من العلماء وصنّفوا كتباً قيمة في الفقه كانت دليلاً للنّاس في دينهم، فاقبلوا عليها ينسخونها ويدرسونها، ليس هذا فحسب فقد انتشرت انتشاراً واسعاً في بلاد الهوسا وغيرها.

وقد ألف الفقيه أبي بكر بن أحمد بن سعد بن محمّد الأمين، المعروف بأبي بكر القاضي أحمد المتوفى بعد 1326هـ / 1909م، كتاباً أسماه بيان أحكام ثلاث مسائل عمت بها البلوى في هذا القرن الذي أُلّفه سنة 1305هـ / 1887م⁽²⁾، وكان سبب ذلك ظهور انحرافات في المجتمع حيث عكف بعضهم على ممارسة أفعال وسلوكات تنافي تعاليم الشريعة، مما دعا بعض الفقهاء إلى دراسة هذه الظواهر والعمل على معالجتها معتمدين على مصادر الشريعة، وما توصلوا إليه من اجتهادات فقهية، وهذا ما يؤكّد مرة أخرى دور العلماء في إصلاح المجتمع، وحرصهم الدائم على تهيئته لما فيه الصّلاح والفلاح.

وقد حظي علم الفرائض (المواريث) في خلافة سكوتو الإسلاميّة اهتمام العلماء والفقهاء حيث كانت عنايتهم مستمدة من أهمية العلم نفسه فهو من جهته علم يدرس أحوال قسمة التركة بين الورثة وعلى المشتغل به أن يكون ملماً بعلوم الحساب كالجبر والمقابلة والجذور حتى يتسنى له تحديد مقادير الإرث، ومن الذين أُلّفوا في هذا العلم الشّيخ عثمان بن فودي الذي له منظومة أسماها مرآة الفرائض تناولت أمور دينية كالصّوم والنكاح والعدّة والبيوع بالإضافة إلى مسائل الميراث منها هذه الأبيات الآتية:

(1) - عثمان بن فودي، نجم الإخوان، المرجع السّابق، ص 159.

(2) - بابا يونس محمّد، المرجع السّابق، ج 2، ص 183.

يَقُولُ ذَاكَ عَبِيدِ اللَّهِ عُنْمَانِ
بَاسِمُهُ إِنْتِدَائِي رَبِّ مَنَّانِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي عَفْوٍ وَغُفْرَانِ
لَدَيْهِ أَرْجُو لِمَحْوِ الْحُوبِ وَاللَّحْنِ
يَارَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ سَرْمَدًا أَبَدًا
عَلَى النَّبِيِّ الَّذِي مَلَحًا الْفَرِيقَيْنِ
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءِ مَعَا
وَتَابِعَ تَابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ⁽¹⁾

ومما برع في المسلمون نظم العلوم لتسهيل حفظها ونقلها، ومن المنظومات المتداولة لعلماء بلاد الهوسا منظومة عرصة المرام للطالب القاصد للإعلام في أصول الدين لمؤلفه محمد الوالي بن سليمان بن أبي محمد الفلاني الباغراموي البرناوي من علماء القرن 12هـ/17م⁽²⁾، وكذلك منظومة الكوكب الدرّي في نظم ما جاء في الأخضرّي من تأليف بن عبد الرحمن البرناوي المعروف بجرامي المتوفّي 1169هـ/1756م وهي نظم على مقدمة الخضري في فقه العبادات⁽³⁾، ومن المنظومات الفقهية التي أنتجها علماء خلافة سكوتو، منظومة كتاب ضوء المصلي في فقه الصلاة للشيخ عبد الله بن فودي وهو عبارة عن منظومة تتضمن حكم قضاء الفوائت وأحكام السهو في الصلاة من أبياتها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَنْسَى
ذَكَرَ مَنْ شَاءَ وَمَنْ شَاءَ أَنْسَى
صَلَاتُهُ عَلَيَّ نَبِي رَفَعَا
عَنَّا الْخَطَايَةَ وَنَسِيَان مَعَا
وَالهِ وَصَحْبُهُ وَمَنْ تَلَا
مَعَ السَّلَامِ مَا ارْتَقَى إِلَى الْعُلَا
وَبَعْدَ فَالْقَصْدِ بِذَا الْمَوْضُوعِ
نَظَّمَ مَسَائِلُ مِنَ الْفُرُوعِ⁽⁴⁾

(1) - على أبو بكر، المرجع السابق، ص 167.

(2) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج 1، ص 50.

(3) - نفسه، ص 65.

(4) - على أبو بكر، المرجع السابق، ص ص 181-182.

ومن منظوماته الفقهية أيضا منظومة في فقه البيوع أسماها كفاية العوام في البيوع⁽²⁾، وله أيضا منظومة أخرى وهي منظومة اللؤلؤ المصون في الفقه حيث تناول فيها فقه العبادات والمعاملات وقد ذكر فيها بأنه لا توجد منظومات تعنى بالفقه في هذه البلاد، كما بين فيها مصادرہ وكلها من كتب الفقه المالكي وتبلغ أبياتها ألف بيت يقول في مطلعها:

يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ التُّورِي	قَبِيلَةَ فِي الْقَطْرِ الحَوْسِي
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ أَنْزَلَ	عَلَى مُحَمَّدٍ كِتَابًا شَمَلًا
نَظَّمْتُ لَهُ لِبِ الشَّرْحِ	والمُقْرِي نَاوِيًا بِالشَّرْحِ
سَمِيئَهُ بِاللُّؤْلُؤِ المِصُونِ	فِي الصَّدْفِ القَوَاعِدِ العِيُونِ ⁽¹⁾

وقد طلب أمير المؤمنين أحمد الرفاعي، من الفقيه عثمان بن إسحاق التوردي الصكّي المعروف باسم الشيخ المتوفي 1303هـ / 1886م أن يصنف للناس كتابا مبسطا في الفقه فألف كتاب سلم الهداة إلى معرفة أركان الصلاة، وله كتاب آخر وهي منظومة في مسائل الميراث السلم الغوامض في علم الفرائض⁽³⁾، ومنظومة تحفة الصبيان ومن كمثلهم من الشيوخ في فقه الصلاة لصاحبها عمر بن أحمد بن محمد البخاري⁽⁴⁾، ويمكن القول إجمالاً أنه قد برز علماء أجلاء في الفقه وأصوله كان لبعضهم أبحاثا رائعة، ودراسات جلييلة، ونظرات صائبة في دراسة الفقه الإسلامي وأصوله منهم الشيخ جبريل بن عمر الذي تخرج على يديه الكثير أبرزهم الشيخ عثمان بن فودي وأخيه الشيخ عبد الله⁽⁵⁾، وقد كانت اللغة

(1) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 170-171.

(2) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص198.

(3) - نفسه، ص187.

(4) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص60.

(5) - M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning...Op.cit, p558.

العربية وعاء هذه الدّراسات الشّرعية، الّتي أتقنها الأفارقة، وكتبوا بها وحاضروا وألّفوا بها الكثير من المخطوطات.

كما يعد صوغ العلوم والمعارف في منظومات تعليمية ظاهرة تميزت بها الحضارة الإسلامية العربية، كما تميّزت به حضارة خلافة سكوتو الإسلامية مما فتح لها آفاقا جديدة ونهضة شاملة في شتى العلوم والمعارف خاصة العلوم الدّينية من خلال إنتاجات علمائها الّذين يجمعون بين العلم والأدب في نظم المنشور من مختلف مؤلفاتهم أو مؤلفات غيرهم من العلماء. وكان الشّيخ عبد الله بن فودي قد أخذ الكثير من المنظومات في علوم مختلفة على عدد من علماء بلاد الهوسا أشار إليها في إيداع النّسخ منها خلاصة بن مالك مع شرحها البهجة المرضية للسيوطي الّتي درسها عن عمه عبد الله بن محمّد الحاج، وعن إبراهيم المندي الرّامة في علم العروض والقوافي⁽¹⁾، إلى غير ذلك من المنظومات العديدة في مختلف العلوم.

وكثير من هؤلاء العلماء لم يكتف بعلم واحد من العلوم بل يضيف عليها دراسات أخرى كان أكثرها في النحو والفقّه، وقد تتسع ثقافة بعضهم فيضيف إليها التّفسير والحديث أو يدرس علم اللّغة بإتقان أو علم الأصول، أو يتّجه اتّجاهها أدبيا فيدرس اللّغة والأدب ويمارس الكتابة أو قرص الشّعْر أو الخوض في كتابة التّاريخ، أو تتسع دائرته إلى علوم أخرى كالحساب وعلم الفرائض.

أمّا بالنسبة لعلوم اللّغة العربية فقد حظيت باهتمام وعناية بالغين من طرف خلفاء وأمرّاء خلافة سكوتو الإسلامية؛ حيث كانت تدرّس في جميع أمكنة التّعليم بمدن وقرى الدّولة، وقد ازداد هذا الاهتمام بسبب الصّلة القوية بين علوم اللّغة العربية والعلوم الدّينية، فهي تساعد على فهم معاني ومقاصد القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كما حرص قادة الدولة على إقامة المدارس ودعمها وتشجيع العلماء ومنحهم العطايا والمكافآت والجوائز ودعوتهم إلى مجالسهم والتّقرب إليهم وملازمتهم.

وبالإضافة إلى ذلك كله فضلا على أن اللّغة العربية لغة الدّين فإنها اللّغة الوحيدة الّتي يستطيع أن يتفاهم بها الأفراد المتعلّمين من بين تلك الشعوب الثلاثة الرّئيسية الفلاني والكانوري والهوسا، ومنذ أن

(1)-Ibid, p556.

أصبحت اللغة العربية هي الرسمية أنشأت الحكومة مناصب عربية كالوزير والقاضي والوالي والساعي وحددت المسؤوليات التي تخص كل واحد منهم، كما أحدثت مؤسسات كبيت المال التي تعتمد بالدرجة الأولى على الزكاة والأعشار، أنشأت الدواوين ودور القضاء حيث سجلت جمع الإجراءات باللغة العربية التي بقيت هكذا قرابة قرن من الزمن⁽¹⁾

ولطول العهد بالإسلام ورسوخ الكتب الأدبية فقد أخذ الأدب العربي في بلاد الهوسا الاتجاه الديني، كما اصطبغ بالصبغة الصوفية التي سيطرت على نفوس المتدينين، كما تأثرت بالمحفوظات والمقامات والأشعار الجاهلية التي تحوي فنون اللغة من الصناعات اللفظية والمحسنات البديعية⁽²⁾

المبحث الخامس: النحو والصرف:

ومن كتب النحو المنسوخة والمتداولة لعلماء المنطقة كتاب معين الطالب ومفيد الراغب وهو شرح على تحفة بن الوردى لمؤلفه محمد الوالي بن سليمان بن أبي محمد الفلاني الباغرماوي البرناوي⁽³⁾، ومن المنظومات التحوية ما ألفه الشيخ محمد بن عبد الرحمن البرناوي المعروف بحاجرامى المتوفى 1169هـ/1756م⁽⁴⁾،

والواقع أن مفكرى ومتأدبى هذا العصر كانوا معجبين ومتأثرين بأسلافهم فقد انكبوا على آثارهم بالتذليل والشرح والاختصار والاستشهاد؛ حيث ساروا على نهجهم مقلدين أحيانا، ومحاولين الإبداع أحيانا أخرى ومن أئمة النحو في هذا العصر محمد البخاري كان فقيها غزير العلم والأدب فصيح اللسان سريع الفهم حريصا على الخير محبا للعلم وأهله⁽⁵⁾، فكان يقوم بتعليم علم النحو ومن الكتب التي كان

(1)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص67.

(2)- اللورى، مصباح الدراسات الأدبية، المرجع السابق، ص13.

(3)- بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج1 ص61.

(4)- نفسه، ج1 ص232.

(5)- JOHN O HUNWICK, A SUPPLEMENT TO INFĀQ AL-MAYSŪR..., Op.cit, p41.

يدرسها العمريطية والملحة والقطر والخالصة وغيرها من أمهات كتب النحو⁽¹⁾، وقد وصفه عبد القادر بن المصطفى بأنه من كبار العلماء برع في علوم كثيرة وتميز بالشهامة والصرامة، ولين الطبع مدرك لمجريات الأمور حادّ الذكاء تناول الطب والحكمة وله رسوخ في علوم القرآن⁽²⁾.

ومن العلماء البارزين أيضا في علوم اللغة والبيان والنحو الوزير الحافظ غداد بن ليم فقد كرس وقته للتدريس والتعليم وبرع في العلوم النقلية والعقلية وكان عطوفا على تلاميذه رحيفا بهم⁽³⁾، كما كان للمرأة نصيبها في التعليم ومن النساء اللواتي نبغن في العلم والأدب السيدة حبيبة أخت مالم بكشني، التي أخذت العلم مع أخيها عند الشيخ عثمان بن فودي فنبغت وكانت تعلم النساء مختلف العلوم اللغوية⁽⁴⁾، وهنا يظهر جليا دور المرأة البارز في النهضة العلمية والثقافية في خلافة سكوتو الإسلامية.

ومن العلماء الذين ألفوا الكتب في اللغة العربية محمد راجي بن علي بن أبي بكر المتوفي 1228هـ/1866م⁽⁵⁾، ومن كتب قواعد اللغة العربية كتاب مواعظ الفلاني لصاحبه محمد بن علي الفلاني الذي ألفه سنة 1278هـ/1862م⁽⁶⁾، وقد اعتمد العلماء في تعليم النحو أيضا على ما صنفوه من منظومات منها منظوم في النحو للشيخ عبد الله بن فودي أسماء لمع البرق يقول في مطلعته:

مُتَّصِرًا بِجَامِعٍ وَمَا فَرَّقِ	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
لِجَامِعٍ فَضْلًا بِخَلْقِهِ أَفْتَرَقَ	تُمْ صَلَاتُهُ مَعَ السَّلَامِ حَقُّ
مُشْتَبَةً الْأَبْوَابِ وَالْمَسَائِلِ	وَبَعْدَ فَالْمَقْصُودَ نَظْمَ فَاضِلٍ
فِي رَابِعِ الْأَشْيَاءِ وَالنَّظَائِرِ	فِي النَّحْوِ نُثِرَ سَيِّدَ الْأَكَابِرِ
وَرَبَّنَا لَمَّا نُرِيدُ الْمَعْطَى	لِلْعَالَمِ الْعَلَامَةِ السُّيُوطِيِّ

(1)- Ibid, pp43.

(2)- Ibid, pp40-41.

(3)- Ibid, pp41-42

(4)- الألواري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص95.

(5)- بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص77.

(6)- نفسه، ج1، ص39.

سَمَّيْتُ نَظْمِي فِيهِ لَمَعَ الْبَرْقُ فِيهِ لِذِي تَشَابُهُ مِنْ فَرْقٍ⁽¹⁾

ومن الكتب التي تعنى بعلوم الصرف كتاب المبنيات من الكلمات وتبيين عللها الذي ألفه أبي بكر بن أحمد بن سعد بن محمد الأمين المعروف بأبي بكر بن القاضي المتوفي 1326هـ/ 1909م⁽²⁾، ومنهم أيضا الشيخ راجي بن صاحب الرما، وهو عالم نجيب له أكثر من خمسين كتابا، وأشهر مؤلفاته منظوم مصباح الأفعال في علم التصريف يقول فيه :

جَمِيعَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَفْعَالِ سَبْعَةُ آلَافٍ وَرَمَزَ ثَالِثًا

ومن علماء النحو الشيخ أبو بكر بن الأرض البيضاء، وهو عربي مغربي ومن الأولياء الكبار، وكان مهابا عند أهل زمانه ومجرب الدعوة، ومن أخذوا من الشيخ عبد الله الشيخ القاضي سعد، الذي كان متبحرا في الفقه واللغة، ومن الذين أسسوا شعبة النحو والصرف في مدينة زاريا الشيخ شئت أبو حجي الذي أخذ عن الشيخ عثمان بن فودي أيضا⁽³⁾.

قد يكون مناسبا هنا أن أشير إلى مؤلفات علماء الغرب الإفريقي في علم التصريف التي لم تنل حظها من الشهرة أو لم تعزف إلا في نطاق محدود. وأذكر منها : كتاب الحصن الرصين في علم التصريف للشيخ عد الله بن فودي الفلاني (ت1345هـ/1828م). وهو عبارة عن منظومة بلغ عدد آياتها اثنتين وعشرين وألف بيت، وهي بذلك تعد أطول منظومة في هذا العلم، وقد قام بشرحها شرحا مبسطا وهو أحد طلبه العلم في نيجيريا وطبعه مع المتن في لبنان سنة 1984م. ومنها أيضا كتاب في التصريف بعنوان: أوضح المسالك، ينسب للشيخ جيريل بن عمر الأكديزي (منطقة أكديز بالنيجر حاليا)، وهو من أعيان القرن الثاني عشر الهجري. وكان هذا الكتاب ما يزال مفقودا ومنها: منظومة الطاهر بن إبراهيم الفلاني البرتاوي ونسب: الدرر اللوامع. اقتصر فيها صاحبها على تصريف الأسماء ومع ذلك

(1) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 178.

(2) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص174.

(3) - الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص95.

جاءت في حوالي ثمان مئة بيت نظمها صاحبه، عام 1136. ومنها: منظومة الشيخ محمد بن صالح المسماة: مروى الصدى في علم التصريف، ونقع في 973 بيت مع أنها خاصة بتصريف الأفعال، وقد انتهى صاحبه، من تأليفها سنة 1147هـ/1734م، وتوجد منها مخطوطات متداولة في المنطقة.

ومن أبرز المؤلفات أيضا منظومة الحصن الرصين التي تضم نحو ألف بيت تناول فيها الشيخ عبد الله علم الصرف أكثر علوم العربية صعوبة على الطلاب، وهو من أجل العلوم التي تفهم بها معاني القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وهذا يدل على قدرته الفائقة في مجال اللغة، وما يتميز به من صفات قوة الحفظ مثل حفظه للقاموس المحيط عن ظهر قلب وفيها يقول⁽¹⁾

وَبَعْدَ فَالْعِلْمَ لَهُ رِيَاضٌ وَبَيْنَنَا الْحِيَاضَ وَالْغِيَاضَ
وَحَوْلَهَا خَمَائِلَ شِعَابٍ وَفَوْقَهَا شَوَاهِقَ هِضَابٍ
تَفَرَّعَتْ مِنْ أَصْلِهِ أَفْئَانٌ وَأُنْشِقَّ مَنْ دَوَّحَتْهُ حَيْطَانٌ
وَهُوَ سَبِيلُ الْفَهْمِ لِلْمَعَانِي فِي سَنَةِ الرَّسُولِ وَالْقُرْآنِ⁽²⁾

لقد وظف الشيخ عبد الله بن فودي كل قدراته العلمية واللغوية وخبراته في النظم لتقديم علم الصرف في نظم شعري تسهيلا للطلاب، فكان هذا العمل بحق إضافة في حقل علوم اللغة العربية وآدابها من أجل إسهاماته في الحركة العلمية في خلافة سكوتو.

المبحث السادس: النشر

لقد شهد عصر خلافة سكوتو الإسلامية وجود طائفة كبيرة من العلماء الأجلاء اشتهروا بتضلعههم في اللغة والنحو حتى لقبوا بذلك، وقد مرّ النشر في بلاد الهوسا بمراحل في تطوره أولها العصر البرناوي حيث تميز بضعف الأدب فيه، فكان نثرا عاديا لم يرق إلى مستوى الإنتاج والتأليف، واقتصر على

(1) - عبد الظاهر حسين عيسى، المرجع السابق، ص 353.

(2) - عبد الله بن فودي، الحصن الرصين في علم التصريف، تح: محمد صالح حسين، ط1، دار الأمة، نيجيريا، 2007، ص 43-44.

التخاطب بين العلماء والتجار، وتناول الرسائل الإخوانية، كما استخدم لكتابة الوثائق الرسمية بين رجال الحكومة، ومثال للكتابة في هذا العصر رسالة ملك برنو إلى السلطان الظاهر البرقوقي في القاهرة حوالي سنة 794هـ.

وثانيها عصر الونغارين وهم مزيج قبائل البربر والعرب الغدامسيين التي أخذت العلوم عن علماء المغرب وقاموا بنشر الإسلام والعلوم العربية وآدابها في بلاد الهوسا، وفي هذا العصر ظهرت كتب الشروح والحواشي تحاكي كتب علماء الدين، ثم بدأت بوادر تطوّر النثر بتأليف الكتب⁽¹⁾

وثالثها عصر الفلانيين: يعد ظهور خلافة سكوتو الإسلامية عصر النهضة العلمية والأدبية في بلاد الهوسا، وذلك راجع لإهتمام خلفاء الدولة بالتعليم بإنشاء المدارس، وتشجيع العلماء، فنبغ الكثير من العلماء الذين تناولوا في مؤلفاتهم شتى فنون المعرفة، وقد أدى ذلك إلى ظهور النثر التعليمي، والنثر الديواني، من خلال المراسلات الديوانية، إلى غير ذلك من المؤلفات النثرية التي فيها ذكر لانتصاراتهم، وتاريخ شعوب المنطقة وقبائلها ووصف لبلاد الهوسا، والأقاليم المجاورة لها، ويمتاز النثر في هذه الفترة بالسهولة، والبساطة في المعنى، وعدم التكلّف، وكثرة الاستشهاد والاقتباس من القرآن والأحاديث النبوية، وقد عالجوا مختلف قضاياهم، وتبرير الوقائع التاريخية من الناحية الفقهية⁽²⁾، ومن الكتب الأدبية في الحكمة كتاب التسرين فيما قيل فيمن بلغ من السن الأربعين التي ألفها محمد بلو سنة 1235هـ/1820م⁽³⁾

ولقد كان هذا العصر عصر بركة ونماء الأدب واللغة والنحو، وبرز من علمائها أعداداً كبيرة ألفوا ودرسوا وأتقنوا هذه العلوم منهم الشيخ المكاشف المعروف بابن الصباغ، له شرح على العشرينيات وقصائد كثيرة، ومنهم الشيخ عمر بن محمد بن أبي بكر الكوكبي له تخميس بانة سعاد وشرفها، ومنهم

(1) - الألواري، مصباح الدراسات الأدبية، المرجع السابق، ص ص 22-35.

(2) - نفسه، ص ص 35-40.

(3) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص 125.

الشيخ يوسف البرناوي تلميذ الحاج الأمين الكانمي وصاحب الجيمنية الكبرى في المولد النبوي توفي حوالي 1296هـ⁽¹⁾.

المبحث السابع: الشعر:

قرض العلماء الشعر في خلافة سكوتو باللغة العربية وغيرها من اللغات المحلية كالفلاينية والهوسية واليورباوية وغيرها في شتى بحور الشعر العربي وقد جاوروا الأغراض التالية الوعظ والارشاد أو التعليم أو المدح النبوي و الرثاء إلى غير ذلك من فنون الشعر فكان منه الترييع والتحميس على نحو أشعار السلف⁽²⁾

وقد شهدت بدايات خلافة سكوتو الإسلامية اضطرابات شديدة على مستويات عدة، فالجو السياسي والاجتماعي والديني كان مشحونا بالحروب وشن الغارات على الأعداء الوثنيين، والمتمردين في أنحاء البلاد، مما هيا البيئة للشعراء قرض الشعر مثل شعر الحرب أو شعر الجهاد، فكانت أشعارهم وصفا لواقعهم حيث سجلوا انتصاراتهم ضد أعدائهم، كما جعلوه منبر للنفير وتحريض جماعتهم، وتخويف أعدائهم بالترهيب والوعيد⁽³⁾

كما نجد بعض شعراء خلافة سكوتو نحا منحى شعراء الجاهلية في افتتاح قصائدهم بالوقوف على الأطلال قبل الدخول في أغراضهم الشعرية، مثل شعر عبد الله بن فودي في مدحه للشيخ جبريل قائلا:

عَجَّ نَحْوُ أَضْوَاجِ الْأَحْبَبَةِ مَنْ مَجَّ وَأَشْرَبُ مِنَ الْأَنْشَاجِ مَاءَ الدَّعَجِ
ثَجَّ الدُّمُوعُ عَلَى مُنَازِلِهِمْ بِهَا وَاسْقِ الْجِنَّانَ مِنَ الهمومِ الدمجِ
قِفْ عِنْدَهَا سَلًّا مَنْ بِهَا فَعَسَى تَجِبُ حَوْجَاءُ أَوْ لَوْجَاءُ تَرْضَى مَنْ شَجَّ⁽⁴⁾

(1)- الألواري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص95.

(2)- الألواري، مصباح الدراسات الأدبية، المرجع السابق، ص19.

(3)- شيخو أحمد سعيد غلادنت، المرجع السابق، ص142.

(4)- عبد الله بن فودي، تزيين الورقات،

وللشيخ عثمان بن فودي عدّة قصائد شعرية مسّت العديد من الأغراض الشعرية منها المديح النبوي عبر في اشتياقة الكبير لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، وقد ثبت أن لهذه المنظومات دور فعال في تنوير عقول التّاس بأمور دينهم وشحذ همهم للتّهوض بأمر الجهاد وصولاً الى الهدف المنشود، وهو خلق مجتمع مسلم فاضل قائم على هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الغراء، وبما ان هذه القصائد تناولت مواضيع شتى فقه توحيد ونقد للممارسات الوثنية ومسألة المهدي والمهدية، وقصائد الشيخ عبد الله بن فودي تعتبر مادة تاريخية دسمة يستفيد منها المؤرخون لخلافة سكوتو نظراً لما تحتويه من معلومات قيمه، ويكفيه الامام باللغتين الفولانية والهوسية لأن الكثير من الأعمال قد كتبت بهاتين اللغتين⁽²⁾، ومن العلماء المشهورين في العلوم العقلية والنقلية الأديب الفقيه الشيخ مودي ومن الكتب التي كان يدرسها في علم العروض كتاب الرّامة في العروض⁽³⁾، ومن مؤلفات الشيخ عبد الله بن فودي في علم العروض كتاب فتح اللطيف الوافي بعلمي العروض والقوافي ضمت حوالي مائتين وثلاثين بيتاً جاء في مطلعها:

يَقُولُ رَاجِي رَحْمَهُ اللهُ	خَائِفٌ مَا جَنَاهُ عَبْدُ اللهِ
أَحْمَدَ مِنْ قَدْ نَزَلَ الْكِتَابَا	يُرْشِدُنَا وَسَبَبَ الْأَسْبَابَا
إِذْ جَعَلَ الْأَرْضُ لَنَا مَهَادَا	أَلْقَى بِهَا جِبَالَهَا أوتَادَا
وَأَفْضَلَ الصَّلَاةَ وَالسُّلَامَ	عَلَى نَبِيِّ جَاءَ بِالْإِسْلَامِ
وَمَدَّ ظِلَّهُ الطَّوِيلِ الْكَامِلَا	الْوَافِرِ الْبَسِيطِ فِيهِ رَامِلَا

(1) - ينظر القصيدة في الملحق رقم 12.

(2) - الأمين أبومنقا، دور القصائد الدينية الاسلامية باللغتين والهوسية في نجاح حركة الجهاد السكينية، ع 17، دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 1997، ص 169.

(3) - JOHN O HUNWICK, A SUPPLEMENT TO INFĀQ AL-MAYSŪR..., Op.cit, p42.

وهازجاً في وعظمه ورازجاً في حربيه واجهت كفراً ناجزاً⁽¹⁾

واشتهر من الشعر نظم المنثور من العلوم وذلك لتسهيل حفظها إذا كان الأصل نثراً جعلوه نظماً على بحر الرجز، مثل نظم الشيخ محمد بن عبد الرحمن البرناوي لمختصر الأخصري في الفقه المالكي :

فَهَذِهِ مَنْظُومَةٌ قَدْ اِحْتَوَتْ عَلَى عُلُومِ الْأَخْضَرِيِّ اِشْتَمَلَتْ
لِكَوْنِهَا أَيْسَرُ لِلصَّبِيَانِ وَمَنْ يُرِيدُ الْحِفْظَ مِنْ شَيْخَانِ
وَزِدَتْ فِيهَا حَيْثُ مَا قَدْ سَامَحَتْ قَرِيحَتِي فَيَدَا بِهِ تَكَمَّلَتْ
أُعِيذُهَا بِالشَّفْعِ ثُمَّ الْوَتْرِ وَالْفَجْرُ ثُمَّ وَاللَّيَالِي الْعُشْرَ
مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ مُحْتَالٍ مُعَانِدٌ وَجَاهِلٌ مُعْتَالٌ

لقد نبغ في هذا العصر عدد كبير من الشعراء كان لكل منهم مركزه ودوره في الحياة الأدبية في مجتمع خلافة سكوتو الإسلامية، وقد تعدد أغراضهم الشعرية من وصف وفخر وحماسة ومدح وثناء وغيرها من الأغراض، ولعل من المناسب أن نشير هنا لبعض النماذج من علماء خلافة سكوتو الإسلامية حيث برز منهم الشيخ عبد الله بن فودي وعبد القادر بن مصطفى والسيدة أسماء بنت الشيخ عثمان، والسلطان محمد بلو، ومحمد البخاري بن الشيخ عثمان وغيرهم كثير، ومن أشعارهم التي تناولوا فيها الأغراض الشعرية المعروفة في الشعر العربي.

1- شعر الفخر:

يعتبر ديوان تزيين الورقات بجمع ما لي من الأبيات نموذج يظهر هذا اللون من الشعر فقد اشتمل الكتاب على إحدى وعشرون قصيدة، والجدير بالذكر هنا أن أسلوبه في الديوان تقليدي من

(1) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 178.

حيث اختيار الألفاظ والأغراض الشعرية من المديح والهجاء والثناء والوصف والحكم والأمثال والوعظ والإرشاد والتوسل وشعر الجهاد. يقول الشيخ عن هذا الكتاب: "...قد خطر لي في القلب أن أجمع بعض الأبيات التي نظمتها في مدح الشيوخ ومرثيتهم وشكر النعم التي أنعم الله علينا بها قبل هجرتنا وفي وقائع وقعت لنا في الجهاد... مع تفسير ما سيشكل على الطلاب من لغاتها... وسميته بتزيين الورقات بجمع ما لي من الأبيات وفيه من فنون العرب والأمثال والحكم والوصايا والوقائع والمديح والتهنئة والمرثية والافتخار وغير ذلك... وقد كنت قديما انظم أبياتا كثيرة فأتركها وأجعلها نسيا منسيا... لعلمي أن لا طائل منها"⁽¹⁾، وفي وصف المعارك والانتصارات في الحرب نجد انه يمتزج بالشعبوية والذي يوافق الشعر الشعبي عند العرب وذلك كفيل في شعر الجهاد ومنها هذه القصيدة التي تصف وقعة كتو منها ما يلي:

بَدَأَتْ بِبِسْمِ اللَّهِ وَالشُّكْرِ يَتَّبَعُ	عَلَى قَمْعٍ كَفَّارٍ عَلَيْنَا تَجَمَّعُوا
لَيْسَتْ أَصْلُوا الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ	بَلَادِهِمْ وَاللَّهُ فِي الْفَضْلِ أَوْسَعُ
تُؤَارِكُ مَعَ غَوْبَرٍ وَتَيْفٍ سَفِيهِمْ	مَحْزِيهِمْ وَاللَّهُ يُرَأَى وَيَسْمَعُ
فَلَمَّا أَتَوْا غَتَّغَتْ مَا فِيهِ أَفْسَدُوا	بِحَرْقٍ وَتَخْرِيْبٍ وَأَشْيَاءٍ تَقْطَعُ ⁽²⁾
قَبَائِلُ إِسْلَامٍ فَتُورِبُ قَبِيلُنَا	فَلَلَّائِنَا حُوسِينَا الْكَلِّ مُجَمَّعُ
وَفِينَا سِوَاهُمْ مِنْ قَبَائِلٍ جَمَعَتْ	عَلَى نَصْرِ دَيْنِ اللَّهِ كَانَ التَّجَمُّعُ
بَنُو نُورٍ أَخْوَالِ الْفَلَّاتَيْنِ أُخُوَّةٌ	الْعُرْبَ فَمَنْ رَوْحِ أَيْنِ عَيْصِ تَفَرَّعُوا
وَعَقَبَةٌ جِدٌّ لِفَلَّاتَيْنِ مِنْ عُرْبٍ	وَمَنْ تُورِبُ كَانَتْ أُمَّهُمُ هِيَ يَجْمَعُ

2- شعر الرثاء:

وللسيدة أسماء بنت عثمان فودي قصائد كثيرة منها قصيدة رثاء بكت فيها على صديقتها عائشة زوجة السلطان محمد بلو وضحت فيها علاقتهما الحميمة، واصفة مآثرها منها هذه الأبيات:

(1)- Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Op.cit, p3.
(2) - Ibid, p56.

أَعِينِي جُودًا وَأَبْكِيَا فِي حَبِيبَتِي
فَجُودًا بِسُكْبِ الدَّمْعِ فِي فَقْدِ عَائِشَةَ
وَأَثْنِي عَلَيْهَا بِالسَّمَاحَةِ وَالْحَيَا
وَذِكْرُ أَوْرَادٍ وَتَسْبِيحٍ كَذَا
وَسَلْوَةٌ أَحْزَانِي وَأَنْسَا لَوْحَشَاتِي
كَرِيمَةً أَحْبَابِي لِإِدِينِ صَدِيقَتِي
وَدِينِ أَخْلَاقِ حَسَانِ رِضَايَةِ
قِرَاءَةِ قُرْآنٍ فَنَعَمَ حَبِيبَتِي (1)

ولها أيضا تخميس من البحر المتقارب ترثي فيه فقد أحيها السلطان محمد بلو التي تعتبره في مكان والديها منها هذه الأبيات:

لَجَّاتُ إِلَى اللَّهِ ذِي الْعَرْشِ رَبِّي
لِأَنِّي وَحَشْتُ سِوَى أَنْ رَبِّي
لِيَكْفِينِي كُلَّ صَعْبٍ وَخَطْبٍ
قَدِيرٍ أَنْ يُؤَسَّسَ قَلْبِي

لِأَنَّ الْإِلَهَ قُوِيَّ قَدِيرٍ

أَدْعُوهُ حَقًّا وَأَبْكِي بِشَجْعِي
أَبْرَدُ نَفْسِي لِتَضْيِيقِ ذَرْعِي
لِفَقْدِ الْأَمِيرِ بِأَسْيَالِ دَمْعِي
عَنَاءَ الْأَدْنَا ذَاتِ خِلْطٍ وَفَجَعِ

وَرُزْنِي بِشَيْخٍ لِهَذَا نَظِيرٍ (2)

ومن صور الرثاء قصيدة رثائية معبرة للسلطان محمد بلو عند فقد عمه الشيخ عبد الله بن فودي (3)

إِنَّ الرُّزِيَّةَ لَأَرْزِيَّةٌ مِثْلُهَا
خَطْبَ جَلِيلٍ حَلٌّ مِنْ فَقْدِ الَّذِي
رُزٌّ غَدَا الْإِسْلَامُ مُنْثَلِمًا بِهِ
فِي الْعَالَمِ لَيْسَ لَهُ مَنْ شَبَّهُ
وَعَفَتْ مُدَارِسُ لِلْعُلُومِ وَأَوْحَشَتْ
أَرَكَانَهَا مِنْ فَقْدِ قَاضِي نَحْبُهُ

(1)- Jean Boyd , Beverly Mack ,Op.cit, pp 631-632.

(2)- Ibid, pp541-544.

(3)- بابكر حسين قدرماري، المرجع السابق، ص 229.

تَبْكِي فُنُونُ الشَّرْعِ مِنْ فُقْدَانِهِ لَاسِيَّمَا التَّفْسِيرَ جَادًا بِسَكْبِهِ
عِلْمَ الْحَدِيثِ الْفَقْهَ وَالْفَتْوَى بِهِ وَالنَّحْوَ وَالتَّصْرِيفَ لَانَ بِحَبْنِهِ
عِلْمَ الْبَيَانِ كَذَا اللُّغَاتِ بَكَتْ لَهُ وَالْعِلْمَ مَاتَ لِفَقْدِهِ فِي صَوْبِهِ

ومن بين الشعراء أيضا محمد البخاري بن الشيخ عثمان، وتناول في شعره أغراضا شتى منها الرثاء حيث رثا زوجته بقصيدة من البحر الطويل ذكر فيها محاسنها وعفتها منها هذه الأبيات:

أَيَا رُزْءَ الْخَيْرِ أَمْ مُحَمَّمًا اسْتَلَمَعَ الدَّمْعَ النَّجِيعَ عَلَى نَحْرِ
فَوَ اللَّهُ لَا أَنْسَاكَ مَا حَنَّ عَاشِقٍ وَمَا طَرَبَ الطَّيْرَ الْمُسَبِّحَ بِالْفَجْرِ
حَيَّتْ مَعَ الْإِجْمَالِ أَحْمَلُ مَنْظَرٍ حَيًّا وَلَيْنًا لِلْحَيِّبِ وَلِلْعَيْرِ
وَأَعْطَيْتُ مَعَ حُسْنِ التَّبَعْلِ عَفَّةً وَقَارًا وَحُسْنَ الْعَهْدِ فِي الصَّوْنِ لِلْسَّرِّ (1)

3- شعر المناظرة:

وهي مجادلة عالين في موضوع ديني أو علمي مثل ما تقدم بين السيوطي والمغيلي أو مثل ما جرى بين عثمان بن فودي والشيخ مصطفى البرناوي يقول هذا الأخير :

عَلَيْكَ مَنَّا تَحِيَّاتٍ مُبَارَكَةٍ مَسْكَا وَسَكَا مَن يُلَاقُونَا
أَيَا ابْنَ فُودِي قُمْ تَذَرُ أَوْلَى الْجَهْلَا لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ الدِّينَ وَالِدُونَ
فَأَمْنَعُ زِيَارَةَ نَسْوَانٍ لِيُوعِظَكَ إِذْ خَلَطَ الرَّجَالُ بِنَسْوَانٍ كَفَى شَيْنَا
لَاتَفْعَلْنَ مَا يُؤَدِّي لِلْمَعَايِبِ إِذْ لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ عَيَّا كَانَ يُؤَدِينَا
أَنَّ الْمَمَاتِ وَمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَجَهْلَا بِالْعَوَاقِبِ وَعَظُّ كَانَ يَكْفِينَا
وَأَيَّتُ الْمُصْطَفَى يَجُ يَتِمُّهَا فِي عَامِ رَشٍّ مَعَ زَيْدِ الْعَدِّ يَكْفِينَا

(1)- نفسه، 232-234.

فأجاب عنها الشيخ عبد الله بن فودي بقوله :

بَا أَيَّهَا ذَا الَّذِي قَدْ جَاءَ يُرْشِدُنَا سَمِعَا لِمَا قَلَّتْ فَاسْمَعِ أَنْتَ مَا قُلْنَا
نَصَحْتَ جَهْدُكَ لَكِنْ لَيْتَ تَعَذَّرْنَا وَقَلَّتْ سُبْحَانَ هَذَا كَانَ بُهْتَانَا
لَسْنَا نُخَالِطُ بِالنَّسْوَانِ كَيْفَ وَذَا كُنَّا نُحَذِرُ لَكِنْ قَلَّتْ سُلْمَنَا
هَذِي الْبِلَادِ وَجَدْنَا قَوْمَهَا غَرِقُوا فِي الْجَهْلِ تُمْنَعُهُمْ أَنْ يَفْقَهُوا الدِّينَا⁽¹⁾

ومن المناظرات الشعرية أيضا المنظومات الغوية مثل منظومة في إجابة مسائل عبد القادر بن مصطفى لعمر الوالي بن أحمد الفلاني الزكزي المتوفي 1314هـ / 1897م وهي منظومة لبعض ألبعض اللغة العربية آدابها عرضها عبد القادر بن مصطفى على علماء عصره تحدياً⁽²⁾، مما يؤكد على انتشار هذا الفن ورسوخ علماء خلافة سكوتو الإسلامية في علوم اللغة العربية وآدابها.

4- الشعر التعليمي:

ظلّ العلماء والفقهاء ينتجون في هذا الميدان كلّ حسب تخصصه العلمي، وما يميّز هذا النوع غرضه تعليم الناس أمور دينهم بطريقة يسهل تناولها، لهذا نجده لا يخرج عن دائرة التفسير أو الفقه أو التوحيد أو النحو أو التصوف والوعظ والإرشاد تبعا لما تملّيه الظروف الدينية والاجتماعية والسياسية، ويحتّمه الواجب فكان لزاما على العلماء والقادة أن ينشطوا في نظم القصائد ليستفيد الناس⁽³⁾، ومن أمثلة المنظومات التعليمية منظومة مفتاح التفسير للشيخ عبد الله بن فودي وقد صرّح الناظم بأن منظومته مبنية على كتابي الإتقان والتّقاية للسيوطي وبذلك يسهل نقل المعارف من الكتب في قالب شعري سهل وبسيط قال فيها⁽⁴⁾:

- (1)- الألواري، مصباح الدراسات الأدبية، المرجع السابق، ص ص 78-79.
- (2)- بابا يونس محمد، المرجع السابق، تحت رقم G/AR1/44- 63 ص 26.
- (3)- شيخو أحمد سعيد غلادنت، المرجع السابق، ص 208.
- (4)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 168.

لِجَمْعِهِ مَا كَانَ فِي النَّفَايَةِ مِنْهَا مَعَ الْإِتْقَانِ وَهُوَ الْعَايَةُ
سَمِيَتْهُ الْمِفْتَاحَ لِلتَّفْسِيرِ وَأَسْأَلُ اللَّهَ التِّيْسِيرِ

وكذلك منظومته البحر المحيط فإنها نظم لكتابي السيوطي جمع الجوامع وجمع الهوامع وفيها يقول:

وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى نِظَامِ جَمْعِ الْجَوَامِعِ الْبَلِيغِ السَّامِ
وَرَبِّمَا أَنْقَصَ أَوْ أَزِيدُ لِعَلَّةٍ وَيُؤَلِّ مَا يُفِيدُ⁽¹⁾

جاء نظم الشعر العربي بخلافة سكوتو الإسلامية في هذه الفترة نتاجا لحركة التجديد الديني التي قادها الشيخ عثمان بن فودي وما كان لهذه الحركة الإصلاحية التي عمل أصحابها على نشر الإسلام وتصحيح العقيدة، وإصلاح المجتمع بما تقتضيه الشريعة وحياة الناس، وبهذا البعث الإسلامي فقد أدى إلى إنعاش ونشر اللغة العربية في بلاد الهوسا، وقد اتخذ الشعراء من وصف المعارك وتميزها موضوعا خاصا في شعرهم إذ خصص بعضهم جزءا من شعره لمدح القادة والسلاطين الذين انتصروا وفتحوا الحصون وكسروا شوكة الكفر، بل تعتبر بعض القصائد الشعرية بمثابة شاهد مهم على فترات تاريخية ضمّنها أصحابها أوصافا لوقائع مرّت بها خلافة سكوتو الإسلامية من التأسيس إلى السقوط.

خلاصة الفصل:

ومما تقدّم يمكن القول، بأنّ خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا) قد تطرقت إلى جل الدّراسات الإسلامية كما هو موجود في المشرق وقد اهتم أبناء سكوتو بتدريس العلوم القرآنية، وعلوم الحديث، والعقيدة، والتوحيد، وأصول الفقه بلسان عربي تجلّى فيما تركوه من ورائهم من مخطوطات تدلّ على رسوخهم العلمي واللّغوي في جل ميادين اللّغة العربية كالنحو والصرف وكذلك براعتهم في قرض أنواع الشعر كالثناء والمدح والهجاء والفخر وغيرها من الأغراض الشعرية الأخرى.

(1) - نفسه، ص ص 176-177.

هذا بالنسبة للدّراسات الإسلامية وعلوم اللّغة العربية، أما بالنسبة للعلوم الاجتماعية والعلمية فقد كان لعلماء خلافة سكوتو الإسلامية إنتاج غزير في مختلف هذه العلوم كالتّاريخ والتّصوف والمنطق والطب والفلك والرياضيات، وهذا ما سيتناوله بالدّراسة الفصل الموالي بذكر شواهد وأمثلة عن كلّ علم من هذه العلوم.

الفصل السّادس: العلوم الاجتماعية والعلمية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا).

- تمهيد

- المبحث الأوّل: التاريخ.

- المبحث الثّاني: السّياسة الشّرعية.

- المبحث الثّالث: علم التّصوف.

- المبحث الرّابع: الفلسفة والمنطق.

- المبحث الخامس: الجغرافيا.

- المبحث السّادس: العلوم الطّبية.

- المبحث السّابع: علم الفلك.

- المبحث الثّامن: الرّياضيات.

- خلاصة الفصل

الفصل السادس: العلوم الاجتماعية والعلمية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا)

- تمهيد:

على غرار الفصل السابق الذي تناول الدراسات الإسلامية وعلوم اللغة العربية وآدابها، التي برع فيها علماء خلافة سكوتو الإسلامية، سنحاول في هذا الفصل أن نلتمس جوانب من الإنتاج العلمي لهؤلاء العلماء في ميادين أخرى من العلوم الاجتماعية والعلمية؛ كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة والمنطق والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم التي أسهموا فيها، وبواسطتها قدموا خدمات جليلة لمجتمعهم، عبّرت عن روح الحضارة الإفريقية الأصيلة في ثوبها العربي الإسلامي، ومن هذه العلوم التي ساهم فيها علماء خلافة سكوتو الإسلامية نذكر ما يلي:

-المبحث الأول: التاريخ:

كان لخلافة سكوتو الإسلامية في هذا العصر دوراً بارزاً بمساهماتهم في جملة من فروع الدراسات الاجتماعية المختلفة خاصة فيم يتعلق بالدراسات التاريخية فقد اشتهر عدد كبير ممن تناولوا التاريخ؛ فظهر الكثير من المؤرخون تناولوا مواضيع مختلفة ومن الاهتمامات البارزة نجد الكتابة التاريخية قد ركزت على تاريخ منطقة بلاد الهوسا خاصة التاريخ لخلافة سكوتو الإسلامية حيث تم تسجيل الكثير من الأحداث الهامة، خاصة التي اهتمت بالمراحل الأولى لتأسيسها؛ فما هي أهمّ الكتابات التاريخية؟. ومن هم أبرز المؤرخين في خلافة سكوتو الإسلامية؟.

من أبرز المؤلفات في الدراسات التاريخية كتاب السلطان محمد بلو الموسوم بإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، وقد اعتمده كثير من المؤرخين كما دة أساسية لتاريخ بلاد الهوسا قبل ظهور خلافة سكوتو وحركتها الإصلاحية، فهو دراسة شاملة لأقاليمها، وسكانها، وعلمائها، أضف إلى ذلك أن هناك الكثير من المعلومات الجغرافية والسياسية المهمة التي تضمنها؛ كما أفرد جزءاً كبيراً من كتابه لترجمة والده الشيخ عثمان بن فودي وحركته الإصلاحية باعتبارها حدثاً تاريخياً عظيماً وقع في بلاد الهوسا، ولم يكن السلطان محمد بلو شاهد عيان على هذه الأحداث فحسب بل كان طرفاً فيها حيث

ساهم في كثير من الأحداث الحاسمة، بالإضافة إلى جوانب متعددة من تاريخ حروبه الخارجية كآلتي جرت بينه وبين محمد الأمين الكانمي سلطان برنو⁽¹⁾.

ومن خلال موضوعات الكتاب فالسلطان محمد بلو يمثل التاريخ الأصلي أو الأساسي باعتباره شاهد على الأحداث معاصرًا لها فهو يسرد الأحداث بعفوية ووعي فوري، وقد جاءت مادة الكتاب حول حركة الشيخ عثمان بن فودي غزيرة تضمنت تفاصيل دقيقة كان السلطان محمد بلو من صناعها أو مشاركًا فيها مما يرفع قيمة الكتاب واعتباره من المصادر التاريخية الأولى لخلافة سكوتو الإسلامية.

وقد نجح الرحالة هانريش بارث (Barth) في الحصول على كتاب إنفاق الميسور بعد ما بذل جهدًا كبيرًا في البحث عنه، وقد ذكر أن الجزء الأكبر من محتوياته لها أهمية جغرافية وتاريخية، كما أكد علي معلومات الكتاب كانت مطابقة للوثائق التي جلبها الرحالة كلايبرتون في رحلته الأولى⁽²⁾، ومن مؤلفات السلطان محمد بلو التاريخية كذلك كتاب مفتاح البصائر الذي ألفه في (1220هـ/ 1805م)⁽³⁾، وقد أعجب الرحالة هانريش بارث (Barth) بشخصية السلطان محمد بلو وثقافته العلمية الواسعة بما ذلك معرفته بالقبائل وطبائعها ولغاتها وجوانب هامة من تواريخها، وجغرافية بلاد الهوسا أقاليمها وأثمارها.

ومن المصنّفات المهمة التي ظهرت في هذا العصر كتاب تزيين الورقات لما لي من الأبيات لمؤلفه الشيخ عبد الله بن فودي، وهو عبارة عن ديوان تطرّق فيه للكثير من الوقائع التاريخية وخاصة تلك التي أرّخت لبداية حركة الشيخ عثمان الإصلاحية، وتأسيس دولته؛ حيث تضمّن هذا الديوان قصائد بلغت ثمان عشرة قصيدة قرضها الشاعر في نظم شعري ملحمي مبينًا حقائق تاريخية لمعارك كان قائدا لبعضها، والتي وقعت بين أتباع الشيخ عثمان بن فودي، وبين بعض ملوك بلاد الهوسا، كما تضمّن الديوان مدائح ومراثي وغيرها من الأغراض الشعرية التقليدية في غرب إفريقيا وفي ذلك يقول "... قد خطر لي

(1) - محمد بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، المرجع السابق، 222 صفحة.

(2) - Heinrich Barth, Travels and discoveries, Op.cit, p187.

(3) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص 167.

في القلب أن أجمع بعض الأبيات التي نظمتها في مدح الشيوخ ومرثيتهم، وشكر النعم التي أنعم الله علينا بما قبل هجرتنا وفي وقائع وقعت لنا في الجهاد بعد الهجرة... وتبيين سبب نظم كل قصيدة منها وفي ذلك بيان أكثر أحوالنا في ابتداء الأمر إلى انتهائه لينتفع بها من أرادها بالاعتزاز بمواعظها والاعتبار بما حصل لنا في تلك الأحوال من نعم الله للشكر عليها وذلك مقصود الكتاب والله الموفق للصواب...⁽¹⁾

وعلى هذا الأساس يعكس هذا الديوان الشعري عصر الشاعر ويبين قوته الشعرية المعبرة، وفصاحته اللغوية، كما أثبت الشاعر براعته الأدبية، والفنية في الديوان ولم يكن مقلداً أو محاكياً، وهذا ما أشار إليه قائلاً " وليعلم الواقف على هذا المجموع أني لم أقتد أحداً فيما كتبت فيه ولا نظرت إلى كتاب أحد ولا حكيت فيه ما سمعت من أحد وإنما كتبت فيه ما حضرني في الوقت مما شهدته وعلمته..."⁽²⁾، وقد كان هذا الكتاب محل اهتمام الرحالة هنريش بارث عند زيارته لخلافة سكوتو؛ حيث قام بقراءته وأكد على أهميته التاريخية⁽³⁾.

كما يعتبر الشيخ عبد القادر بن مصطفى من كبار المساهمين في الكتابة التاريخية في خلافة سكوتو ومن بين أهم مؤلفاته كتاب أخبار هذه البلاد الحوسية والسودانية المعروف أيضاً بعنوان روضات الأفكار؛ حيث يجوي هذا الكتاب الكثير من الأخبار والمعلومات التاريخية التي تخص بلاد الهوسا بأسلوب سلس وسهل، ومن مؤلفاته التاريخية أيضاً كتاب قطائف الجنان في أحوال بلاد السودان وموضوع الكتاب محاولة لكتابة التاريخ السياسي والاجتماعي لبلاد السودان، كما تطرق أيضاً إلى الجغرافيا التاريخية حيث ذكر فيه الأقاليم والبلدان التي تمتد من المحيط الأطلسي إلى بلاد الهند والسند⁽⁴⁾

وقد نوّه الشيخ عبد القادر بن مصطفى بالتقص الذي اعترى الكتابة التاريخية في بلاد السودان الغربي وأنها كانت قليلة ولا يوجد اعتناء بها، حيث ذكر في مقدمة كتابه قطائف الجنان في أحوال السودان "...لما كانت النفوس مشوّقة إلى ذكر عجائب البلاد وأحوالها ونقل ما وقع من أخبارها

(1)- Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Op.cit, p83

(2)- Ibid, p25.

(3)- Heinrich Barth, Travels and discoveries, Op.cit, pp186-187.

(4)-Ahmed Mohammed Kani, Opcit, pp356-372.

وأمرها وكان التسجيل مهجورا أصلا في بلادنا السودانية... ولذلك قلّ ما تجد في هذه البلاد تسجيلا لواحد من علمائهم وفضلائهم"، وقد أرجع سبب ذلك إلى الجهل الذي كان منتشرا في هذه البلاد⁽¹⁾.

وفي كتابه أخبار هذه البلاد الحوسية والسودانية أعطى فكرة على انتعاش الكتابة التاريخية ونشاطها في فترة خلافة سكوتو بانتشار اللغة العربية عن طريق التعليم العربي الإسلامي وفي ذلك يقول "... وقد صنف العلماء كتبا وتصانيف فيما يشاكل ذلك على أن ذلك لا يخلو من فائدة؛ ولا يعزوا من نفع أو عائدة لمن تدبره أو اعتبره⁽²⁾.

ومن الكتابات التاريخية الهامة التي ركزت على تاريخ خلافة سكوتو ورجالها كتاب تاريخ سكت لصاحبه الفقيه الحاج سعيد؛ حيث يعتبر هذا الكتاب من بين المصادر الهامة التي تتحدث عن خلافة سكوتو وهو بالإجمال يصف أحوال الخلافة بعد وفاة مؤسسها الشيخ عثمان بن فودي، وفيه يتحدث الكاتب عن سير ثلاثة أمراء عاصروهم وهم: السلطان محمد بلو، وأخيه عتيق، وعلي بن محمد بلو، كما تعرّض إلى أوضاع الدولة السياسية كالبيعة وتداول السلطة فيها وأوضاعها الجهادية ضد حركات الارتداد، والقبائل الوثنية المتمردة⁽³⁾، وممن ساهم أيضا في كتابة تاريخ المنطقة مالم جعفر الذي ألف كتابا في تاريخ الهوسا باللغة الهوساوية⁽⁴⁾، وممن ساهموا كذلك في كتابة تاريخ خلافة سكوتو الوزير غداد بن ليم الذي ألف كتاب إيراد أصحاب أمير المؤمنين محمد بل⁽⁵⁾، وفيه ذكر لأعوان السلطان محمد بلو ووزرائه ونوابه في خلافته.

رغم الاحتكاك الكبير بالبلاد الإسلامية، وكثرة الكتب في هذه البلاد إلا أن الكتابات التاريخية في خلافة سكوتو رغم كثرتها لم ترقى إلى مستوى المنهج التاريخي التي تمكن الدارس من تحديد المعلومات

(1)- Ibid, p 336.

(2)- Ibid, p337.

(3)- مخطوط يحمل رقم 5422 بالمكتبة الوطنية الفرنسية، ونشره هوداس باريس، مع كتاب "تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان"، ص ص 189- 220 .

(4)- بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص 254.

(5)- غداد بن ليم، إيراد أصحاب أمير المؤمنين محمد بل، الأرشيف الوطني كادونا، تحت رقم: NHRS 41/6 .

وتدقيقها ووضعها في إطارها الزمني والمكاني فإنها تحتاج إلى إلمام كبير بالأحداث حتى نستطيع فهم تلك الكتابات لأنها كثيرا ما تفتقر إلى تحديد الزمنية مما يصعب وضع الأحداث في إطارها التاريخي، فرغم أهمية هذه الكتابات التاريخية فهو مجرد تدوين للأحداث والأحوال، وحياة الدول.

أما عن الكتابات التاريخية التي اهتمت بالسيرة النبوية الشريفة، والخلافة الراشدة نجد أنها قد لقيت اهتماما ملحوظا لدى علماء خلافة سكوتو الإسلامية فصنّفوا فيها كتب عديدة إلا أن معظمها نحى منحى الاختصار، أو تصنيف في جانب من جوانب السير كالشّمائل، أو المولد والنسب والرقائق، مثل كتاب ضياء أولي الأمر في سيرة النبي والخلفاء الراشدين من تأليف الشيخ عبد الله بن فودي الذي ألفه في سنة (1225هـ/1810م)⁽¹⁾، ومن الكتب التاريخية أيضا في السيرة النبوية مثل كتاب درّ الكلام لمؤلفه محمد كنبكا الزكزي الذي ألفه سنة (1257هـ/1842م)⁽²⁾، وكذلك كتاب تاريخ الخلفاء للشيخ محمد القاضي جولا الذي ألفه سنة (1230هـ/1820م)⁽³⁾.

ومن المؤلفات المهمة أيضا مؤلف للوزير محمد البخاري بن أحمد بن عثمان المتوفى (1328هـ/1911م) كتاب ما جرى بيني وبين أمير هطيجا، ويعتبر هذا الكتاب مهم جدا من الناحية التاريخية، لأنه أرّخ لفترة مهمة من تاريخ حاضرة كانو تمثلت في فتنة الحرب الأهلية التي وقعت سنة 1312هـ/1894م، حيث أتى على سرد أحداثها بصفته مسؤولا، ومبينا لدوره الحاسم في إخمادها ومساهمته في استرجاع الأمن والاستقرار في حاضرة كانو⁽⁴⁾.

وما تميّزت به أيضا المصنّفات التاريخية في خلافة سكوتو الإسلامية أن بعضها كان منظوما مثل منظومة عبد القادر بن مصطفى المسماة موصوفات السودان⁽⁵⁾، وهي ترجمة لقصيدة أعجمية من تأليف

(1) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص142.

(2) - نفسه، ص19.

(3) - نفسه، ص143.

(4) - محمد البخاري بن أحمد بن عثمان، ما جرى بيني وبين أمير هطيجا، مخطوط، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، المادة رقم 8، المرجع رقم 27 / AR / O.

(5) - أنظر القصيدة في الملحق رقم 18.

أمه السيّدة أسماء بنت الشّيخ عثمان بن فودي وزاد عليها عددا من الأبيات، والقصيدة وصف شامل لحركة الجهاد الإصلاحية التي قام بها الشّيخ عثمان بن فودي، حيث ذكرت من الوقائع والأحداث المهمّة كالهجرة والمعارك التي درات ضدّ حكام بلاد الهوسا⁽¹⁾.

ومن القصائد الهوسية التي تتضمن تاريخ جهاد سكوتو قصيدة "واقر غوايي" من تأليف عيسى بن الشّيخ عثمان بن فودي المعروف بعيسى مي كوراي المتوفي سنة (1229هـ / 1873م)، وهي ترجمة لقصيدة قرضتها السيدة أسماء بنت الشّيخ عثمان بن فودي باللّغة الفولانية⁽²⁾، ومن بين المنظومات التاريخية أيضا التي تؤرّخ لخلافة سكوتو الإسلامية، وغطت الجوانب السياسيّة والعسكرية نظم المسمّى شعر الغزوة من تأليف على بن عبد الله بن فودي المتوفي (1284هـ / 1868م)⁽³⁾.

كما اعتنى العلماء في خلافة سكوتو الإسلامية بتاريخ المدن في بلاد الهوسا فظهرت كتابات عديدة تحدثت موضوعاتها عن تاريخ المدن وأدوارها التاريخية مثل تاريخ مدينة كانو ومدينة باوشي ونوفي وزاريا وهطيجا وغيرها من المدن خاصة فيما يتعلق بالتاريخ السياسي وسلاسل الحكام ومن أبرز هذه المؤلّفات حوليات كانو المسماة تاريخ أرباب كانو لمؤلف مجهول⁽⁴⁾، ومن الكتابات أيضا التي اهتمت بإمارات الخلافة كتاب تاريخ أمراء بوئي وهي إحدى أهم إماراتها من تأليف الشّيخ معاذ بن تراكن بوئي علي⁽⁵⁾، ومن الكتابات التاريخية حول المدن كتاب تاريخ بلد بيذا (Bida) قاعدة إمارة نوبي (Nupe) لمؤلفه محمّد بن عمر النفاوي الذي ألفه سنة 1300هـ / 1883م⁽⁶⁾.

(1) - عبد القادر بن المصطفى، موصوفات السّودان، تحقيق أبو ألفا عمر محمّد الشريف بن فريد، المعهد الإسلامي للدراسات الإفريقية الدولية سنكوري، سنار، 1991.

(2) - بابا يونس محمّد، المرجع السابق، ج2، ص 228.

(3) - نفسه، ص 164.

(4) - ترجمها ونشرها بالمر Palmer من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية:

H. R. Palmer, The Kano Chronicle, Vol 38, The Journal of the Royal Anthropological, Institute of Great Britain and Ireland, 1908 ? PP

(5) - بابا يونس محمّد، المرجع السابق، ج2، ص 151.

(6) - نفسه، ج1، ص 98.

كما أنّ السّمة الإقليميّة كانت بارزة في الكتابات التاريخيّة لدي علماء خلافة سكوتو الإسلاميّة، حيث تركّزت أغلب دراساتهم التاريخيّة على أخبار وتراجم أعلام بلاد الهوسا، مثلما تناوله الشّيخ عبد القادر بن الوزير غداد بن ليم في كتابه الأنيّس المفيد وهو عبارة عن نبذة من تاريخ وتراجم لأولاد الشّيخ عثمان بن فودي، وله أيضا كتاب الطّبقات، حيث أورد فيه ثلاث طبقات من فضلاء عصر الشّيخ عثمان بن فودي، وعصر السّلطان محمّد بلو بن الشّيخ عثمان وعصر الأمير علي بن محمّد بلو ووضعه حسب ترتيب الحروف الهجائيّة⁽¹⁾.

وللشّيخ عبد القادر بن مصطفى مؤلّف آخر جمع فيه تراجم لعلماء بلاد السّودان خاصّة العلماء الذين أخذ عنهم مختلف العلوم⁽²⁾، ومن التّراجم باللّغة الهوساوية كتاب يتضمّن ترجمة محمّد بلو وذكر بعض من مؤلفاته المؤرخ مالم بكّي⁽³⁾، ومن المؤلّفات أيضا في التّراجم والمناقب تأليف عمر بن محمّد البخاري بن عثمان المتوفي سنة (1300هـ / 1883م)، المسمّى نبذة لإظهار بعض مناقب الشّيخ خليل بن عبد الله⁽⁴⁾، ومن كتب التّراجم والأنساب كتاب التّسب للشّيخ عبد الله بن فودي⁽⁵⁾ حيث تناول فيه نسب وتاريخ قبيلته ترودي⁽⁶⁾.

-المبحث الثاني: السّياسة الشّرعية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا):

كان لعلماء خلافة سكوتو الإسلاميّة اهتمام كبير بالسّياسة الشّرعية؛ حيث ألفوا فيها عدة كتب تناولت نظم الحكم، والإدارة فتطرقوا بذلك للإمامة والخلافة والإمارة والوزارة، موضحين في ذلك مبدأ الإسلام وحكمه فيها ومن هؤلاء العلماء الذين لهم مؤلّفات في هذا الباب السّلطان محمّد بلو لكثرة اشتغاله بعلم السّياسية كما قال والده عثمان⁽⁷⁾.

(1)- علي أبو بكر، المرجع السّابق، 1963، ص 100.

(2)- John O Hunwick, A Supplement To Infāq Al-Maysūr, Op.cit, 1996.

(3)- بابا يونس محمّد، المرجع السّابق، ج 2، ص 223.

(4)- نفسه، ص 17.

(5)- ينظر الملحق نسب عائلة آل فودي في الملحق رقم 05.

(6)- عبد الله بن فودي: كتاب التّسب، الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 1، المرجع O/AR 27.

(7)- عثمان بن فودي، نجم الإخوان، المصدر السّابق، ص 159.

وقد جاءت مؤلفات السلطان محمد بلو متنوّعة وكثيرة في مجال السياسة الشرعية، وقد ركّزت موضوعاتها على أصول الحكم، وحقوق وواجبات الحاكم والرعية، وتنفيذ الشرائع، وحماية المسلمين كما تحدّث عن تسيير شؤون الدولة السياسية وتنظيماتها المالية، ومن أهم مؤلفاته في السياسة الشرعية كتاب الغيث الوبل في سيرة الإمام العدل وكتاب الغيث الشبوب في توصية الإمام يعقوب والقول الموهوب في الإجابة عن أسئلة الأمير يعقوب، وكتاب أصول السياسة في كيفية الخلق من أمور الرياسة، وكتاب الإنصاف في ذكر ما في المسائل من وفاق وكتاب خلاف والإعلام فيما يجب على الإمام من حفظ بيضة الإسلام⁽¹⁾

وما ميّز مؤلفات السياسة الشرعية في خلافة سكوتو خاصة عند قادة الجهاد أنها تضمّنت آراءهم السياسية في نظم الحكم، والإدارة، وطاعة ولي الأمر، وغير ذلك من الموضوعات التي تمس من الناحية الشرعية مثل كتاب أصول العدل لولاية الأمور وأهل الفضل⁽²⁾، وكتاب أصول الولاية وشروطها⁽³⁾، وكتاب الأمر بموالاتة المؤمنين والتّهي عن موالاتة الكافرين للشيخ عثمان بن فودي⁽⁴⁾. والواقع أنّ هذه المؤلفات تعدّ مؤشراً طبيعياً على تطور مجريات الأمور والأحداث السياسية في بلاد الهوسا وما تبعها من انهيار عدد كبير من ممالكها، لتظهر في كيان جديد وموحد بعاصمته الجديدة مدينة سكوتو، ممّا حدا ببعض العلماء إلى تأليف عدد من الكتب التي أرّخت للإدارة، وإن كانوا قد وضعوها في قالب فقهي ويغلب عليه طابع الوعظ والتّصح؛ وهذا لتوضيح حكم الله ورسوله في كثير من الأمور المتعلقة بالسياسة والخلافة ومؤسّساتها كالإمارة والقضاء والوزارة والعدل بين الرعية، ومختلف دواوين الدولة.

ويعتبر كتاب نور الألباب للشيخ عثمان بن فودي أحد المؤلفات المهمّة للتأريخ الاجتماعي والديني لبلاد الهوسا نظراً للقضايا الهامة التي طرحها في تلك الفترة، التي عاجلت المشاكل الاجتماعية التي كان

(1) - السكاكر، الدولة الصكنية، المرجع السابق، ص 236-237.

(2) - عثمان بن فودي، أصول الولاية وشروطها، تح: عمر بلو مالم سراج، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج3، 2013.

(3) - عثمان بن فودي، أصول العدل لولاية الأمور وأهل الفضل، المصدر السابق.

(4) - عثمان بن فودي، الأمر بموالاتة المؤمنين والتّهي عن موالاتة الكافرين، المصدر السابق.

يعاني منها المجتمع الهاوساوي، مبيّنا سبل علاجها، كما تضمّن الكتاب بالتوضيح بعض مقومات ومبادئ الحركة الإصلاحية التي أثمرت تأسيس خلافة سكوتو الإسلامية⁽¹⁾.

لقد أسهم علماء في هذا القطر في الكتابة التاريخية، وظهرت الكثير من الدراسات التي أرّخت للمنطقة وما جرى فيها من أحداث خطيرة غيرت الأوضاع السائدة، ومست كل الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية لخلافة سكوتو الإسلامية، وأبانت عن كثير من الأفكار، وما تضمّنته من آراء لهؤلاء العلماء في السياسة الشرعية؛ حيث يلاحظ اهتمام كبير بدراسة النظم الإدارية والأوضاع السياسية، من طرف الكثير من العلماء في هذا العصر على وضع مؤلفات في الأحكام السلطانية تعرّضوا فيها لشرعية حركتهم الإصلاحية في بلاد الهوسا، ومختلف النظم الإدارية الإسلامية.

-المبحث الثالث: علم التصوف:

يكاد التصوف في هذه البلاد يكون ضرورة لكلّ مسلم، فما من مسلم إلا وتجدّه قد اتّخذ طريقة صوفية منهجا في حياته، وهذا ما جنت عليه المنطقة منذ القرن الخامس عشر ميلادي⁽²⁾، فالطريقة هي أسلوب عملي ويطلق عليها أيضا المذهب والرعاية والسلوك؛ لإرشاد المرید عن طريق اقتفاء أثر طريقة تفكير وشعور وعمل تؤدّي من خلال تعاقب مراحل المقامات في ارتباط متكامل⁽³⁾.

وفي هذا الإطار تدرج الطريقة القادرية⁽⁴⁾، التي انتشرت في شمال إفريقيا، خاصة في الجزائر

(1)- عثمان بن فودي، كتاب نور الألباب، المرجع السابق، 1898.

(2)- حسين عيسى عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 379. أنظر أيضا، Paul Marty, Études sur l'islam et les tribus du Souda, Tome 1, Éditions Ernest Leroux, paris, 1920, pp1-20.

(3)- سينسر ترمنجهام، المرجع السابق، ص 26.

(4)- الطريقة القادرية: تنسب إلى مؤسسها الشيخ أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى ينتهي نسبه إلى عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما، ونسبته الجيلاني ولد في جيلان سنة 1078/471م له عدّة مؤلفات منها الغنية لطالبي طريق الحق، فتوح الغيب، و الفيوضات الربانية، والأوراد القادرية، والكبريت الأحمر الصلّاة على النبي، ومراتب الوجود، و الرسالة الغوثية، و سرّ الأسرار، وجلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، حزب إرجاء والانتفاء، و يواقيت الحكم، و تحفة المتّقين و سبيل العارفين عثمان بن فودي، تبشير الأمة الأحمدية، مخطوط الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 2، المرجع O/r6، عماد عبد السلام رؤوف، الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، ج1، 1974، ص ص 7.

(المغرب الأوسط) وتونس، كما انتشرت معها الطريقة الشاذلية⁽¹⁾، حتى كانت الطرق تنتسب إلى إحدى الطريقتين، ومن الجزائر امتدت عبر واحات توات إلى إفريقيا جنوب الصحراء⁽²⁾.

وزاد اتساع الطريقة القادرية حيث امتد نشاطها إلى بلاد الهوسا، وكان الاتصال بين الشيخ المختار الكبير وقادة الجهاد الفولاني عثمان بن فودي (ت. 1817)، وابنه محمد بلو (ت. 1837)، وشقيقه عبد الله بن فودي (ت. 1828)، وعلى ما يبدو قد تم في المقام الأول من خلال تلاميذ الشيخ المختار الكبير الذين يتنقلون من بلاد الهوسا إلى البلاد المجاورة، فكانوا ممن يترددون على تلك المنطقة قصد التجارة أو الدعوة، ومن أبرز هؤلاء التلاميذ ثلاثة أسماء: الشيخ ألفا نوح ابن الطاهر الفولاني الماسني والإمام الصوفي الحاج محمد العافية، والشيخ سيدنا وهيب الأموي، وكان للشيخ ألفا نوح ابن الطاهر الفولاني حين إقامته في سكوتو دوره الكبير في تلقين الشيخ عثمان بن فودي أورد الطريقة القادرية المختارية وأجازه عليها⁽³⁾، ويبدو أنه من خلال هؤلاء التلاميذ جاءت كتابات وتعاليم الشيخ المختار الكبير في أشعار وكتابات قادة الجهاد الفولاني⁽⁴⁾

كما أن السلطان محمد بلو أخذ أورد وأحزاب القادرية عن قاضي أمودي الشيخ الحاج محمد العافية وهو أخذها عن الشيخ المختار الكبير ثم أجازه عليها، وقد ذكر محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور في تاريخ التكرور ورد الشيخ عثمان، وهو ما يسمى بورد السلسلة القادرية الذي لقنه لأتباعه من

(1) - الطريقة الشاذلية: تنسب إلى مؤسسها الشيخ أبي الحسن الشاذلي (939هـ/1532م) و كان قد ظهر في مصر و برز في مريديه في المغرب الشيخ أحمد زروق (963هـ/1493م)، ثم محمد نار الدرعي (1036هـ/1626م) و بهذين الشيخين تمر السلسلة الشنقيطية، وذكر صاحب شجرة النور الزكية أن محمد الشنقيطي أخذ عن الشيخ زروق مباشرة و أخذ عنه أبو الرضاء رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي المتوفى 991هـ و عليه يحتمل تزامن دخل الطريقة الشاذلية مع الطريقة القادرية. أنظر خليل التحوي، مرجع سابق، ص 122.

(2) - حسين عيسى عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 387.

(3) - B. G. Martin, Op.cit, p 77.

(4) - Abdal-Aziz Abdallah Batran, Sidi al-Mukhtar 'al-Kunti and the recrudescence of Islam in the Western Sahara and the Middle Niger c. 1750-1811, Ph. D. Thesis submitted to the University of Birmingham, Centre of West African Studies, 1971, pp345-346.

المريدين⁽¹⁾، لقد تلقى قادة الجهاد أوراد السلسلة القادرية من الشيخ المختار الكبير عن طريق تلاميذته، الذين أصبحوا قادرين ومدامين على أورادها، وقد امتدحوه في قصائد عديدة و طلبوا منه الدعاء لهم⁽²⁾

وبذلك ثبت أن الشيخ عثمان بن فودي على الطريقة القادرية ولم يرغب في غيرها⁽³⁾، وأصبح الشيخ عثمان بن فودي من أبرز أقطاب الطريقة القادرية في بلاد الهوسا، بعد أن أخذ أورادها وأجيز فيها عن طريق الاتصال بالشيخ المختار الكنتي، وهذا ما ذكره في كتابه تعليم الإخوان، عن سنده في الطريقة القادرية المتصل بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، حيث يقول: "ونريد أيضا أن نختتم هذا الكتاب بذكر سنداننا المتصل إليه رضي الله تعالى عنه الذي جاءنا من سيدي محمد المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي الأموي، وهو سند ورد السلسلة القادرية أجازني به الشيخ العالم نوح، وهو عن شيخه سيدي محمد المختار المذكور، وهو عن شيخه سيدي الشريف علي بن أحمد، وهو عن شيخه سيدي أبي النقب السيد الأمين لقب به لكونه يتلثم، وهو عن شيخه أبيه سيدي أحمد، وهو عن شيخه سيدي الرقاد، وهو عن شيخه سيدي أحمد الفيوم، وهو عن شيخه سيدي عمر بن سيدي أحمد البكاي، وهو عن شيخه سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي رضي الله تعالى عنه"⁽⁴⁾. وبهذا السند القادري يدرج الشيخ عثمان بن فودي نفسه في سلسلة القادرين الذي ينتهي بأحد علماء المغرب الإسلامي المتمثل في الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني.

ويذكر محمد في إنفاق الميسور إعراف الشيخ المختار بالولاية الشيخ عثمان بن فودي وصحة جهاده والتنبؤ له بالنصر⁽⁵⁾، كما كان للوزير غداد بن ليم ذكر لبعض كرامات الشيخ عثمان في كتابه روض الجنان الذي ألفه سنة (1232هـ/1817م) في حيث تضمن هذا المؤلف جوانب من حياة الشيخ

(1) - محمد بلو، إنفاق الميسور، المرجع السابق، ص ص 222-224.

(2) - نفسه، ص ص 220-221.

(3) - الألووري آدم عبد الله، تاريخ دخول الإسلام في افريقية الغربية المسماة بنيجيريا من مستعمرات بريطانيا، مجلة الأزهر، المجلد السابع عشر الجزء السادس، مطبعة الأزهر، 1946، ص 284.

(4) - B. G. Martin, Op.cit, p77.

(5) محمد بلو، إنفاق الميسور، ص ص 212-218.

عثمان بن فودي وركز على تصوفه وكراماته⁽¹⁾، بالإضافة إلى كتاب دوائر أسمار الشيخ عثمان بن فودي لمؤلفه الشيخ عبد الله بن محمد بن صالح الكنوي كان حيا(1229هـ/1814م)⁽²⁾.

أصبحت الطريقة القادرية هي الطريقة الرسمية في خلافة سكوتو الإسلامية، ذلك أن أقطابها، وحملة ألوية الجهاد قد نشأوا مريدين في الطريقة القادرية، ومع ذلك لما ظهرت الطريقة التجانية تنافسها السيادة على يد عمر الفوتي الذي نزل ضيفا على خلافة سكوتو حيث مكث قرابة عشر سنوات وتصاهر مع السلطان محمد بلو، وحاول إدخالهم في الطريقة التجانية ولم يفلح في ذلك، وتوجه إلى بلاده فوت جالون حيث أنه أسس رابطة تيجانية قوية، وبها استطاع تأسيس دولة، كما استقبل فيما بعد أمير المؤمنين عمر بن علي بن محمد بلو أحد أحفاد عمر الفوتي الفارين من الاحتلال الفرنسي لبلادهم، وأسماه برئيس التجانيين وعاش مكرما هو ومن معه متمتعين بالحرية الكاملة، وهي الفترة التي بدأت تنتشر فيها الطريقة التجانية في المنطقة⁽³⁾.

أمّا عن المؤلفات الصوفية في الطريقة القادرية فهي كثيرة ومتنوعة، فقد ذكر محمد بلو ثلاثين مؤلفا للشيخ عثمان منها عشرة على الأقل في التصوف⁽⁴⁾، ومن الكتب المشهورة ورد الشيخ عثمان بن فودي كتاب لما بلغت⁽⁵⁾، وله أيضا سوق الصادقين إلى حضرة القدس تم تأليفه (1232هـ/1817م)⁽⁶⁾ ومن كتبه في التصوف تبشير الأمة الأحمدية ببيان بعض مناقب القادرية حيث ألفه (1209هـ/1795م)⁽⁷⁾، وله أيضا مقالة في أورداد في الشاذلية⁽⁸⁾. وهذا يدل على سعة صدره

(1)- Gidadu Ibn Muhammad Layma, Rawdat'l-Janaan, Trans : Abu Alfa Umar Muhammad Shareef, Institute Of Islamic-African Studies International, Sennar, 1995.

(2)- بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص 120.

(3)- علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 126.

(4)- محمد بلو، إنفاق الميسور، المرجع السابق، ص

(5)- بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج1، ص 59.

(6)- نفسه، ج2، ص 196.

(7)- عثمان بن فودي: تبشير الأمة الأحمدية، مخطوط الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 2، المرجع O/R6

(8)- بابا يونس محمد المرجع السابق، ج1، ص 193.

منفتحا، ولم يكن متعصبا للطريقة القادرية تعصبا متطرفا تحول بينه وبين الطرق الصوفية الأخرى⁽¹⁾، وقد أفرد الشيخ عثمان بن فودي في كتابه هداية الطالبين قسما تكلم في عن علم التصوف⁽²⁾ كما كان لشقيقه الشيخ عبد الله بن فودي العديد من المؤلفات الصوفية منها نيل المرام من شيم الكرام⁽³⁾، وله أيضا منظومة أسماها شفاء الناس من داء الغفلة والوسواس لخص فيها كتاب زوال الإلباس في طرد الشيطان الخناس للمختار الكنتي (ت. 1225هـ / 1821م)⁽⁴⁾، وله أيضا منظومة ممن المنان في التصوف حيث يقول في مطلعها معرّفا التصوف:

تَجْرِيْدُنَا لِمَنْ لَهُ التَّصَرُّفُ مَعَ اِحْتِقَارِ غَيْرِهِ التَّصَوُّفُ
وَهَكَذَا قَدْ حَدَّهُ الْغَزَالِيُّ فَرَأَقَبَ اللهُ بِكُلِّ حَالٍ

وقد وضع الشيخ عبد الله بن فودي لهذه المنظومة شرحا، سماه شكر الإحسان على ممن المنان تسهيلا للطلاب⁽⁵⁾.

كثر الحديث والتأويل حول انتماء السلطان محمد بلو للطريقة التجانية، لكن كتابته ومؤلفاته تشير بالقطعية أنه كان قادري الطريقة، وقد أخذ أحزابها وأورادها من الأمام الصوفي قاضي أمودي وهو بدوره أخذها عن الشيخ المختار الكنتي، كما تحدث عن كراماته⁽⁶⁾، أما مؤلفاته في التصوف فهي كثيرة منها كتاب جلاء الصدر عما يختلج فيها من صدى الغرور ألف سنة (1229هـ / 1814م) ويتضمن مقتطفات من الغزالي وابن عربي⁽⁷⁾، ومن كتب الإرشاد الصوفي كتاب آداب التوسل بأهل النوبة⁽⁸⁾،

(1) - على أبو بكر، المرجع السابق، ص ص 166-167.

(2) - محمد حنيفة محمد أزهر، المرجع السابق، ص ص 127-340.

(3) - بابا يونس محمد المرجع السابق، ج 2، ص 28.

(4) - نفسه، ج 1، ص 209.

(5) - عمر أحمد سعيد، عبد الله بن فودي رائد الآداب والعلوم في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 74.

(6) - محمد بلو، إنفاق المسور، المرجع السابق، ص ص 216-218.

(7) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج 2، ص 273.

(8) - نفسه، ص 277.

ومن مؤلفاته أيضا كتاب جلاء الصمم في مرض الأقوال والأفعال والهمم⁽¹⁾، ومن مؤلفاته أيضا شمس الظهيرة في منهاج أهل العلم والبصيرة في التصوف⁽²⁾، ومن كتب التصوف في الولاية كتاب رفع الاشتباه في التعلق بالله وبأهل الله⁽³⁾ كما له أيضا قصيدة نونية في التصوف، والزهد وفيها يقول:

أَلَا يَا نَفْسُ وَيَحْكُ حَدِيثِي حَدِيثًا صَادِقًا لَا تَكْذِبِي
فَنَعْمَ الْقَوْلُ قَوْلُكَ يَا فَقِيهِي أَلَا يَا نَفْسُ وَيَحْكُ حَدِيثِي (4)

ومنهم الوزير غطاط بن ليم، توزر للشيخ عثمان ولابنة محمد بلو ولحفيد علي بابا. وكان عالما جليلا ومن مؤلفاته: الكشف، والبيان، وأنيس الجليس في مناقب عثمان وأخيه وابنه، وروض الجنان في مناقب الشيخ عثمان، والمواهب الربانية في تحقيق الطريقة القادرية⁽⁵⁾، ومن كبار العلماء العالم الزاهد الصوفي الشيخ محمد بر بن عرف بغزارة علمه وصلاحه ورغبته في الخير⁽⁶⁾، ومن شيوخ الطريقة القادرية والصوفية العالم محمد ثنب⁽⁷⁾

وعلى ذلك تبين أن الدور الكبير لجماعات القادرية يعتبر من النماذج الإسلامية التي جعلت الصوفية سمة حضارية وثقافية باعتبار ما شيّدوه من دول، وما أسّسوه من مدارس وما فتحوه من بلدان خير دليل على ما قدّموه سبيلا في خدمة الإسلام في غرب إفريقيا⁽⁸⁾.

وخلاصة القول، فإنّ الشيخ عثمان بن فودي حمل لواء الطريقة القادرية في القرن التاسع عشر، حيث يتصل سنده في الطريقة القادرية إلى الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، كما قاد الجهاد في بلاد

(1) - نفسه، ص46.

(2) - نفسه، ص164.

(3) - نفسه، ج1، ص142.

(4) - نفسه، ص222.

(5) - الألوري، الاسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص95.

(6) - John O Hunwick, A Supplement To Infāq Al-Maysūr, Op.cit, p42.

(7) - Ibid, pp42-43.

(8) - مجموعة مؤلفين، الاسلام والمسلمون في افريقيا و آسيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، ص7.

الهوسا، وكثر أتباعه من القادرين الذين تعلموا أورادها، وبهذا كانت شخصية عثمان بن فودي مبنية على أسس تكوينية متينة ومنطلقات صحيحة، بما ارتسمت أبعادها ونما فكره ومنهجه التعليمي والدعوي الإصلاحية، وعليه سار أتباعه وخلفاؤه من بعده.

-المبحث الرابع: الفلسفة والمنطق:

يعتبر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي من أشهر العلماء الذين تركوا بصماتهم في بلاد الهوسا ومن العلوم المهمة التي درّسها علم المنطق، وله فيه مؤلفات عديدة منها كتاب مقدمة في المنطق، وله منظومة منح الوهاب في المنطق، وله عليها ثلاثة شروح، كما له شرح جمل الخونجي في المنطق⁽¹⁾، ومن المساجلات العلمية الشهيرة في هذا الفن ما حدث بينه وبين الشيخ السيوطي، في ما يتعلق بتحريم وجواز الأخذ بعلم المنطق وتعليمه، وفيه يقول الشيخ المغيلي:

سَمِعْتُ بِأَمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ	وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمِهِ حُكْمُ أَصْلِهِ
أَيُّمَكُنُ أَنْ الْمَرْءَ فِي الْعِلْمِ حُجَّةً	وَيُنْهَى عَنِ الْفُرْقَانِ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ
هَلِ الْمَنْطِقُ الْمَعْنَى إِلَّا عِبَارَةٌ	عَنِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ حِينَ جَهْلِهِ
مَعَانِيهِ فِي كُلِّ الْكَلَامِ فَهَلْ تَرَى	دَلِيلًا صَاحِحًا لَا يَرُدُّ لِشَكْلِهِ
أُرْنِي هَذَاكَ اللَّهُ مِنْهُ قَضِيَّةٌ	عَلَى غَيْرِ هَذَا تَنْفَهَا عَنْ مَحَلِّهِ
وَدَعَّ عَنكَ مَا أَبْدَى كَفُورٍ وَدَمِّهِ	رُجَّالَ وَإِنْ أَثَبَّتْ صِحَّةً نَقْلِهِ
خُذِ الْحَقَّ حَتَّى مَنْ كُفُورٍ وَلَا تَقُمْ	دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبٍ مِثْلِهِ
لَيْنِ صُحِّ عَنْهُ مَا ذَكَرْتَ فَكَمْ هُمْ	وَكَمَ عَالَمٍ بِالشَّيْءِ أَبَاحَ بَفْضِهِ

(1) - ينظر هذه المؤلفات للمغيلي وغيرها:

Hassan ibrahim gwarzo, the life and teachings of al-maghili with particular reference to the sahara jewish community, T.D. PH, Arabic and Islamic studies, london, 1972, pp300-309.

وقد ذكر المغيلي في قصيدته بجواز تعليم المنطق لدى الأمة الإسلامية؛ حيث أشار بما يراه كافيا عن صحة تعليمه للمسلمين، مؤكداً على أنه تعبير عن الحق والحقيقة، وطلب جواباً لمن يقول غير ذلك فأجابه العالم جلال الدين السيوطي في نظم يردّ فيها علي مقالة الشيخ محمد بن الكريم المغيلي بهذا الجواز بقوله :

عَجَبْتُ لِنَظْمٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ أَتَانِي عَنْ جَبْرِ أَقْرَبِ بَيْلِهِ
 تُعْجِبُ مِنِّي حِينَ أَلْفَتْ مُبْدِعًا كِتَابًا جُمُوعًا فِيهِ جَمٌّ بِنَقْلِهِ
 أَقَرَّرَ فِيهِ النَّهْيَ عَنْ عِلْمِ مَنْطِقٍ وَمَا قَالَهُ مِنْ قَالٍ مِنْ ذَمِّ شَكْلِهِ
 وَسَمَّاهُ بِالْفَرْقَانِ يَا لَيْتَ لَمْ يَقُلْ فَذَا وَصَفِ قُرْآنِ كَرِيمٍ لِفَضْلِهِ
 وَقَدْ قَالَ مُحْتَجًّا بِغَيْرِ رِوَايَةٍ مَقَالًا عَجِيبًا نَائِيًا عَنْ مَحَلِّهِ
 وَدَعَّ عَنْكَ مَا أَبْدَى كُفُورًا وَبَعْدَ ذَا خُذِ الْحَقَّ مِنْ كُفُورٍ بِخْتَلِهِ
 وَقَدْ جَاءَتِ الْآثَارُ فِي ذَمِّ مَنْ حَوَى عُلُومَ يَهُودٍ أَوْ نَصَارَى لِأَجْلِهِ
 يَحُوزُ بِهِ عِلْمًا لَدَيْهِ وَأَنَّهُ يُعَذِّبُ تَعَذِّبًا يَلِيْقُ بِفِعْلِهِ
 وَقَدْ مَنَعَ الْمُخْتَارُ فَارُوقَ صَحْبِهِ وَقَدْ خَطَّ لَوْحًا بَعْدَ تَوْرَاةِ أَهْلِهِ
 وَكَمْ جَاءَ مِنْ نَهْيِ اتِّبَاعِ لِكَافِرٍ وَإِنْ كَانَ ذَاكَ الْأَمْرُ حَقًّا بِأَصْلِهِ
 أَقَمْتُ دَلِيلًا بِالْحَدِيثِ وَلَمْ أَقُمْ دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبِ مِثْلِهِ
 سَلَّمَ عَلَى هَذَا الْإِمَامِ فَكَمْ لَهُ لَدَيْ تَنَاءٍ وَإِعْتِرَافٍ بِفَضْلِهِ

وقد أجاب السيوطي متعجباً مما سمعه من عالم بحجم المغيلي كيف له بإجازة تعليم المنطق وتسميته بالفرقان الذي هو من أسماء القرآن الكريم، ورغم ذلك كله احتراماً وإجلالاً اعترف بعلمه وفضله وبعته بالخبر بعدما أتى بما يراه حجة ودليلاً في تحريم تعليم علم المنطق⁽¹⁾.

وقد عرف عن كاتسينا وأهلها العلم والأدب، وقد بلغ بهم الحد إلى تعليم فن المنطق الذي يعتبر من أصعب الفنون العلمية، يتلقون ذلك من كبار العلماء، بالإضافة إلى الإطلاع على مختلف المصنفات والمؤلفات في هذا المجال⁽²⁾، وبذلك انتشر هذا العلم في بلاد الهوسا انتشاراً واسعاً فكانت كتبه تدرس، ومن شيوخ السلطان محمد بلو الذين أخذ عنهم علم المنطق الشيخ العالم سليمان⁽³⁾.

ويذكر الشيخ عبد الله بن فودي أنه أخذ هذا العلم عن ابن عمه محمد الفربري⁽⁴⁾، ومن مساهماته في علوم المنطق تأليفه لكتاب مفتاح التحقيق ما يحتاج إليه في المنطق⁽⁵⁾، وقد كان الوزير غداد بن ليم يعلم طلابه علم المنطق ومن الكتب التي كان يدرّسها في هذا العلم كتاب السلم المرونق في علم المنطق⁽⁶⁾.

لقد ازدهرت مختلف العلوم في خلافة سكوتو وكان طبيعياً أن يكون علم الكلام إحدى العلوم التي اهتم بها العلماء تدرّساً وتأليفاً، من بينهم الشيخ عثمان بن فودي الذي طرق هذا المجال بعدة مؤلفات منها كتاب وضّح فيه مسائل في علم الكلام أسماء الفرق بين علم التوحيد وعلم الكلام، وكتاب الفرق بين علم الأصول وبين علم الكلام، وكتاب قطع الخصام الذي يقع بين طلبة علم الكلام، موائد أوهام الطلبة في كتب علم الكلام لعلماء الملل⁽⁷⁾.

(1) - الألواري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص 89.

(2) - إبراهيم يوسف معاذ، المرجع السابق، ص 34.

(3) - غداد بن ليم، مجموع جمعه أمير المصالح القائم بأمر النصائح، الأرشيف الوطني كادونا، تحت رقم: NHRS 41/6، ص 5.

(4) - M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning, Op.cit, p556.

(5) - بابا يونس محمد، المرجع السابق، تحت رقم A/AR4/31 - 1277 ص 177.

(6) - John O Hunwick, A Supplement To Infāq Al-Maysūr, Op.cit, p43.

(7) - W. E. N. Kensdale, Field Notes on the Arabic Literature of the Western Sudan: Shehu Usumanu dan Fodio, J. R.A.S, No. 3/4, Cambridge University Press, 1955 , p168.

-المبحث الخامس: الجغرافيا:

بالإضافة إلى ما تضمّنه كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التّكرور من أخبار السابقين وعلماء هذه البلاد، وما جرى من وقائع الحركة الإصلاحية بقيادة الشيخ عثمان بن فودي بوصفه للواقع الاجتماعي الذي كان سائدا في ممالك الهوسا الذي كان سببا في جهاد الشيخ عثمان بن فودي، نجد أنه قد خصّص تسعة فصول قدم فيها تقريرا وصفيا لجغرافيا لبلاد السودان الغربي والأوسط، مثل بلاد باغرم وبرنو وبلاد الهوسا والسّغاي وبلاد مالي، حيث وصف أقاليمها ووصف جبالها ومياهها وثمارها وسكان⁽¹⁾، كما كان لعبد القادر بن مصطفى كتاب قطائف الجنان في أحوال بلاد السودان جانب من الجغرافيا التاريخية، الذي ذكر فيه الأقاليم والبلدان التي تمتد من المحيط الأطلسي إلى بلاد الهند والسند وغيرها من البلدان والأقاليم الأخرى⁽²⁾.

ومما يدلّ على اهتمام خلفاء سكوتو بعلوم الجغرافيا الخريطة الجغرافية التي رسمها السلطان محمد بلو بطلب من الرّحالة كلابرتون التي تبين جغرافية خلافة سكوتو الإسلامية، وأهم معالمها بدقة، كما طلب السلطان من الرّحالة كلابرتون بعض الكتب باللّغة العربية وخريطة العالم⁽³⁾.

ومن خلال هذا يتّضح لنا المعرفة الواسعة، والأسس العلمية التي يمتلكها السلطان محمد بلو في رسم الخرائط، كما تبين أنه كان ملما ببعض المعالم الجغرافية وأساسيات الخرائط، والمواقع، والاتجاهات، وكذلك معرفته الكبيرة بجغرافيا بلاد الهوسا مدنها وأثمارها، وهذا ما تضمّنته الخريطة من معلومات مختلفة، حيث جمعت معلومات هامة عن شبكة الأثمار وجداولها؛ مثل نهر النّيجر ونهر كورا، بالإضافة إلى المعلومات الجغرافية للأماكن، ومواقع المدن؛ مثل موقع عاصمة الخلافة سكوتو، كما تضمنت الخريطة أيضا معلومات عن الطّرق التجارية؛ مثل الطريق التجاري بين بلاد اليوربا وأتاغرا⁽⁴⁾

(1)- محمد بلو، انفاق الميسور، المرجع السابق، ص ص 5-50.

(2)-Ahmed Mohammed Kani, The Life And Works Of Cabd Alq.Adir B. Al-Mustafa, Op.Cit, Pp356-372.

(3)- كلابرتون وآخرون، المصدر السابق، ص 205.

(4)- ينظر الخريطة التي رسمها السلطان محمد بلو في الملحق رقم 06.

كما كان لكلا برتون لقاء مع شخصية أخرى واسعة المعرفة في المجال الجغرافي تمثلت في مالم موسى الذي زوّده أيضا بخريطة جغرافية تمتاز بالدقة⁽¹⁾ وتحتوي هذه الخريطة على أماكن هامة وتاريخية في خلافة سكوتو الإسلامية، بالإضافة إلى مواقع المدن والأهوار وغير ذلك من المعلومات الجغرافية الهامة وحتى السياسية والاقتصادية، وهذا ما كان يصوبوا إليه الرحالة والمستكشفون الأوروبيون، وهو جمع كل المعلومات الجغرافية، والشبكة الهيدروغرافية للمناطق التي يصلون إليها، لاستخدامها في مشاريعهم الاستعمارية.

وقد استفاد الرحالة كلا برتون أيضا من وكيل أعماله في كانو التاجر هات صالح⁽²⁾، الذي أمده بمعلومات مختلفة وقيمة عن المنطقة، كما زوّده بخريطة جغرافية دقيقة لجانب من الطرق الرئيسية في خلافة سكوتو الإسلامية تضمنت مسار الطريق من الشمال إلى الجنوب، من مدينة كانو إلى بلد نوفي، وتضمنت الخريطة كل يجده في هذا المسار فقد أشار إلى جميع العناصر المفيدة للمسافر من مدن وأهوار وجبال وأسواق ومراكز سياسية، وغيرها من المعلومات الهامة⁽³⁾.

إن الجغرافيا التي طوّرها السلطان محمد بلو وعلمائه تضع التاريخ في مكانه وتمزج المكان والزمان ويبدو جليا أن بعض الأماكن المهمة نجد لها ممثلة بدقة متناهية على الخرائط نظراً لأهميتها وأدوارها التاريخية مثل بلاد فوتا تورو ورغم بعدها عن بلاد الهوسا ومع ذلك تظهر على الخريطة، نظراً لأهميتها في تاريخ عائلة السلطان محمد بلو حيث أنها منطقة أصل قبيلة التوردب قبيلة الأسرة الفودية، أما خريطة مالم موسى فنجد أن تاريخ حركة الجهاد فيها ممثلة حيث يظهر موقع ديجل وغودو مكان مغادرة

(1) - ينظر الخريطة التي رسمها المعلم موسى في الملحق رقم 07.

(2) - هات صالح تاجر من طرابلس وقد أدى دوراً سياسياً مهماً في وسط السودان. وكان الوكيل التجاري لشركة الكانيمي في مدينة كانو، شارك في التجارة السودانية وفي العلاقات السياسية بين طرابلس والسودان. وكان شخصاً مهماً، وناظراً فبمجرد وصول الرحالة كلا برتون إلى كانو، ذهب مباشرة إلى منزله وكان لديه رسالة توصية من حاكم بورنو. بأن يوفر له الإقامة في المدينة، وطلب من هات صالح أن يكون وكيله في كانو، وقد حصل كلا برتون على الكثير من معلوماته من التجار العرب خاصة من وكيل أعماله في كانو هات صالح ولا سيما من خريطة الطريق من مدينة كانو إلى بلاد كبي التي رسمها له.

(3) - ينظر الخريطة التي رسمها التاجر هات صالح الملحق رقم 08.

ووصول هجرة الشيخ عثمان بن فودي، وبهذا العمل الجغرافي الدقيق الذي جمع بين الجغرافيا والتاريخ حيث جمع بين تاريخ الجهاد وتاريخ الأسرة الفودية، مما يدل على قوة الذاكرة والتقاليد الشفوية لتاريخ المنطقة⁽¹⁾، ومثل هذه المحاولات في رسم الخرائط الجغرافية التي تتسم بالدقة، وتؤكد بدلالة واضحة على قوة المعرفة، وسعة الإطلاع لهؤلاء العلماء في ترتيب البيانات الجغرافية المتعلقة بتحديد المواقع والاتجاهات.

ومن هنا يتبين أن علماء خلافة سكوتو كان لديهم اهتمام واضح بالدراسات الجغرافية، فلهم في ذلك إسهامات قيمة في هذا المجال؛ حيث تعد المعلومات الجغرافية التي أوردتها السلطان محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور تمكنا من إدراجه في قائمة كتب الجغرافية التاريخية، وذلك لأنه تطرق لأقاليم بلاد التكرور وبلاد الهوسا والأقاليم المتاخمة لها كبلاد كانم برنو وبلاد آهير وغيرها من الأقاليم، وفي إطار ما يسمى جغرافية المدن ذكر العديد من المدن ووصف سكانها وطبيعتها وما يتعلق بها.

يعتبر اهتمام علماء بلاد الهوسا بعلم الخرائط الجغرافية واضح وجلي من خلال الخرائط التي رسمها السلطان محمد بلو، وهات صالح، وما لم موسى وغيرهم؛ التي تخص جغرافية بلاد الهوسا، فقد كانت هذه الخرائط في غاية الدقة، وهذا ما يبعث بالقول أن علم الجغرافيا كان متطوراً إلى حدّ الدراية بمفاهيمه وتصوّراته التطبيقية، مما جعل الرحالة الأوربيين يهتمون بشدة لاقتناء هذه الخرائط الجغرافية للاعتماد عليها في مشاريعهم الاستعمارية.

-المبحث السادس: العلوم الطّبية:

لم يقف الإبداع الفكري لعلماء سكوتو عند حدّ العلوم الشرعية، والعلوم الاجتماعية، وعلوم اللّغة، بل تعداه إلى سائر المعارف كالعلوم الكونية التي كانت معروفة وقتئذ، فنبغ كثير من العلماء في الرياضيات والفلك، خاصة في المجال الطّبي، ونظراً لأهميته كان الطّب أحد ميادين العلوم التي شغلت

(1)-Camille Lefebvre, Frontières De Sable, Frontières De Papier Histoire De Territoires Et De Frontières, Du Jihad De Sokoto A La Colonisation Française Du Niger, Xixe-Xxe Siècle, Sorbonne, 2015, p

الكثير من قادة خلافة سكوتو وعلمائها، كالطّب العام وعلم الصيدلة، وطب العيون، ولقد تناولت بعض كتب الطّب الشروط المتعلقة بالطّب، والتزاماته، وآدابه، وأخلاق ممارسته لمهنة الطّب، وواجباته نحو المريض والمجتمع والرقابة إلى غيرها من المسائل المتعلقة بمجال الطّب والأطباء.

ولقد كان علماء هذه البلاد يسيرون على منهج السلف الصّالح في علاج الكثير من الأمراض اعتماداً على ما ألفوه خاصة الكتب التي تتعلّق بالطّب النبوي مثل كتب داود الأنطاكي (1005هـ/1596م)، وجمال الدين السيوطي (911هـ/1505م) وهي من كتب الطّب الإسلامي، وكانوا يضيفون إلى ذلك ما توارثوه من أجدادهم في هذه البلاد لمعرفة الواسعة ودرايتهم كبيرة بالأعشاب والعقاقير والنباتات التي استخدموها للتّطبيب والاستشفاء، وكان هذا شائعاً منتشراً في هذه البلاد قبل الاستعمار⁽¹⁾

ومن خلال هذه الموروثات والمؤلّفات يظهر لنا أن شعوب السّودان الغربي مارست مهنة الطّب منذ وقت مبكر ودرسوه وزاولوه خاصة على أيدي أطباء مغاربة ومصريين قدموا إلى المنطقة واستوطنوه قبل فترة البحث⁽²⁾، منهم العلامة عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري الفاسي وهو العلماء الذي ن قاموا بمهمة التّدريس في مختلف العلوم الدينية، والعلوم العقلية خاصة العلوم الطّبية⁽³⁾، حيث دخل بلاد السّودان الغربي ومكث في كانو وغيرها من المدن، ومارس التّدريس لكثير من أمهات الكتب، وفي

(1)-الألورى: الإسلام اليوم وغدا، المرجع السّابق، ص 42.

(2)- بوفيل إدورد، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب، تر: زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص 127

(3)- هو أبو محمّد عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري الفاسي السفياني المعروف بسقين المتوفى سنة 956هـ، عن نحو 86 سنة فقه محدث ومحقق مشارك في الأدب والتصوف والطب، اخذ عن شيخ الجماعة بن غازي، والشيخ زروق وأبا الفرج الطلحي، وَاباهد الماواسي والفقهاء ابا فارس اليوقرجي ابا زيد الحميدي والزواوي، شرق وأخذ العلم بمصر عن بن حجل والقلقشندي، ثم دخل بلاد السودان ودرس في مدينة كانو وغيرها، ثم رجع فاس 909هـ فتولى الخطابة والفتوى بجامع الأندلس، وبعد عزله أكب على رواية الحديث وإقرائه حتى توفي روى عنه البشتيني وعبد الوهاب الزقاق وغيرهما، انظر سليم عبابنة، معجم اعلام الطب في التاريخ العربي الاسلامي، دار البيروني للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص 170.

مختلف الفنون منها فن الطّب حيث كان يدرّس ألفية ابن سينا في الطّب إلى جانب كتب الحديث والتفسير⁽¹⁾، كما كانت نصائح الشيخ محمّد عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ/1504م) التي قدّمها لملوك وسلاطين بلاد الهوسا تستوجب أن يكون للحاكم أطباء أمناء عارفون، يطببون الناس لئلا يحتاجوا إلى الخروج إلى غير بلاده⁽²⁾.

وقديما كانت الأدوية الطّبية في بلاد الهوسا تباع عن طريق الباعة المتجوّلين ويسمون بوكا (Boka) أي بائع الأعشاب في القرى والمدن، وهو أخصائي في جمع وبيع الأعشاب والمكونات الطّبية الأخرى كعلاجات لمختلف الأمراض⁽³⁾.

كما كانت توجد الكثير من المعتقدات لدى جميع الشعوب الإفريقية، منها ما عند اليرباويين من أساليب العلاج، واعتقادهم في المرأة العائنة التي تمتص دماء الأطفال والمرضى، إذ يقلّ من لا يعتقد بصحتها من سائر طبقات الناس عندهم، ويقولون إنّه لا بدّ من وجود امرأة عائنة واحدة، من بين عشر نسوة ويسمونها "طير سوء"، لأنّها غالبا تستعمل طير البوم في امتصاص دماء الناس قصد العلاج⁽⁴⁾، ومن غريب عقائدهم أنّهم يعتقدون بوجود ما يسمونه "أبيكو" ومعناه الموت المتكرّر للأطفال حتى إذا سئمت الأم من هذا التعب المكرر طلبت من الكاهن الساحر أن يتدخل في الأمر، فيأتي الكاهن على جثة الطفل الميت ويعمل فيه سحره، ثم يؤثر على عضو من أعضائه إلى إحدى أصابع اليدين، أو الرجلين ثم يدفن الطفل، وإذا حملت الأم ووضعت وجدوا في أعضائه المولود ذلك الأثر، فبذلك يعيش ولا يموت، كما كانت قلة النظافة وقلة العناية بمبادئ الصحة بادية المعالم في كل بلد، وقرية وذلك كله من أسباب موت الأطفال⁽⁵⁾.

(1) - أحمد بابا التنبكي نيل الابتهاج بتطريز الديقاج، تح: عبد الحميد بن عبد الله الهرامة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص ص264-265.

(2) - محمّد بن عبد الكريم بن محمّد المغيلي، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، المصدر السابق، ص 27.

(3) - Ismail Hussein Abdalla, Islamic Medicine and Its Influence on Traditional Hausa Practitioners in Northern Nigeria, University of Wisconsin--Madison, 1981, p89.

(4) - الأورى، نسيم الصبا، المرجع السابق، ص32.

(5) - نفسه، ص 21.

ومن أمثلة النسوة اللاتي امتهن مهنة الطب المعالجة إينا الأخت الكبرى لحاكم غوبر، التي كان لديها معرفة خاصة بالاستشارات الطبية وعلاج الأمراض وتقديم النصائح والإرشادات، وبإمكانها علاج النساء من لأمرض، والاكتئاب بالأعشاب الطبية، وإذا لم يستجيب الدواء، فقد يرى تشخيص آخر أن المرض قد نجم عن روح امتلكتها، وعادةً ما تُعزى الحالة إلى تغلغل القوى الخافدة إلى جسد المريض، ولا بد من طرد هذه الروح الشريرة⁽¹⁾

كما كانت تمارس تجارة الأعشاب الطبية ومختلف المواد التي تستخدم في العلاج في أسواق مدينة بادغري (Badagry) مثل النطرون (Trona) الذي يجلب من بورنو حيث يكثّر الطلب عليه لتعدد استعماله خاصة في مجال الطب⁽²⁾، كما تستخدم ثمار وأوراق شجرة الكوكا العملاقة في الكثير من الأغراض الطبية بعد تجفيفها تحت أشعة الشمس⁽³⁾

ومما كشفه الرحالة كلابرتون في رحلته الثانية إلى خلافة سكوتو، عن معاناته مع المرض عندما بلغت حالته الصحية مبلغاً سيئاً للغاية؛ حيث كان يعاني من الحساسية تجاه البرد، ويعاني من الإسهال الحاد، ويعاني بشكل متزايد من آلام في جنبه، منذ أن غادر مدينة بادغري Badagry، وكان يعالج نفسه بمطهر قوي للصدر، وبعد أن جرب علاجاً محلياً، من عصير الليمون والفلفل خفت آلامه وحصل على بعض الراحة⁽⁴⁾.

وتعتبر مساهمة قادة خلافة في سكوتو الإسلامية خاصة الشيخ عثمان بن فودي وشقيقه الشيخ عبد الله بن فودي وابنه السلطان محمد بلو، مساهمة كبيرة ومعتبرة، حيث ألفوا عشرات الكتب حول جوانب مختلفة في العلاجات الطبية، كما ألف الشيخ محمد توكور والشيخ عمر بن محمد البخاري (الابن الأكبر للشيخ عثمان بن فودي) أيضاً ما يربو عن خمسة كتب في الطب العام، وألفت السيدة

(1)- Jean Boyd and Beverly Mack, Op.cit, p 98.

(2)-Hugh Clapperton, Journal Of A Second Expedition, Op.cit, p59.

(3)- كلابرتون وآخرون، المصدر السابق، ص 129.

(4)-Hugh Clapperton, Journal Of A Second Expedition, Op.cit, p29.

أسماء بنت الشيخ عثمان كتباً تضمّ أعمالاً قيّمة تخصّ العلاجات الطّبية⁽¹⁾، وقد أكّد الشيخ عبد الله بن فودي في كتابه مصالح الإنسان المتعلّقة بالأديان والأبدان أنه من واجب الدّولة الإسلامية أو المجتمع أن يكون لديه من يمارسون الطّب بما يكفي لمعالجة المرضى والمعوقين⁽²⁾.

ومن أهمّ المؤلّفات في مجال العلوم الطّبية ما ألفه الشيخ عبد الله بن فودي، مثل كتاب مسائل الإنسان بالأديان والأبدان، حيث تناول فيه جوانب مهمة تخصّ الطّبيب والمريض والصيدلي، موضحاً القواعد العامة للرعاية الصحية في بلاد الهوسا، مؤكداً على أنّ ممارسة مهنة الطّب لها قواعد كاحترام المريض والمحافظة على السرية مع مراعاة حالته المادية، كما أن مزاوله الطّب ليست للربح فقط بل مساعدة العاجز والمريض، وبيّن أنّ أساس الطّب هو التّشخيص الصّحيح للمرض حتّى يتجنب إعطاء المريض الدواء الخطأ⁽³⁾، كما أفرد في كتابه ضياء الإمامة في أدلة الأئمة فصلاً تحدّث فيه على عدة مسائل طبية عديدة كالنظام الغذائي، والحمية وعلاج تسمّم العقارب والأفاعي، وعدم استعمال الخمر في عملية التداوي ونوه بالحجر الصّحي عملاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شرح أنه يجب على المرء ألا يدخل بلدة أو مكاناً يوجد فيه الطّاعون أو مرض مماتل، كما أوضح بعدم جواز استعمال الشّعوذة والسّحر والكهانة في العلاج⁽⁴⁾.

ونجد أيضاً السلطان محمّد بلو قد أولى عناية كبيرة بالطّب والصّيادلة، وألّف في ذلك كتباً كثيرة مثل كتابه الرحمة في الطّب والحكمة حيث استعرض الكثير من الحالات المرضية انطلاقاً من تجاربه الشخصية وملاحظاته عن أسباب المرض والأعراض والعلاج، كما بين المواد الطّبية التي يوصي بها وحددتها فعاليتها العلاجية الطّبية كما أدرج فصلاً تكلم فيه عن العلوم الطّبيعية، ونوه أيضاً بالاحتياطات

(1)- umar faruk adamu, medicine in the qua'an and sunnah, safari books ltd, Ibadan, 2012, p235.

(2)- Ibid, P32.

(3)- Ismail Hussein Abdalla, Op.cit , pp168-171.

(4) -Mukhtar Umar Bunza :Arabic Medicinal Manuscripts Of Pre-Colonial Northern Nigeria:A Descriptive Lis, Annual Review Of Islam In Africa, Issue No.11 2012, P93.

اللازمة اتخاذها للحفاظ على صحة المرء، والتي تشمل التّظيف المنتظم للجسم والملابس والبيئة والحماية من الحرارة الزائدة والبرودة⁽¹⁾

وألف كتاباً في الطّب النبوي على شاكلة العلماء المسلمين أمثال بن القيم الجوزية (691هـ - 751هـ/1292م - 1350م)، وجلال الدين السيوطي (911هـ/1505م)، وغيرهم وقد بين فيه أهمية الطّب في المجتمع البشري كما نوه بضرورة دراسة هذا العلم وذكر أن دراسته واجب على المسلمين فيكون في بعض الحالات (فرض عين) على الفرد وفي حالات أخرى (فرض كفاية) على المجتمع⁽²⁾.

وفي مجال طبّ العيون كانت لديه عدّة مؤلّفات منها كتاب الطّب المؤمن المصمّم بطبّ العين الذي تناول فيه علاج أمراض العيون من خلال تحديد مشاكل العين بما في ذلك الأمراض التي تسبّب الجفاف والاحمرار، والتفريغ العين وبعض أسباب العمى، وقصر النّظر والعمى الليلي، ثم قدم وصفات الأدوية، وبيّن كيفية عمل مستحضرات قطرات لعلاج العين، كما استعمل في ذكر بعض الوصفات اللّغات المحليّة الهوسا والفلانّ والتّماشيق، وتناول في كتاب الأدوية للعين ذكر فيه أمراض العين وفيه ركز على النظام الغذائيّ الواجب إتباعه من قبل المرضى الذين يعانون من مختلف أمراض العيون ونوه بفائدة الحليب والبيض كما قدم فيه أدوية ووصفات علاجية، وفي كتابه مصوغ اللّجين في أمراض العين أيضاً استعراض أمراض العين، وأشار إلى عدّة طرق معالجة مشاكلها، واصفاً لها بعض الأدوية مثل الكحل، وحذّر من خطورة مرحلة العلاج للعيون، حيث نصح الشّخص المتلقّي للعلاج تجنّب الأعمال الشّاقة والحركات القويّة للجسم⁽³⁾

ومن خلال مؤلّفات السّلطان محمّد بلو الخاصة بأمراض العين نلاحظ اهتمامه البالغ وكثرة كتاباته في هذا المجال؛ ممّا يفسّر الانتشار الكبير لأمراض العين في خلافة سكوتو، وهذا ما يتفق مع ما شاهده

(1) - Ibid, p93.

(2)- Ibid, p94.

(3)- Ibid, p94.

الرّحالة كلابرتون في مدينة كانو حيث وجد أن مرض فقدان البصر منتشر بكثرة، ولاحظ طريقة التّكفل بهذه الفئة حيث خصّص لهم مكان، يحصلون فيه على مساعدات من طرف الدّولة، كما خصّصت أيضا أماكن لفئة المعوقين للاعتناء بهم⁽¹⁾، كما أنّه حرص على تأكيد طلبه لكلابرتون بإرسال طبيب مدرب إلى عاصمته سكوتو⁽²⁾، وهذا فيه إشارة على عزم السّلطان محمّد بلو لوضع أسس قوية، وسليمة للمعرفة الطّبية، وتعليمها لشعبه في خلافة سكوتو الإسلامية.

ومن جملة مساهماته أيضا رسالته في أمراض الكلى وعلاجها، التي كانت ردا على رسالة وردت إليه من قبل أمير زازو (زاريا)؛ حيث اشتكى هذا الأمير من معاناته من المرض وكشف أعراضه، ومن وصف الأعراض تم تشخيص السّلطان محمّد بلو للمرض بأن الأمير يعاني من مشكلة في الكلى، وحدد ثلاث مشاكل رئيسية مرتبطة بالكلية: الرياح في الكلية، وتورم الكلية، والانسداد، ثم وصف له الأدوية التي يجب تناولها، وطرق استعمالها، اتبع الأمير الوصفة التي أرسلت له واستجاب للتوصيات وتبين فيما بعد أنه شفي من مرضه⁽³⁾

ومن مؤلفاته أيضا كتاب القول المأثور في أدوية الباسور، وتناول هذا الكتاب أسباب وعلاج البواسير وذكر بأنه يحتمل جوانب مختلفة من العلاج مثلا لتبخير، والحميات التي ينبغي للمريض الالتزام بها من أجل التعافي، وفي الجزء الأخير من الكتاب حدد بعض أسباب مشاكل الكبد ووصف الدواء المتمثل في مزيج من الثوم والعسل ومكونات أخرى، وتعتبر معلومات هذا الكتاب واحدة من أكثر التحليلات العلمية المفصلة لأمراض معينة⁽⁴⁾، وعلى وجه الإجمال فالكتاب علمي تجريبي يحتوي على دراسات نظرية وتطبيقات عملية، تعكس خبرات طبية واسعة، ساهمت بقدر كبير في العلاج الطّبي الذي يحتاجه المرضى في خلافة سكوتو الإسلامية، ومثل هذه الكتب وغيرها كانت خير معين على تقديم خدمات صحة ناجعة، ساعدت بشكل كبير على الحدّ من استعمال الطّرق غير الشّرعية مثل السّحر

(1)- كلابرتون، المرجع السّابق، ص 169.

(2)- نفسه، ص 187.

(3) - Mukhtar Umar Bunza, Opcit, p94.

(4) - Ibid, p95.

والكهانة في مختلف العلاجات.

ومن مؤلفاته أيضا كتاب القول السنّا في وجوب التّمشي في السنّا⁽¹⁾ ويعطي بلو هذا الكتاب العلاج الذي ينطوي على استخدام نبات السنّا وذكر أسمائه بالفلانية والهوسية والتّارقية، ثم تتبع مصدر النبات من شبه الجزيرة العربية وناقش استخداماته الطّبّية وفعاليتها، وحدد ست طرق مختلفة لإدارته.

ويمكن استخدام أوراق النبات بطرق مختلفة وهي تشمل التجفيف والطحن لصنع مسحوق، وغلي الأوراق الطازجة وطحنها لكي تعطى بالعسل أو الحليب، أو إضافة الأوراق إلى ناترون أو الملح. ويصف بلو مختلف أساليب معالجة الأمراض، بما في ذلك البلغم المفرط، وأمراض السّكري، والإمساك، ومشاكل المعدة وغيرها، ومما يزيد من تعزيز الطابع العلمي لهذا العمل وصف بلو للجرعات، لاسيما عند الأمهات اللّائي يرضعن رضاعة طبيعية. ويصف أيضا كيف تتغير كمية الجرعة اعتمادا على وقت انتقاء الأوراق⁽²⁾، والكتاب مهم في بابه إذ يعدّ من الكتب التّعليمية المهمّة لطالب الطّبّ فقد حوى الكتاب آراء عدد كبير من علماء الطّبّ عن كثير من الأمراض، وطرق مداوتها، فقد سلك فيه مؤلّفه طريقة مشوقة للقارئ، فكان يذكر الأمراض ويذكر الأدوية المناسبة لها من خلال الكتب الطّبّية المشهورة في ذلك.

ومن مؤلفاته أيضا كتاب "تنبيه الإخوان على أدوية الديدان" حيث تطرّق فيه إلى مشكلة واحدة أساسية وهي الأمراض المتعلّقة بالديدان لدى البشر. ويحدد بلو أنواع الديدان السّائدة عند الإنسان ويصف الأعراض المرتبطة بوجودهم، مؤكداً أنّ هذه الأمراض أكثر شيوعا عند الأطفال من البالغين، ويقدر بلو طول دودة الشّريط عند التّضج أن يكون حوالي 35 سم. ويعتبر عمله هذا نهجا علميا في تحقيقاته ووصف علاجه⁽³⁾.

(1) - ينظر الملحق رقم 13.

(2) - محمّد بلو، القول السنّا في وجوب التّمشي في السنّا، مخطوط الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، المادة رقم 70، المرجع رقم

.P / AR 1

(3) - Mukhtar Umar Bunza, Op.cit, p95.

وقد اتبع المؤلف في كتابه هذا منهجا طريفا أشبه ما يكون بالطريقة الحديثة في العروض والتعليم، حيث نهج طريقة خاصة في عرض النظريات الطبّية، في حين وصف العلاج، وفي تنظيم جداول إجمالية للأدوية توضح مواعيد الاستعمال العملي، ولقد لقيت هذه الطريقة نجاحا كبيرا حتى صارت نموذجا متبعا لمنهج التأليف الطبّي، وبوجه عام يمكن القول بأن هذا الكتاب كانت بمثابة تعليمات عن الاسعافات الأولية الضرورية، لمواجهة الحوادث الطارئة التي تحصل في المنزل في عصره، وكان من الممكن استخدامه والاستفادة منه بيسر وسهولة.

ومن مؤلفاته أيضا التي ألفها في (1232هـ/1817م) كتاب الطبّ الهين في أوجاع العين وهو عبارة عن تلخيص لكتابه مصوغ اللّجين⁽¹⁾، ومن كتبه الطّبية كتاب عجلة الرّاكب في الطبّ الصّائب ألفه سنة (1245هـ/1829م)، ومخصّص لعدة علاجات⁽²⁾ لقد ساهم السّلطان محمّد بلو مساهمة كبيرة في مختلف العلوم حيث تتلمذ على يده طلاب أخذوا عنة علوم كثيرة كالأدب والشعر والتصوف ومنها العلوم الطبّية⁽³⁾.

كما كتب حياة بن سعيد بن محمّد بلو كتابا في الطبّ تلبية لبعض أحبابه الذي ن طلبوا منه ذلك، أسماه طبّ الإعانة إلى أهل المودة، وذكر كثير من الأمراض والعلل وطرق علاجها مستدلا بالطّب النبوي من أحاديث النبي محمّد صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾، وهذا إن دلّ إنّما يدلّ على باعه الطّويل في العلوم الطّبية وطرق العلاج، وإلا كيف يمكن له أن يدرك كلّ هذه الأمراض وعللها مع شرح طرق علاجها الدّقيق، دون علم ودراية.

ومن العلماء الذين ساهموا بمؤلفاتهم في مجال الطبّ الشّيخ محمّد تكرر، ومن أهم مؤلفاته كتاب قرى الأحيّة وكتاب المختصر هذا الأخير الذي يعتبر أكبر وثيقة باقية كتبها أحد علماء الهوسا حوالي 250

(1) - بابا يونس محمّد المرجع السّابق، ج2، ص196.

(2) - نفسه، ص21..

(3) - John O Hunwick, A Supplement To Infāq Al-Maysūr, Op.cit, P43.

(4) - حياة سعيد، طبّ الإعانة إلى أهل المودة، مخطوط، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، مادة رقم 70، المرجع رقم P/AR2، ص1.

صفحة، وقد تناول موضوع فوائد تلاوة آيات معينة من القرآن الكريم وأسماء الله الحسنى، وتمت كتابته عام (1224 هـ / 1809م)⁽¹⁾، وفي كتاب مؤونة الإخوان الذي ألفه بعد إلحاح من بعض أصدقائه قدم فيه أسباب الأمراض، وضمنه وصفات لعلاج العديد من الأمراض⁽²⁾، كما أن له مؤلفا آخر في الطب النبوي وهو عبارة عن مجموع شامل لأعمال السلطان محمد بلو في الطب النبوي حيث ألفه بناء على طلب من السلطان محمد بلو⁽³⁾

وللسيدة أسماء بنت عثمان فودي كتاب في الطب النبوي ألفته من أجل أخيها البخاري⁽⁴⁾، ولها أيضا كتاب آخر في مجال الطب قرى الأجابة في بيان سر الأسماء⁽⁵⁾، ومن علماء حاضرة زاريا الشيخ محمد فودي الملاوي المساوي الفوتاوي كان حيا 1330هـ/1912م كانت مؤلفاته متنوعة في الأدب والفقه والعلوم الطب⁽⁶⁾، ومن مارسوا مهنة الطب في خلافة سكوتو إمام المسجد أبي محمد محمود الذي كان طبيبا معروفا⁽⁷⁾.

ومما لا شك فيه أن الدعم الرسمي للدولة كان على أعلى مستوى ساعد الطب الإسلامي في ترسيخ مكانته على أسس أكثر حزماً في بلاد الهوسا، وقد دفع ذلك العديد من قادة الجهاد وغيرهم من العلماء إلى الكتابة في مجال الطب، والمواضيع ذات الصلة، وهذا التأييد الرسمي للطب الإسلامي يقابله الرفض التام لممارسة الطقوس الطبية الوثنية⁽⁸⁾؛ باستخدام السحر والكهانة وغيرها من الطقوس التي لها علاقة بتحضير الأرواح والشعوذة.

(1)- Ismail Hussein Abdalla, Op.cit, p157.

(2)- Ibid, p163-167.

(3)- Mukhtar Umar Bunza, Op.cit, P95.

(4)- Jean Boyd, Beverly Mack, Collected Works of Nana Asma'u: Daughter of Usman 'dan Fodiyo 1793-1864, Michigan State University Press, 1997, P19.

(5)- Ibid, P19.

(6)- بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج1، ص221.

(7)- Ismail Hussein Abdalla, Op.cit, p145.

(8)- Ibid, p156.

-المبحث السابع: علم الفلك:

كان علم الفلك معروفاً ومتداولاً في بلاد السودان الغربي، وقد اهتم به العلماء المسلمون في هذه البلاد كغيرهم، ودفعهم إلى الاهتمام به تعيين اتجاه القبلة، ووقت الزوال، وأوائل الشهور القمرية وأواخرها⁽¹⁾، هذا لارتباطه بالتكاليف الشرعية كالصلاة والصيام والحج التي تختلف من بلد إلى بلد، وهكذا فإنهم حاولوا تبسيط مفاهيمه وألغاه لتعليل ما يرى من الحركات والظواهر الفلكية وظهر نشاطهم في هذا المجال العديد من المؤلفات نشرًا ونظمًا.

وقد تميز التقليد في غرب إفريقيا عامة وبلاد الهوسا خاصة بالعديد من الأراجيز والقصائد المنظومة في علمي الفلك والرياضيات وقد أدخل الشعراء إلى الهوسا النظم الذي يتناول الأعداد وعلمي الفلك والتنجيم⁽²⁾، ومن المؤلفات المتداولة بين علماء المنطقة في التقويم وعلوم الفلك بعض المنظومات في علوم الفلك منها أرجوزة في التوقيت لصاحبها عبد الحق بن علي البطيوي الورزيزي السوسي المعروف بابن مرقع المتوفي (730هـ / 1330م)⁽³⁾، ومن المنظومات أيضا في علم الفلك أرجوزة في ترحيل الشمس والقمر لصاحبها عبد الواحد بن الحسين بن إسماعيل الرجراجي وتاريخ تأليفها (844هـ / 1441م)، وموضوعها يدور حول حركة الشمس وكيف يكون لهذا تأثير سلبي على القمر، كما تكلم عن عدد الأشهر في التقويم الإسلامي، وكيف يبدأ موسم الأمطار خلال السنة، ومسألة كسوف القمر والشمس⁽⁴⁾.

(1) - ينظر الملحق رقم 14.

(2) - مصطفى حجازي، الإسلام و نشأة الكتابة في بلاد الهوسا، مجلة مجمع اللغة العربية، ج61، القاهرة، 1987، ص 79.

(3) - بابا يونس محمد فهرس مخطوطات دار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا، حققه وأتم حواشيه جون هنويك، ج2، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1997، تحت رقم A/AR3/14 - 315 ص 124.

(4) - Salisu Bala, The Significance Of Astronomy In The Ancient Arabic Manuscripts Of Northern Nigeria And Their Preservation, Arewa House Center For Historical Documentation And Research, Kaduna, 2006, p98-99.

ومن العلماء البارزين الشيخ محمد الكشناوي الذي رحل إلى الشرق وجاور الحرمين مدة ثم رجع إلى مصر ولازمها حتى توفي بها (1103هـ/1691م)، ذكره الجبرتي في تاريخه الكبير، كان متقنا لعلم النجوم والفلك، بارعا في علم الأوفاق، له مؤلفات عديدة؛ من بينها هذا كتاب الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في السحر والطلاسم والنجوم قدم فيه معلومات فلكية ناهيك عن استخدام بعض المصطلحات العلمية الفلكية⁽¹⁾.

ومن المؤلفات الفلكية كذلك كتاب الجميل الرأي على الشهور العربية والعجمية لمؤلفه محمد بن أبي بكر بن محمد البرناوي كان على قيد الحياة سنة (1210هـ/1795م)⁽²⁾، ومن المنظومات أيضا قصيدة حقيقة الأوفاق للشيخ ظاهر بن إبراهيم بن هارون بن مالي الفلاقي البرناوي توفي بعد (1158هـ/1746م) عن عمر 66 سنة⁽³⁾، وكذلك كتاب تحليل المطالب في علم النجوم والكواكب للشيخ أحمد بن عثمان بن البنا الجدالي تم كتابة العمل في (1193هـ/1779م)، والكتاب يصف الصيغ المختلفة المتعلقة بحساب المسافات في الفضاء وكذلك الأشكال المختلفة للنجوم⁽⁴⁾، كما يوجد أيضا كتاب السراج في علم الفلك للشيخ الفقيه أبو زيد عبد الرحمن الأخضر وقد كُتب على عام 1191هـ/1777م، ومجاله علم الفلك تناول تفسير الطرق المختلفة للحسابات الفلكية، كما تضمن مدة هطول الأمطار، فضلا عن أسماء مختلفة من النجوم⁽⁵⁾.

وكتاب الحسابات والكواكب للشيخ يوسف الإجمامي تم كتابته في عام (1224هـ/1809م)، وهو يتضمن قسمين الجزء الأول يصف الأشكال المختلفة للحسابات في علم الموارد تقاسم بين ورثة عائلة معينة، بحساب حصة الميراث بين الذكور والإناث من المتوفى الجزء الثاني والأخير من الكتاب يناقش طبيعة النجوم، المجرات وأكبر النجم الذي وفضل يشار إلى المؤلف باسم ثريا⁽⁶⁾.

(1)- الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص 90.

(2)- بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج 2، ص 38.

(3)- Salisu Bala, Op.cit, p94-95.

(4)- Ibid, P95.

(5)- Ibid, P96.

(6)- Ibid, P96.

ومن العلماء الذين اشتهروا بتدريس كتاب الترياق في علم الأوفاق الشيخ إبراهيم المندي، ومن أبرز تلاميذه الشيخ عبد الله بن فودي⁽¹⁾، وهذا الأخير له كتاب مسائل الشان لنجم طلع في صفر وهو واحد من العديد من الأعمال التي كتبها في علم الفلك، ويتحدث موضوعه حول نجم معين يخرج في ليلة يوم معين في صفر، الشهر الثاني في التقويم الإسلامي⁽²⁾، وله كتاب تنبيه الفاهم على تاريخ محكم مدة الدنيا وخلق العالم تناول كيفية نشأة هذا العالم بما في ذلك النجوم والمجرات وغيرها من الهيئات الكوكبية⁽³⁾، ومن بين مؤلفاته المتعلقة بعلم الفلك أيضا كتاب درع الكيئة في هيجاء علم الهيئة ألفه سنة (1224هـ/1810م) الذي تضمن مواضيع متعلقة بحدوث العالم، وقد اعتمد في وضع هذه الرسالة على كتاب الهيئة السنوية للسيوطي⁽⁴⁾، كما له أيضا منظومة باللغة الهاوسية تناولت التقويم العربي التقليدي وعلامات النجوم والأبراج، والكواكب وتعاقب الأيام والليالي، كما تضمنت علم التنجيم، وحركة الكواكب وما يتعلق بمنازل القمر وأشهر السنة الميلادية⁽⁵⁾

كما نجد أن السلطان محمد بلو كان له اهتمام بالغ بهذه العلوم فقد بحث في علمي الحروف والجفر مع الشيخ أحمد البرناوي، والشيخ علي دك⁽⁶⁾، وألف فيها كتابا أسماه الكافي في علم الجفر والخوافي⁽⁷⁾، كما تباحت أيضا مع الرحالة كلابرتون في بعض الأمور المتعلقة بعلم الفلك كالأجرام السماوية، وقد قدم له ملاحظات عن الشمس، وقد نوّه الرحالة كلابرتون بأن السلطان محمد بلو على دراية تامة بالكثير من النجوم والمجموعة الشمسية بالأسماء العربية⁽⁸⁾.

(1)- M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning, Op.cit, p556.

(2)- Salisu Bala Op.cit, P93-94.

(3)- Ibid, P97-98.

(4)- بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص 83.

(5)-M. Hiskett, The Arab Star-Calendar and Planetary System in Hausa Verse, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol 30, No. 1, Fiftieth Anniversary Volume ,1967, pp. 158-176

(6)- غداد بن ليم، مجموع جمعه أمير المصالح القائم بأمر النصائح، المصدر السابق، ص 5.

(7)- بابا يونس ج2، ص 216.

(8)- كلابرتون، المصدر السابق، ص 188.

وللشيخ محمد راجي بن علي بن أبي بكر (1205هـ/1790-1282هـ/1865م) كتاب تقريب النظم للشيخ عثمان بن فودي تناول في جزئه الأول علم التنجيم، وجزئه الثاني أهمية التمسك بالطريقة التجانية⁽¹⁾، وكتاب تنبيه الأمة على قرب هجوم أشرار الساعة للشيخ عبد الله السدي (ت1307هـ/1889م) تناول كيفية وصول العالم إلى نهايته من خلال الصيغ المختلفة المستخدمة من قبل المؤلف في مجال الرياضيات وكذلك العمليات الحسابية الفلكية⁽²⁾.

-المبحث الثامن: الرياضيات:

يعتبر علم الحساب من أهم العلوم وأجلها، فبظهور الإسلام في هذه البلاد ابتدأ تعليم الكتابة والقراءة ومبادئ الحساب، بحلول القرن الثامن عشر، بحلول القرن الثامن عشر، أصبحت بورنو أهم مركز لتعلم الرياضيات في وسط السودان تجذب العلماء والطلبة من المناطق المجاورة خاصة من بلاد الهوسا. ومع مرور الوقت زادت أهميته فأصبح مدرجا في المواد الدراسية، وكان من العلوم التي اهتم بها العلماء والطلاب على حد سواء، وقد أشار الشيخ عبد الله في إيداع التسخ إلى أنه تلقى تعليما في علم الحساب البسيط باعتباره من أوائل العلوم وأهمها التي أخذها عن أخيه الشيخ عثمان بن فودي، ونهل من معين أخيه حتى ارتوى⁽³⁾، فهذه إشارة واضحة علي الاهتمام بعلم الحساب في بلاد الهوسا، لفوائده الكثيرة والهامة، وقد انتشرت الكثير من الكتب والمخطوطات ذات الصلة بالرياضيات، من بينها كتاب لسبط المارديني⁽⁴⁾، وهو من المؤلفات المنسوخة والمتداولة في علم الرياضيات⁽⁵⁾

(1)-Salisu Bala, Op.cit, P94.

(2)-Ibid, P97.

(3)- M. Hiskett, Material Relating to the State of Learning, Op.cit, p553.

(4)- سبط المارديني (826 - 912 هـ / 1423 - 1506 م): هو محمد بن محمد بن أحمد الغزال النمشي، بدر الدين، المعروف بسبط المارديني: عالم بالفلك والرياضيات. أصله من دمشق. ومولده ووفاته بالقاهرة. كان موقفا بالجامع الأزهر. له مؤلفات كثيرة في الحساب والفرائض والهندسة والتوقيت والجيوب والمقطوعة وغيرها من أبواب الهندسة من كتبه تحفة الأجيال في علم الحساب وجداول رسم المنحرفات على الحيطان في الميقات، الرسالة الفتحية في الأعمال الجيية الدر المشور في العمل بربع الدستور في الفلك، وتعليق مختصر على لامية ابن الهائم في الجبر والمقابلة، والمواهب السنية في أحكام الوصية في الفقه، وكشف الغوامض، إرشاد الفارض إلى كشف الغوامض واللمعة الشمسية في الفرائض. أنظر خير الدين الزركلي الأعلام، ط15، ج7، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص54.

(5)- بابا يونس محمد، المرجع السابق، ج2، ص220.

وكان العلماء يحتكرونه ويحرمونه على العامة ولا يعلمونهم إلا بمقابل أموال طائلة لأنهم يعدونه جزءاً من علم الفلك والتنجيم الذي يتكسبون به ويتلخص الحساب عندهم في الرموز الآتية⁽¹⁾: أبجد هوز حطي كلمن سعفص فرشت ثخذ ضظغ، ولهم في ترتيب الأعداد رموز أخرى وهي: إيقع بكر جلش دمت هنت وسخ زعد حفص طصظ⁽²⁾.

ومن بين حكام خلافة سكوتو المهتمين بهذا العلم السلطان محمد بلو، فقد أهدى له الرحالة الانجليزي كلاپرتون مجموعة من الكتب العربية عند زيارته لخلافة سكوتو عام (1340هـ / 1824م) من بينها النسخة العربية لكتاب إقليدس في الرياضيات ووصفه بأنه محب للعلم⁽³⁾، وفي إحدى الزيارات وجده يقرأ في هذا الكتاب فأخبره السلطان محمد بلو بأنه كان يملك نسخة من هذا الكتاب اشتراها أحد أقاربه من مكة⁽⁴⁾، ومن علماء خلافة سكوتو الذين برعوا في الرياضيات الأديب الفقيه الشيخ مودي⁽⁵⁾، كما نجدهم يستعملون الحساب لمعرفة عدد الأيام بالاعتماد على الشهور القمرية، واستخدامه في العمليات التجارية، وتدوين الحسابات والديون، وهذا ما يميز به الوكيل التجاري في خلافة سكوتو وهو معرفته بمبادئ الحساب الأولية.

ومن علماء خلافة سكوتو الذين برعوا في علوم الحساب الشيخ والي سليمان في كانو والأستاذ ماجي إسحاق والشيخ جلال في زاريا وكان هناك عدة علماء أيضاً في كانو اشتهروا بعلم الحساب والفلك منهم الشيخ إبراهيم نظفي الكبرى الذي كان يتقن الحساب القديم لعبد الواحد الجرجاني، ومنهم أيضاً المعلم عمر آنو الذي كان منقطع النظر في عصره، ومنهم المعلم الحاج بحطيجة كان يجيد علمي الفقه والفلك⁽⁶⁾.

(1) - ينظر الأرقام والحساب في بلاد الهوسا الملحق رقم 14.

(2) - الألوري، موجز في تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص 83.

(3) - عبد الظاهر حسين عيسى، المرجع السابق، ص 370.

(4) - Hugh Clapperton, Journal Of A Second Expedition, Op.cit, p198.

(5) - John O Hunwick, A Supplement To Infāq Al-Maysūr, Op.cit, p42.

(6) - علي أبو بكر، المرجع السابق، ص 109.

والملاحظ أن كتب الجهاد غلب عليها الجانب الفقهي والتّصحي، وهذا الثّر التعليمي راجع بلا شك لتكوين أصحابها إلا أنّها أعطت بعض الإشارات الإقتصادية كجور الحكّام في فرض الضّرائب الثّقيلة، والتّطفيف في الميزان، والتّعاملات الرّبوية الّتي كانت سائدة، وأخرى اجتماعية كالعادات السيّئة والبدع والخرافات، وانحطاط المستوى الأخلاقي، كما سمحت بتشخيص الوضع السّياسي العام خاصّة علاقة الحاكم بالرّعية، كما ان هذه الكتب وأصحابها مكّنوا من ترسيخ الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، ودعمت انتشار الإسلام بين أوساط العامّة. وبذلك وصفت حركة الجهاد الإصلاحية في بلاد الهوسا خلال القرن التّاسع عشر الميلادي بأنّها ثورة فكرية فتحت باب السّعي لانتشار الإسلام وازدهار العلوم فكان التّعليم الشّغل الشّاغل لقادة الجهاد في خلافة سكوتو الإسلاميّة فازدهرت مختلف مناحي الحياة، وازدهرت معها أيضا مختلف العلوم أصبح هناك أيضا دروس في الطّب وعلم التّنجيم والحساب والمنطق وعلم الفلك.

خلاصة الفصل:

ومما تقدّم يمكن القول، بأنّ الكتابات التّاريخية في خلافة سكوتو الإسلاميّة (بلاد الهوسا) أبانت عن صفحات مشرقة في تاريخ هذه الدّولة، وكانت شاهداً على ظهور نخبة من المؤرخين ساهموا في الحفاظ على تاريخ خلافة سكوتو الإسلاميّة، وغيرها من الأقاليم المجاورة لها، من أمثال السّلطان محمّد بلو، والوزير غداد بن ليم، والشّيخ عبد الله بن فودي والشّيخ عبد القادر بن المصطفى.

كما ظهرت الكتابات الغزيرة في علم التّصوف، وأوراد الطّريقة القادرية؛ باعتبار أن قادة خلافة سكوتو الإسلاميّة على رأسهم الشّيخ عثمان بن فودي من أتباع الطّريقة القادرية ومريدها، لذا نجد الطّريقة القادرية قد انتشرت انتشارا واسعا في أنحاء خلافة سكوتو إلى جانبها نجد الطّرق الصّوفية الأخرى كالتجانية والشاذلية والسنوسية وغيرها من الطّرق الصّوفية.

كما شغل علم الكلام حيزاً كبيراً لدى علماء خلافة سكوتو الإسلاميّة من خلال الكثير من المخطوطات بين القيمة الحضارية ونضج الفكر في الخوض في المسائل والقضايا الّتي تتعلق بحياة المسلمين

في بلاد الهوسا، وكان لعلم المنطق من أبرز العلوم التي نالت حظها من الاهتمام حيث برز فيه العديد من العلماء إلى درجة التخصص، كما يعتبر المنطق من المقررات الدراسية الأساسية في المؤسسات التعليمية في خلافة سكوتو الإسلامية.

وبالنسبة للعلوم الطبية كانت على مستوى تطّعات حكّام خلافة سكوتو للتّهوض بهذا المجال وتحسين الخدمات فيه، فكانت إسهاماتهم الكثيرة والقيمة دليل على رسوخهم العلمي واتساع ثقافتهم ومعرفتهم بمختلف أمراض عصرهم وعلاجاتها، فصنفوا عشرات الكتب الطبّية إسهاما منهم لتقديم خدمات صحيّة أفضل، وتأمين السّلامة بإرشادتهم ونصائحهم.

كما برزت قيمة المساهمات في العلوم الجغرافية لدى علماء خلافة سكوتو الإسلامية كإحدى المؤشرات التي تدل على القدرات العلمية العالية والثقافة الواسعة التي اعترف بها الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة أمثال الرّحالة الإنجليزي هيو كلابرتون، والرّحالة الألماني هاينريش بارث، فكانت هذه الكتابات الجغرافية والخرائط مصدرا هاما للمعلومات التي جاء من أجلها هؤلاء الرّحالة فقد استفادوا منها استفادة عظيمة لخدمة بلدانهم وأغراضهم الاستعمارية.

وبالنسبة لعلم الفلك، فبالرغم من أنّه لم يرق إلى درجة كبيرة من التطور، إلا أنّ الاهتمام به كان كبيراً لدى الكثير من علماء خلافة سكوتو الإسلامية، خاصّة في استخداماته الكثيرة، مثل حساب الأيام والشهور، كما تعتبر الرياضيات من أبرز العلوم ذات الاهتمام الواسع، في خلافة سكوتو الإسلامية تدرّسا وتألّيفا، نظراً لقيمتها العلمية التي تتعلّق بالحياة اليومية للناس، وبمقارنة بما وصل إليه علماء خلافة سكوتو الإسلامية من دراسات نجده لا يقل عنه أهمية في الشّمال الإفريقي والمشرق العربي من حيث القيمة العلمية، والحضارية، كما تميز الانتاج العلمي بالكثرة والتنوع وهذا من خلال ما ذكرنا من شواهد لعدد من العلماء وعناوين لمخطوطات أعطت بصمة حضارية خاصة بغرب إفريقيا من خلال خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا).

الختامة

وفي ختام هذه الدراسة، يمكن حصر أهم الملاحظات والاستنتاجات التي تمّ التوصل إليها في الآتي:

- أبانت الدراسة عن فترة عاشتها بلاد الهوسا (نيجيريا الحالية) بظهور خلافة سكوتو الإسلامية خلال القرن الثالث عشر هجري/ التاسع عشر ميلادي، فقد أثبتت وجود أمة ذات كيان سياسي في الفترة الحديثة، وذلك بالرغم من ظروفها الصعبة بسبب الفتن والحروب، واكبتها حركة ثقافية زاهية والفضل في ذلك كله يرجع إلى قادة خلافة سكوتو الإسلامية الذين كانوا يحملون فكرة إصلاحية وجهودا مباركة لعلمائها في شتى ميادين العلم والمعرفة، فكانوا بذلك أسوة التزموا فيها بإكرام العلم وأهله وخدمة للدين الإسلام الخفيف.

فبعد نجاح الحركة الإصلاحية الكبرى التي قام بها العلماء في بلاد الهوسا وعلى رأسهم الشيخ عثمان بن فودي ساد الأمن والاستقرار في المنطقة وتمّ توحيد ممالك الهوسا، لتبدأ مرحلة جديدة في كنف خلافة سكوتو الإسلامية لتقود ثورة شاملة على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتجلت نتائجه على المستوى الثقافي والعلمي.

- لعلّ من أهم أسباب النهضة العلمية والفكرية لخلافة سكوتو الإسلامية استقرارها على العموم، باستثناء اضطرابها في بعض الأحيان تبعاً لما طرأ عليها من الظروف السياسية والاقتصادية وكان ظهور ملامح قوتها وشبابها أيام القادة الأوائل مثل الشيخ عثمان بن فودي والشيخ عبد الله بن فودي والسّلطان محمد بلو، ليدبّ فيها الضّعف شيئاً فشيئاً أيام الحكّام المتأخّرين بدءاً من الخليفة عمر بن علي بابا، والخليفة عبد الرحمن بن عثمان إلى نهاية هذه الخلافة وسقوطها على يد الإنجليز 1321هـ/ 1903م .

- كانت خلافة سكوتو الإسلامية في فترة البحث إسلامية العقيدة والعبادة والمعاملة، وحكّامها يحكمون بالكتاب والسنة على المذهب المالكي؛ حيث بذلوا كلّ ما بوسعهم لخدمة دينهم

وأوطانهم، وظهر ذلك في حبّهم للعلم والعلماء الذي نتج عنه كثرة العلماء والفقهاء؛ والتّجار الدّعاة الذين كانوا يأتون إليها للتّجارة والتّدرّيس.

- تباينت طبقات المجتمع في خلافة سكوتو الإسلامية، والتي ساهمت في تكوين نسيجه الكثير من القبائل بسبب الهجرات وحركة الجهاد، حيث ظهر منهم الأمراء؛ والوزراء؛ والعلماء؛ والقضاة؛ والصنّاع، والفلاحين؛ والتّجار؛ والعبيد، وبذلك أصبح سكّان خلافة سكوتو الإسلامية مزيجاً من الأعراق والأجناس انصهرت في بوتقة واحدة تحت راية الإسلام مع حفاظ هذه القبائل على عاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم ومناسباتهم واحتفالاتهم المتنوعة بما لا ينافي الأحكام الشرعية.

- أظهرت الدراسة أن حكّام خلافة سكوتو الإسلامية كانوا علماء ساهموا بدورهم في الحركة العلمية تأليفاً وتدرّيساً، وكانوا رجالاً عظاماً يهتمون بنشر الأمن بمختلف أرجاء الخلافة وثغورها وتنشيط التجارة والزراعة ووسائل العمران، ويقربون إلى بلاطهم العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم من رجالات الفكر والعلم.

- دلّت هذه الدراسة على أن الامتداد الثقافي والفكري والحضاري بين شعوب إفريقيا، خاصة بين ضفتي الصحراء الكبرى قد ولد جواً من الامتزاج الفكري والثقافي بين العلماء وكان لدعم حكّام الدولة وأمرائها ووزرائها الدافع الأقوى إلى ترغيب القادمين في الإقامة في أرض خلافة سكوتو الإسلامية، فأفادوا واستفادوا وتركوا أثراً علمية وأدبية ذات شأن منها ما يماثل الموجود ببلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والبلاد الإسلامية الأخرى.

- تبين من خلال الدّراسة أن لبلاد المغرب الإسلامي دوراً فعّالاً وريادياً في نشر الإسلام والحضارة العربية في بلاد الهوسا؛ انطلاقاً من الفاتحين الأوائل إلى التّجار؛ والدّعاة؛ والعلماء؛ والفقهاء في إطار العلاقات التي كانت قائمة بين بلاد المغرب الإسلامي؛ وبلاد السودان الغربي،

وقد كان للعلماء المغاربة دورهم البارز في نشر الإسلام، وبث عقائده الصحيحة، ومبادئه السمحة، وما زالوا على ذلك بين تدريس وتأليف ووعظ وإرشاد، حتى برز على أيديهم علماء من تلك البلاد حملوا مشعل الريادة في الحفاظ على مقومات الدين الإسلامي أمثال الشيخ عثمان بن فودي؛ والشيخ عبد الله بن فودي؛ والسُلطان محمد بلو.

- سجّل الباحث أن قدوم التجار المسلمين من بلاد المغرب ومشاركتهم بقوافلهم المحملة بمختلف السلع والمنتجات في التجارة العابرة للصحراء، واستقرار الكثير منهم مكن من توسيع العلاقات، والروابط إلى مجالات أخرى متعدّدة؛ أهمها انتشار الإسلام واللغة العربية. وأظهر سكان بلاد المغرب خاصّة التجار والعلماء والدعاة قدرات عالية في التأثير على الجماعات الإفريقية في بلاد السودان الغربي بترسيخ أسس العقيدة الإسلامية حتى تكوّنت أجيال من السكّان المحليين قاموا بدورهم في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، كما أنّ دور المرابطين هو الآخر هام في نشر الإسلام بغربي إفريقيا، لنشاطهم وحماسهم، إذ كانوا يرسلون الدعاة والعلماء بين القبائل السودانية، وبفضل حركتهم ازداد انتشار الإسلام، كما ازداد الاتصال التجاري والثقافي بالبلاد الإسلامية عامّة.

- كان للعلماء المغاربة، مثل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني فضل كبير في إنعاش الحياة السياسية، والعلمية في السودان الغربي، وبذلك تمّ تشكيل العقل العلمي في السودان الغربي على مذهب الإمام مالك الذي أصبح المرجع الفقهي الأكثر انتشاراً في هذه البلاد، وانتشرت معه كتبه، وشروحه من مختلف أقطار العالم الإسلامي.

- كشفت هذه الدراسة تنوع معارف هذه الحركة العلمية، فتناولت عدداً من نماذج روادها من العلماء، وكشفت عن معارفهم؛ وتنوع أنشطتهم، وما شغلوه من المناصب الإدارية كالوزارة؛ مثل أسرة الوزير غداد بن ليم العلمية، وهي من الأسر العلمية التي توارثت العلم ومنصب الوزارة معاً. ومن المناصب أيضاً الحسبة؛ والقضاء؛ والحجّابة؛ والكتابة والبريد، ومن المناصب

الدينية الإمامة والخطابة ومن المهام العلمية التعليم والوعظ والإرشاد، وبينت الدراسة أنّ أصحاب هذه المناصب والمهام جميعاً من الفقهاء، والمحدثين، والقضاة، والأئمة، والمؤذنين، وطلبة العلم، والأدباء.

- تميزت خلافة سكوتو الإسلامية عن غيرها بوجود حواضر علمية، عريقة مثل كانو وكاتسينا وزاريا وتألق إشعاعها الفكري على مرّ العصور، كما ظهر بها مراكز حضارية جديدة تأسست بعد قيام خلافة سكوتو الإسلامية في بلاد الهوسا مثل العاصمة سكوتو وحاضرة أدماوا وحاضرة إلورن، وكلّ منها أدّت دورها الحضاري الثقافي والفكري، وقد توافد العلماء والطلبة من مختلف الجهات إلى هذه الحواضر الثقافية والعلمية، كما تمّ تأسيس العديد من المعاهد الدينية للدراسات العربية والإسلامية في سكوتو وكانو وكاتسينا وزاريا، وغيرها.

- تمكن كثير من العلماء أن يؤسّسوا معاهد خاصة بهم، وقاموا بتعليم الناس أمور دينهم، وهكذا نشطت الحركة العلمية في خلافة سكوتو، كما نجد أنّ بعض المعاهد انفردت بتخصصاتها في تدريس علم معين من العلوم مثل معهد حارة مدابو للشيخ عمر باجوس الذي كان متخصصاً في تدريس الفقه خاصة كتاب مختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي ومعهد الحاج ناصر في علوم التفسير ومعهد ثروماوا للشيخ يوني في علوم الحديث بحاضرة كانو إلى غير ذلك من المعاهد.

- أوضحت هذه الدراسة مظاهر النشاط العلمي الكبير بالكشف عن أهم المنشآت العلمية التي ساهمت بتنشيط الحركة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية كالمساجد؛ والكتاتيب؛ والمدارس القرآنية؛ ومنازل العلماء؛ وقصور السلاطين؛ والرّباطات، والزوايا؛ وساهم في زيادة هذا النشاط رواد هذه الحركة تعليماً وتصنيفاً من علماء خلافة سكوتو الإسلامية، كما أوضحت الدراسة أنّ معلمي الصبية ومؤدبيهم من خلال تراجمها لبعضهم في هذه الفترة أهم كانوا من

الفقهاء والمحدثين الحافظين؛ مما بين أن مهمتهم في التدريس لم تكن تقتصر على تحفيظ القرآن الكريم فقط بل اتسعت دائرة تعليمهم إلى مختلف العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية وآدابها.

- أثبتت الدراسة أن للطرق الصوفية دور بارز في انتشار الإسلام، والثقافة العربية الإسلامية في خلافة سكوتو، ومن أهم هذه الطرق الطريقة القادرية؛ التي انتشرت في المنطقة، وحمل لواءها الشيخ عثمان بن فودي الذي اتصل بالسند القادري عن طريق قبائل كتنة الشهيرة، وقد ساهمت الطريقة القادرية بقسط وافر في تعليم القرآن، ونشر اللغة العربية وبث مختلف العلوم، كما كان للطريقة التيجانية أيضا مساهمة كبيرة في فتح المدارس القرآنية والمعاهد لنشر العلوم.

- أظهرت الدراسة أن الحصيلة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية بلغت شأنًا عظيمًا ومن مظاهر ذلك الإجازات العلمية التي كان يمنحها العلماء لطلابهم كعلامة تبين تمكّنهم في علم من العلوم، بالإضافة إلى النشاط الكبير للعلماء في عقد المجالس العلمية؛ كمجالس الدروس الفقية والتفسير أو مجالس الوعظ والإرشاد أو مجالس الذكر ومدارسة القرآن الكريم، كما نشطت الرحلات العلمية إلى الخارج؛ فقد رحل كثير من الطلبة والعلماء إلى بلاد المغرب ومصر، ومن مظاهر تطور الحركة العلمية كثرة الكتب والمخطوطات التي كانت تردّد على أسواقها، كما نشطت مهنة الوراقة التي ساهمت في نشر المعرفة بعملية نسخ المخطوطات في مختلف العلوم.

- عرضت هذه الدراسة مشاهير علماء خلافة سكوتو الإسلامية، الذين ساهموا في ازدهارها، كما بينت مختلف أنشطتهم ودورها في دفع عجلة هذه الحركة العلمية، ولمستوى هذه الأنشطة للتميز استحسنت ذكر بعضهم أكثر من مرة تبعا لكثرة نشاطهم خلال فصولها.

- أوضحت أن هؤلاء العلماء بعضهم قد ألمّ بالعلوم الإسلامية كالتفسير وعلوم الحديث والفقه، كالشيخ عبد الله بن فودي الذي برع في علوم كثيرة منها علوم القرآن كالتفسير وعلم

القراءات، بالإضافة إلى علوم اللغة كالصّرف والنّحو، وبعضهم اشتغل العلوم العربية وآدابها كالنحو الصرف والبلاغة حيث ألفوا كتباً كثيرة في هذا المجال بينت براعتهم وتمكنهم في هذه العلوم، خاصّة مؤلفات الشّيخ عبد الله بن فودي التي شملت هذه العلوم، كما اقتحم بعضهم العلوم الاجتماعية والإنسانية كالتاريخ وعلوم التصوف والفلسفة، ومنهم من برع في العلوم الطبية مثل السلطان محمّد بلو الذي عرف بمؤلفاته العديدة في هذا المجال، ومنهم من برع في علوم أخرى كعلم الفلك وعلم الرياضيات.

- بينت الدراسة المساهمة الكبيرة لقبيلة الفلّان في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في غرب إفريقيا وهذا يعود إلى انتشار هذه القبيلة في عدة بلدان إفريقية، كالجزائر والنيجر ومالي ونيجيريا والسنغال والسودان وتشاد. وبذلك تعتبر قبيلة الفلّان حزاماً أمنياً لشمال إفريقيا وذلك لتوجّهها الديني المبني على الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية، والطريقة القادرية.

- تميزت خلافة سكوتو الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي بالضعف مما جعل الفرصة مواتية لبريطانيا وغيرها من الدّول الأوروبية للتوغل في أراضيها والتدخل في شؤونها، أدى في الأخير إلى احتلالها وسقوطها سنة 1321هـ/1903م من طرف بريطانيا.

- لعل من أهمّ النتائج والآثار الباقية لخلافة سكوتو الإسلامية في بلاد الهوسا وامتداد تأثيراتها إلى اليوم في دولة نيجيريا الحالية تتمثل في النقاط الآتية:

○ نشر الإسلام الصحيح وترسيخ دعائمه في بلاد الهوسا، وتحويل الكثير من القبائل الوثنية إلى الإسلام؛

○ تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام مالك خاصة في شمال نيجيريا؛

○ إنتشار اللّغة العربية وعلومها بين الكثير من القبائل الإفريقية وكتابة لغاتها بالحرف العربي؛

- التّواصل العربي الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء في مختلف المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة؛
- الحفاظ على التّنوع الثقافي لخلافة سكوتو الإسلامية من خلال دولة نيجيريا الحاليّة وما تتمتع به من زخم ثقافي كبير خاصّة فيما يتمثل في الخزائن العامرة بالمخطوطات؛
- التأكيد على عمق وأصالة الحضارة العربيّة الإسلاميّة وامتزاجها بالثقافة الإفريقيّة، رغم مزاحمة الثقافة الغربيّة لها.

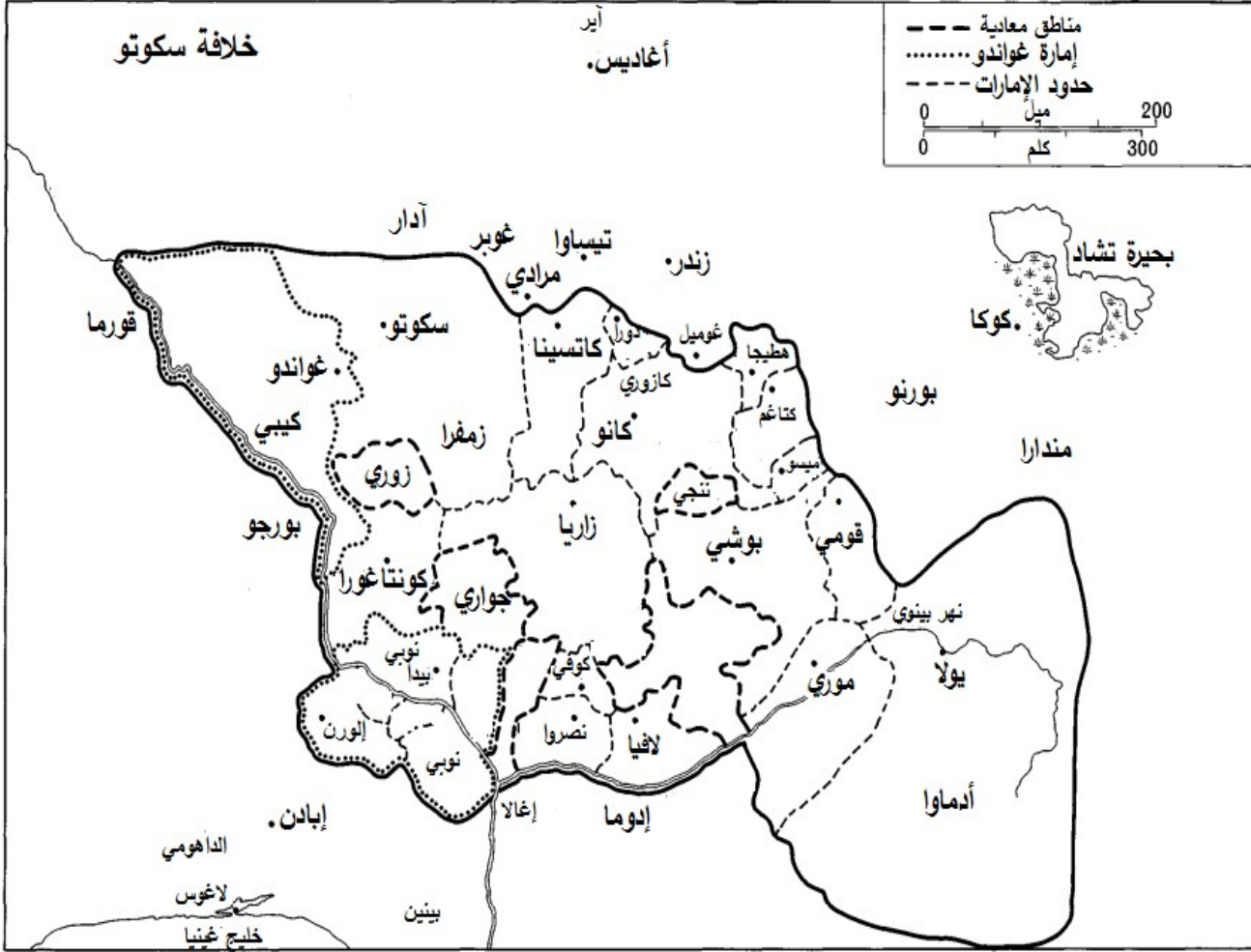
- التوصيات:

- وبناء على ما توصّلت إليه من استنتاجات، لا بأس أن نورد التوصيات الآتية:
- نوصي بتشجيع الباحثين في ميدان البحث التاريخي الأكاديمي، خاصّة المهتمين بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء إلى مزيد الاهتمام بهذا الموضوع وطرحه على بساط البحث، والتعمق في تفاصيله أكثر.
 - تشجيع الباحثين على تحقيق مخطوطات علماء خلافة سكوتو الإسلاميّة التي مست مختلف العلوم وذلك للاستفادة منها علمياً؛ وفكرياً باعتبارها تمثل التراث الإفريقي بالطابع العربي الإسلامي.
 - دعوة كل المهتمين بالتاريخ الإفريقي إلى إثراء مجال البحث في هذا التراث، ونفض الغبار عن الكثير من المخطوطات العربيّة التي تبين عمق الحضارة الإفريقيّة وأصالتها وتميزها.
 - تنظيم مؤتمرات؛ وملتقيات دورية للتعريف بمؤلفاء العلماء، ودورهم في إثراء الثقافة العربيّة الإسلاميّة، والتعريف بمؤلفاتهم في مختلف العلوم الإسلاميّة؛ والعلوم العربيّة وآدابها؛ وحتى العلوم الطبيّة.
 - التأكيد على عراقة الحضارة الإفريقيّة، وتمزاجها مع الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وتناسقها لدرح الإدعاءات، والوقوف ضدّ تزيف الحقائق التي روج لها الأوربيون بأن إفريقيا كانت تعيش الهمجية ولا حضارة لها إلاّ بعد مجيء الأوربيين لها.

- إدراج مقاييس بيداغوجية في مختلف الجامعات الجزائرية في تخصص التاريخ الإفريقي، تتم بكلّ الفترات التاريخية مع التركيز على الفترات التي ازدهرت فيها الحضارة الإفريقية في ظل انتشار الإسلام؛ واللغة العربية.
- إطلاق مشاريع بحوث أكاديمية تهم بموضوع العلاقات التاريخية بين بلدان شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء، تتطرق إلى دراسة مختلف المراحل التاريخية متناولة جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- تشجيع الباحثين ودعمهم ماديا ومعنويا؛ وتفعيل فرق البحث في مخابر البحث التاريخي بإقامة الأيام الدراسية، والندوات والمحاضرات وإصدار المجلات لنشر البحوث؛ والسلاسل البحثية التاريخية.
- فتح فرص لدورات ميدانية لتحقيق المخطوطات وكيفية التعامل معها، حتى يتسنى للباحثين إثراء بحوثهم عند الإطلاع على هذه المخطوطات فيسهل قراءتها؛ والتعامل معها، وذلك لتخطي عقبة صعوبة قراءة المخطوط.
- فتح مجال تعلم اللغات الإفريقية كالهوساوية؛ والفلاندية؛ والكانورية؛ واليورباوية؛ وغيرها مما يسمح لنا بشكل كبير الإطلاع على التراث المكتوب بالحرف العربي، والمدون بهذه اللغات الإفريقية.
- عرض وإلقاء محاضرات من طرف أساتذة، وباحثين مختصين في التاريخ الإفريقي بتقنية التعليم عن بعد في إطار الشراكة والتوأمة؛ والتبادل المعرفي بين مختلف الجامعات الإفريقية.
- تلکم هي أهم التوصيات، وتُعد هذه الدراسة بداية لدراسات مستقبلية؛ نتمنى أن نكون قد وضعنا أحد لبناتها الأساسية ونترك ما تبقى منها إلى الباحثين المهتمين، والطلاب الراغبين في البحث في الدراسات الإفريقية، خاصة وأن موضوع هذه الدراسة يشغل حيزاً جغرافياً كبيراً من نيجيريا الحالية، التي تشكل حزاماً أمنياً لشمال إفريقيا والجزائر بصفة خاصة، لهذا علينا أن نقوي الروابط لأهميتها سياسياً واقتصادياً وثقافياً.

الملاحق

الملحق رقم: 01 خريطة توضح إمارات خلافة سوكوتو الإسلامية في بلاد الهوسا

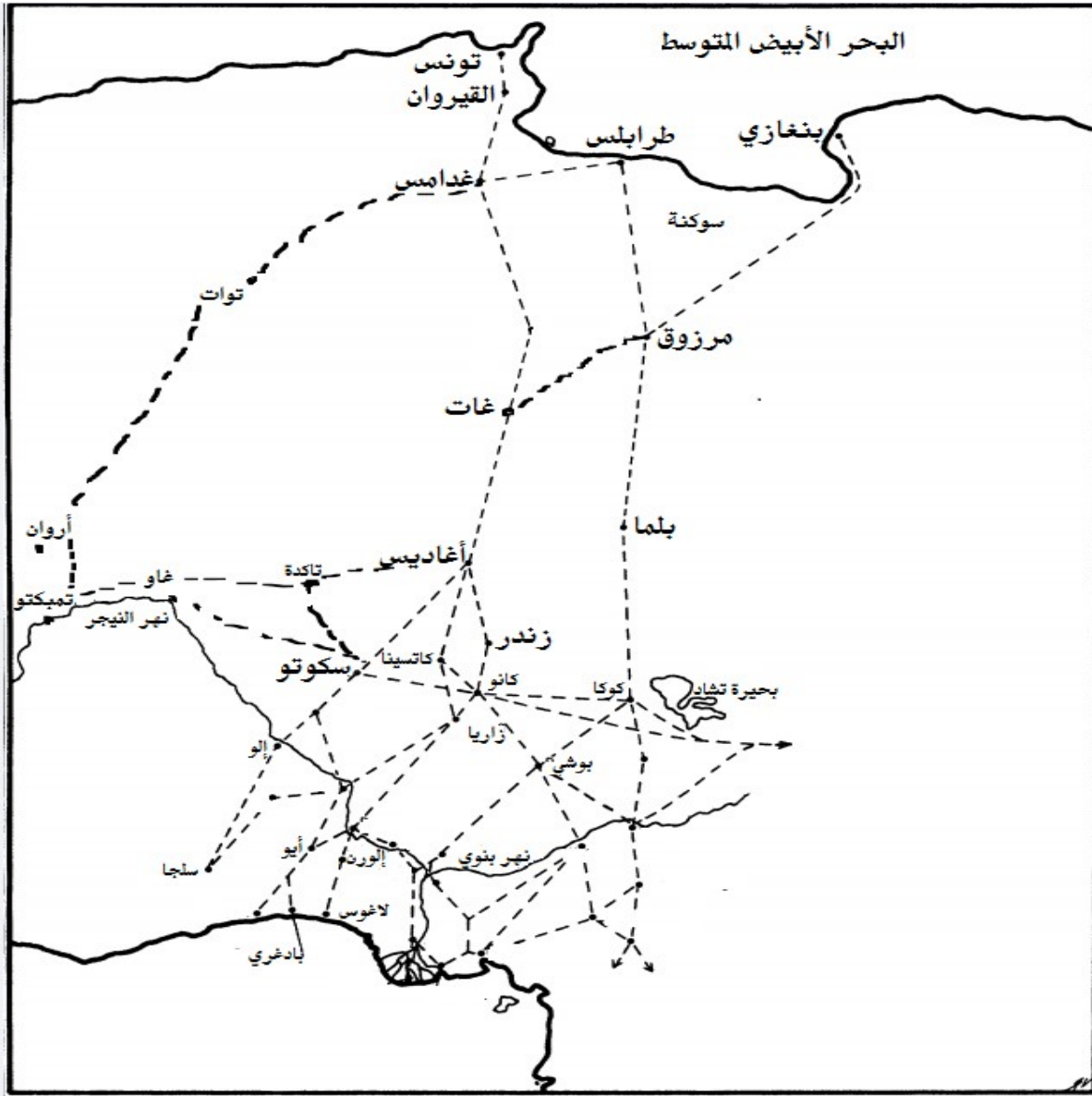


(ترجمة الخريطة من طرف الطالب)

المصدر:

Joseph smaldone, Warfare In The Sokoto Caliphate, Cambridge University Press, London, 1977, p55.

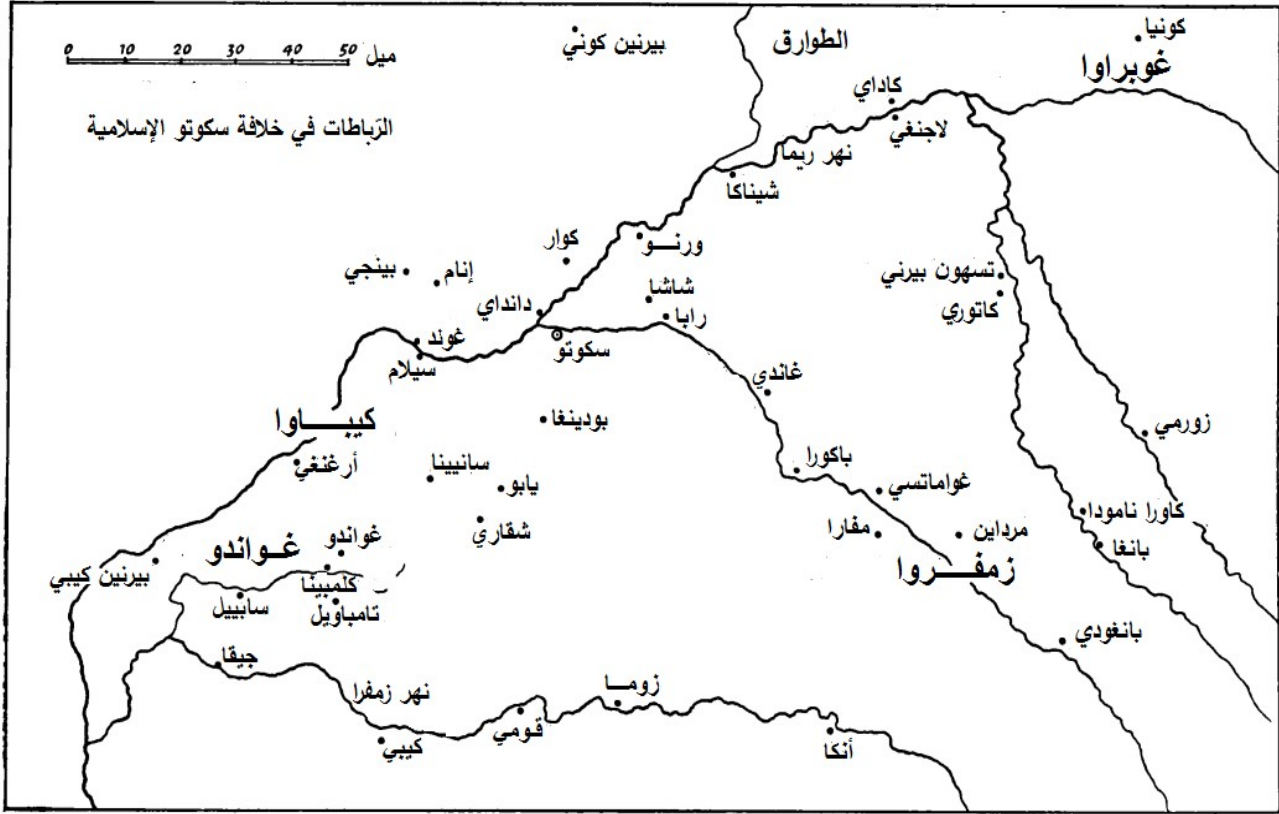
الملحق رقم: 02 خريطة تثبت الطرق التجارية بين شمال إفريقيا وخلافة سوكوتو الاسلامية (بلاد الهوسا)



David C. Tambo, The Sokoto Caliphate Slave Trade in the Nineteenth Century, The International Journal of African Historical Studies, Vol. 9, No. 2 Boston University African Studies Center, 1976, p188.

بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب العربي الكبير، ط 3، تر الهادي أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988، ص 390.

الملحق رقم: 03 خريطة توضح أهم الرباطات في خلافة سكتو الإسلامية

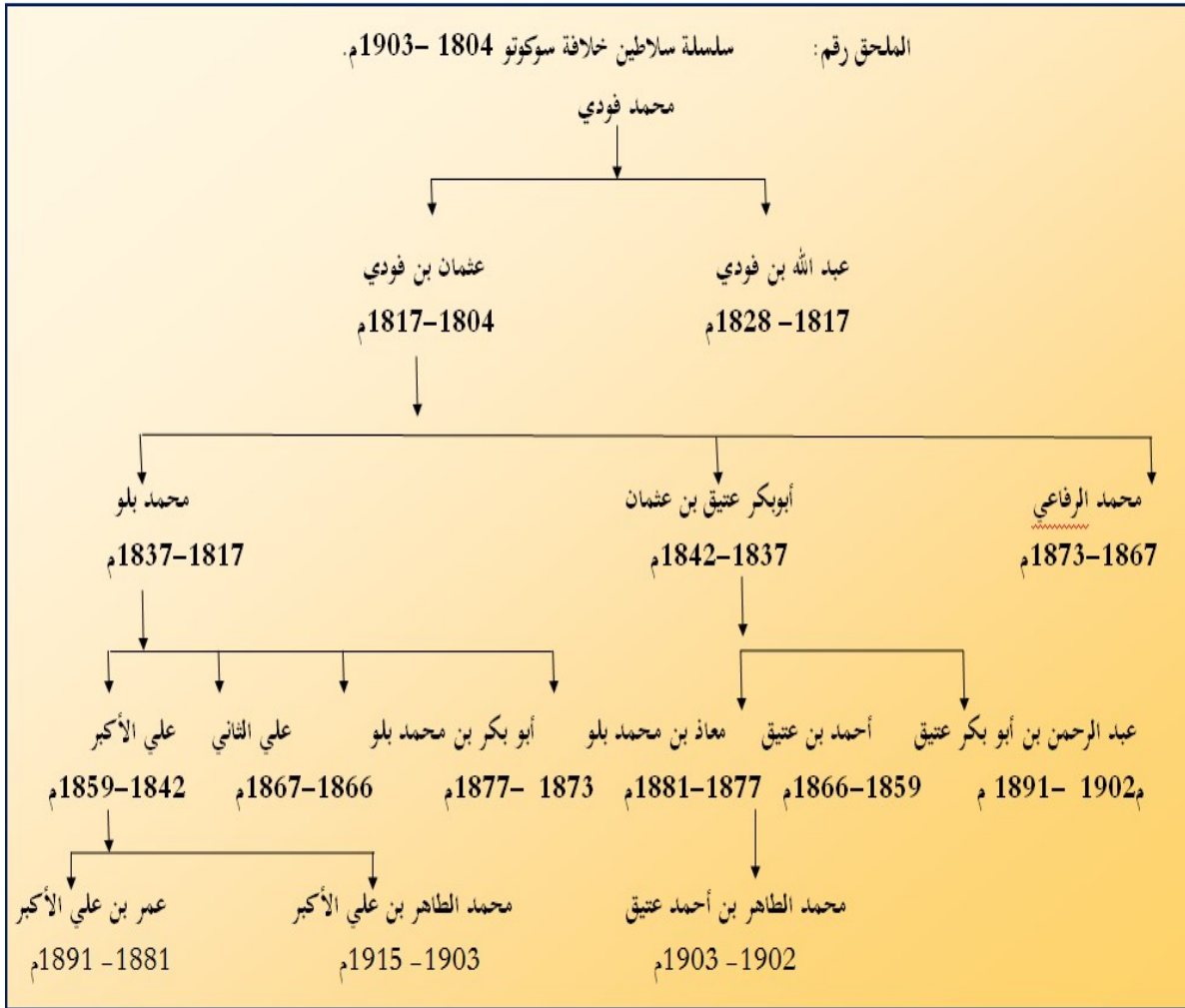


(ترجمة الخريطة من طرف الطالب)

المصدر:

Murray Lat, The Sokoto caliphate. Ibadan History Series, Longmans, London, 1967, p76.

الملحق رقم: 04 سلسلة حكام خلافة سكوتو الإسلامية.

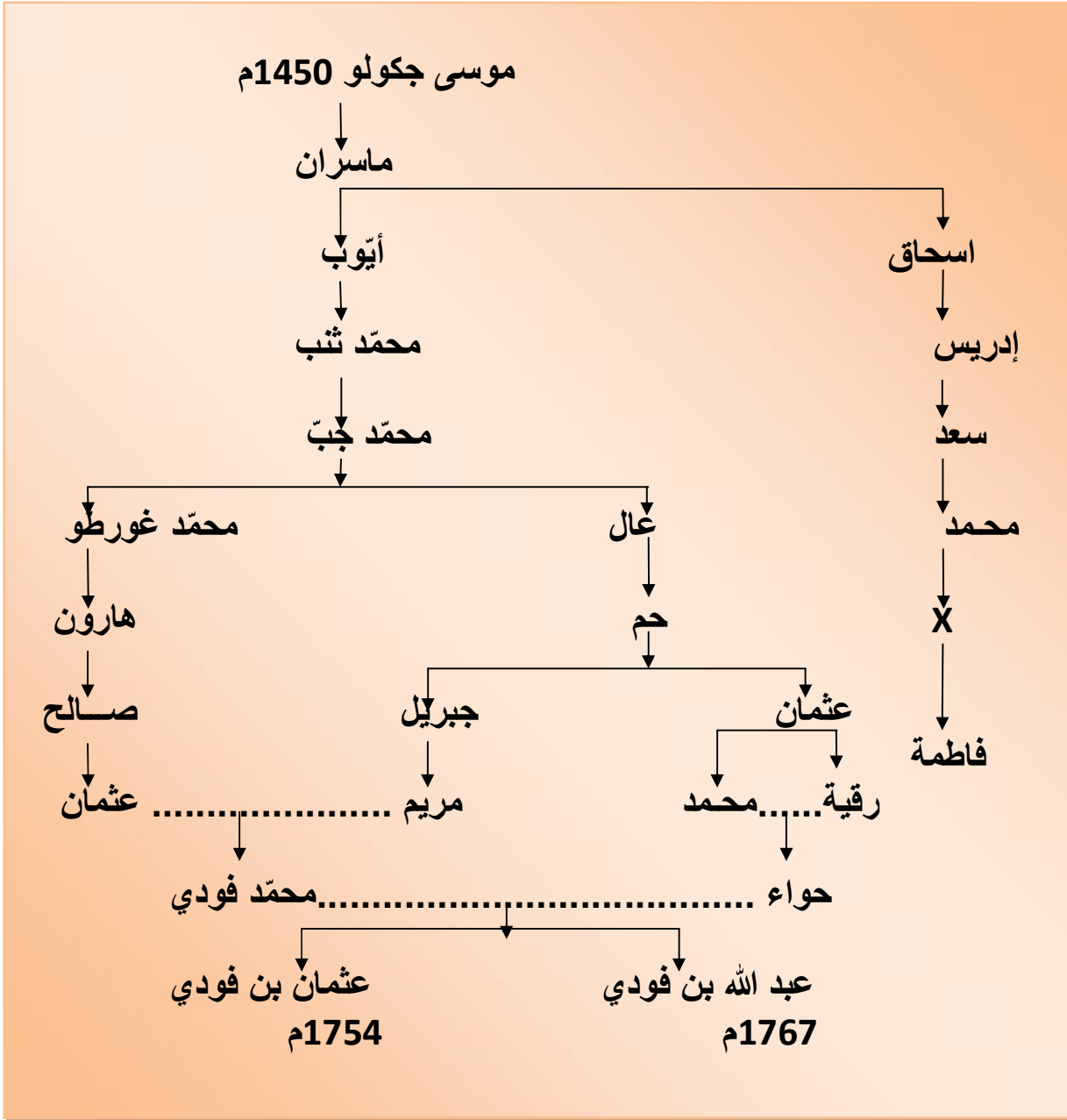


المصدر:

- S J Hogben, The Muhammadan Emirates Of Nigeria, Oxford University Press, London, 1930, p119.

شجرة عائلة الشيخ عثمان بن فودي.

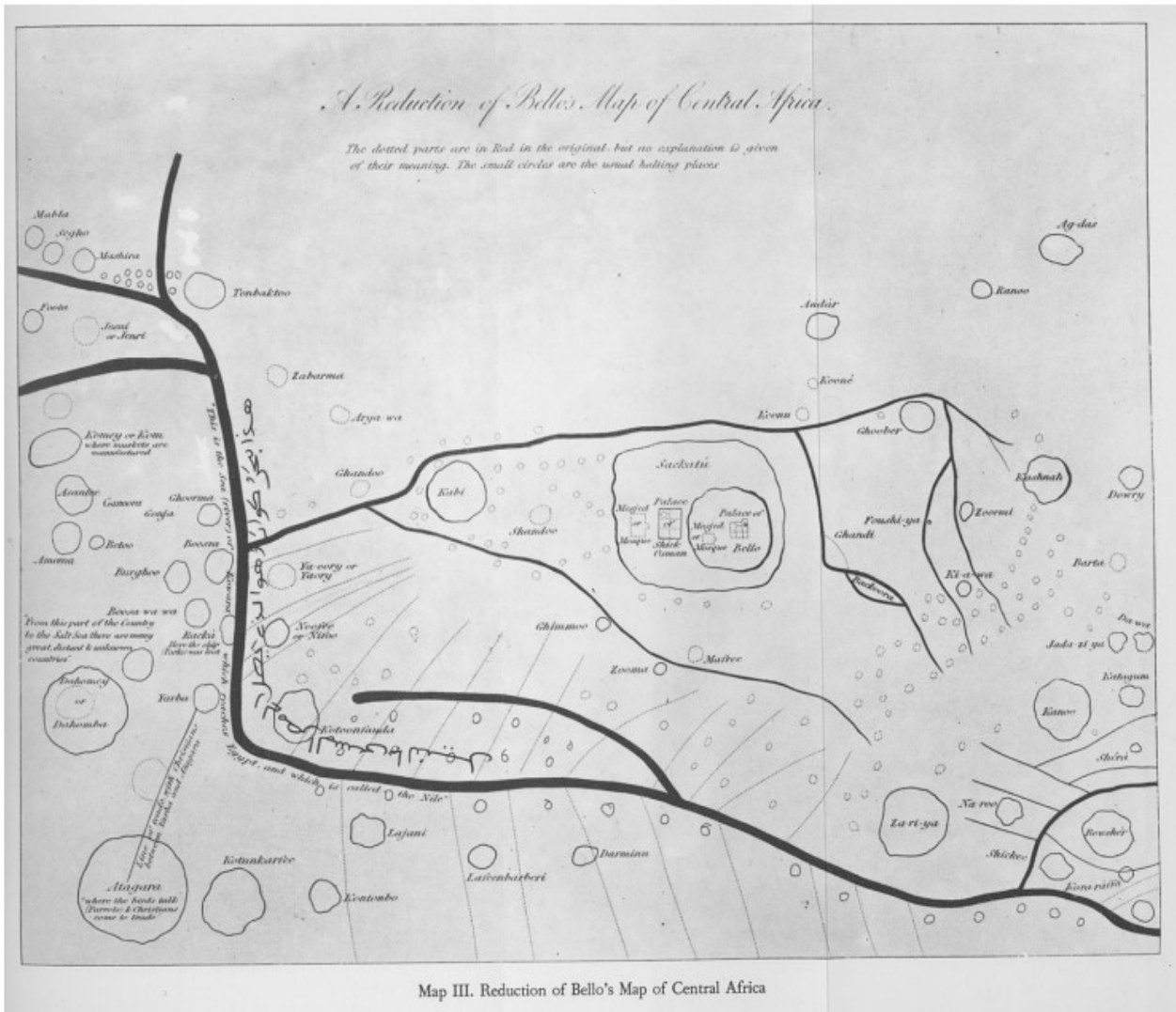
الملحق رقم: 05



المصدر :

Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Edited With A Translation A Introductory Study Of The Author's Life And Times, Ibadan University Press, 1963 , p5.

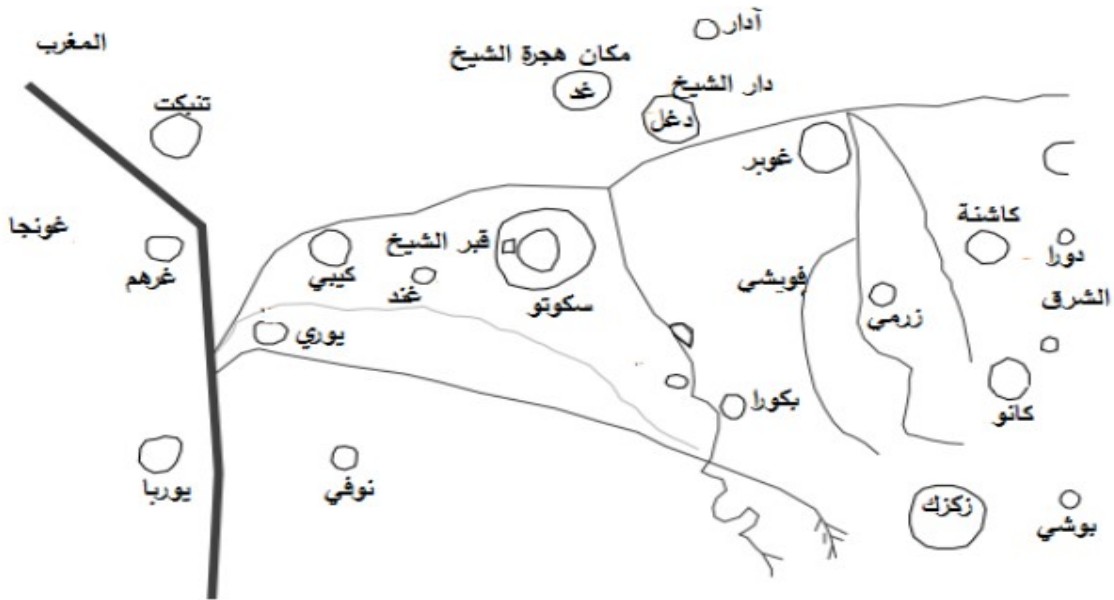
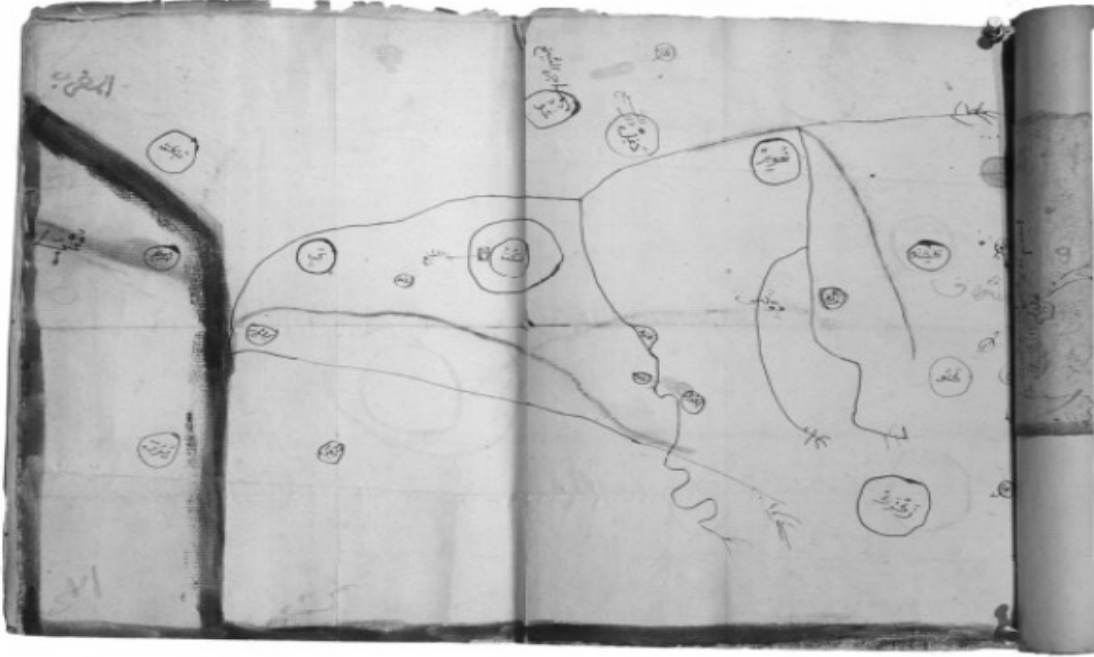
الملحق رقم: 06 خريطة توضح جغرافية خلافة سوكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا) من رسم السلطان محمد مد بلو



المصدر:

Camille Lefebvre , Frontières De Sable, Frontières De Papier, Histoire De Territoires Et De Frontières, Du Jihad De Sokoto A La Colonisation Française Du Niger, Xixe-Xxe Siècles, Bibliothèque historique des pays d'Islam, Sorbonne, 2015, p 116.

الملحق رقم: 07 خريطة جغرافية لمعالم خلافة سكوتو الإسلامية من رسم المعلم موسى



المصدر:

Camille Lefebvre , Op.cit, p 117.

الملحق رقم: 09 رسالة يوسف باشا القرماني للسلطان محمد بلو

وصلت اليه في اسبوعين وانا في اسبوعين وانا في اسبوعين
 المعراج الامم او السان الاصحى مع فاع الخليفة الرشيد والامام
 الامام حبيب الله تارة العاجلة والتمثال النظام يتبعوه الفضل السدي
 لا تنضب موارد وطول الصدر الذي لا يذم في وارده الامام السدي
 انفسه وبنده وعمله في جميع الافراط حتى صاروا ضحاك وضحوح
 الشمس على راحة النهار العاجلة في ريشة السيف والظلم وتضلع
 بالعلوم المعرفولة والمنقولة وطوارقها مجرد علم الذي جاز
 في الرياسة والبلاغة على جميع الاغراض مما عمل السماع
 المساطار بلو صاحب ولاية السودان اذ اعاد الدولة ورجوعه
 واخبر في ايات الاحزاب بنوده ومنه وحده امير اما بعد السماع
 يسابو التسليم وسجارت برفرة ان جاسه التسليم يهدو لا يطم
 مع الرحمة والهداية في حالت السكون والهداية ما تهاب المسلول
 وتظهر الهداية والاسم ان نامر اهل حاكم وطالبه في بكم تحييا
 انه في قلب الكرم من الورد اما لا يظن رجاء الهجاء والدمج انهم

العالى يقضى اجتماع الروا حوار شاعرت الاجساد هذا انه
 الملك ما اعز حوايطه والحزب الذي خطا بكم المنسب
 عرض جارك بكم وسواعه في بكم فتلفينا بالقبول والاع عندنا
 في احوال السيرة النظرية لذالككم بشرية واعظم ما اشتقينا
 منه برقاءة انتم الفرح منة النجم الحزينة البار والعباد الميخول
 اللذان ارسلتم لنا حجة الاحل العتيق وصهر طم الفايده ما بلقونا
 طماذ طم كثر الذي غير طم وشكر معيكم والواصل السماع
 المذكور ويندفة ذات جصبتير وزرع غدار طار واجده
 فيها جصبتير يلقو طم على وجه البر طم وانتم على اسم حال وانتم
 منو الذي شمر وانتم على العجبة الطاملة والعودة الشاملة لانحوا
 عن ذلك الحال اذ امت الايام والليلم والله مطلع على ما
 في السراير وما تحجب للضاهر وما تخرض لكم حاجته في هكل
 الجباب عرفنا بها نفضوها بحول الله وقوته وامتم ودامت
 لكم النيرات والسعادة الوفات بمرمة صاحب العجزات صل الله
 عليه وسلم وعاد الله واخاه الكهات علاه امضى وما تهودات والسلع
 وكتب عن اهل اسبوعين اللواتي صاحب واليه نظر بلو القرماني عن يوسف باشا
 فرمانه

المصدر:

- A. D. H. Bivar, Arabic Documents of Northern Nigeria, B. S. O. A. S, University of London, Vol. 22, No. 1/3 (1959), pp. 344-349.

نص الرسالة: وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المقام الأسماء، والملاذ الأحمى، مقام الخليفة الأرشد، والهمام الأسعد، ذي المآثر الباهرة، والخلال الظاهرة، ينبوع الفضل الذي لا تنضب موارده، وكوثر العدل الذي لا يظمأ وارده، الإمام الذي انتشر فضله وعدله في جميع الأقطار، حتى صار واضحاً كوضوح الشمس في رابعة النهار، الحائز رتبتي السيف والقلم، وتضلع العلوم المعقولة والمنقولة فكان فيها مفرد علم الذي فاق في الرياسة والبلاغة على جميع الأقران، محبنا على السماع السلطان بيلو صاحب ولاية السودان، أدام الله دولته ووجوده، وأخفق في رايات العزّ جنوده، منه وكرمه آمين.

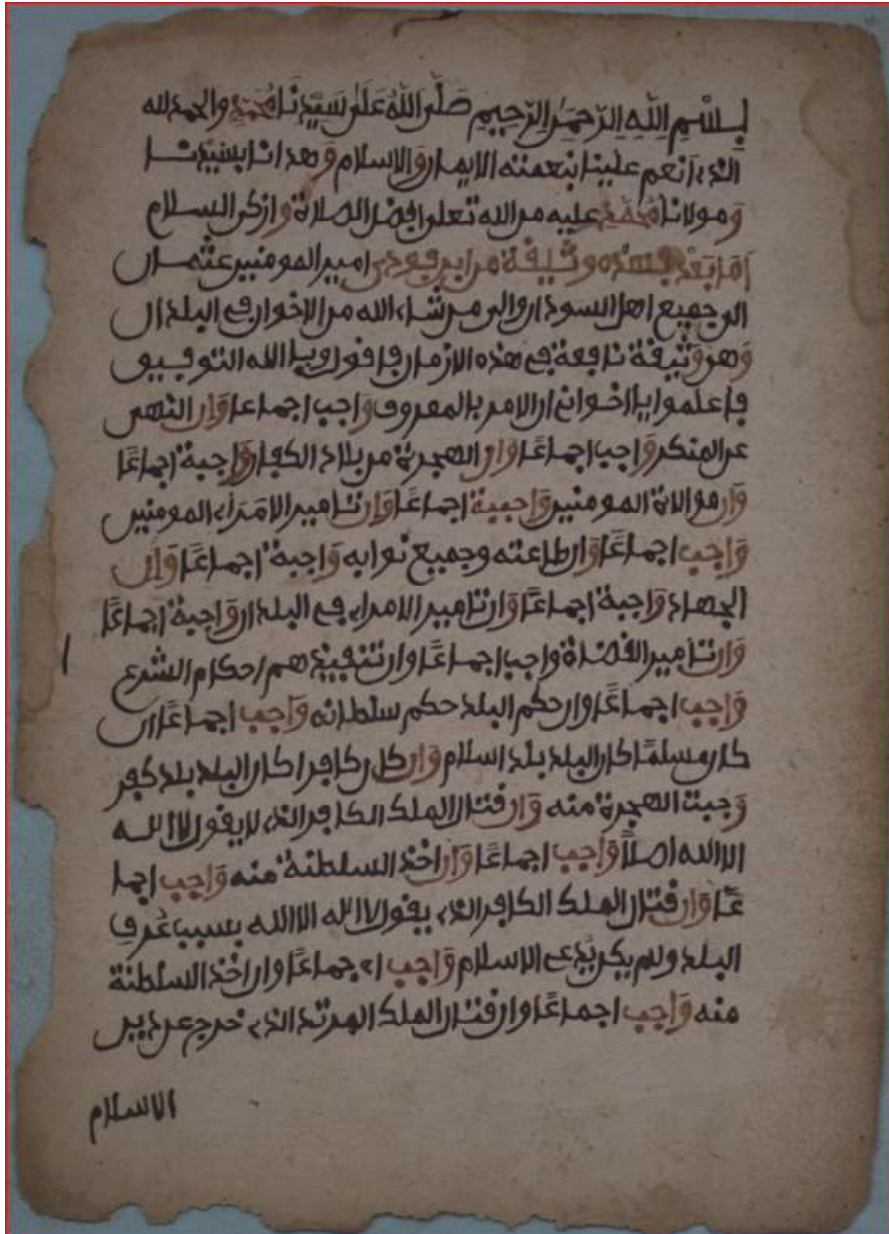
أما بعد سلام يسابق النسيم ويجارى برقة أنفاسه التسنيم، يهدى إليكم مع الرحمة والبركة، في حالي السكون والحركة، ما تعاقب الملوان، وتكرر الجديدان، لاسيما أننا من أهل حبكم، وطالبي قربكم، بمحيثما انه في قلبنا من الوداد ما لا يكدر صفاه البعاد، والله سبحانه وتعالى يقضى باجتماع الأرواح وان تباعدت الأجساد.

هذا وأنه اتصل بنا الأعز جوابك، والعذب اللذيذ خطابك، المنبي عن صفاء حبكم وبواعث قربكم، فتلقيناه بالقبول وأقام عندنا قيام الرؤية النظرية، لذاتكم البشرية، وأعظم ما استفدنا منه بقاء ذات الكريمة النجار، العزيزة الجار، والعبدان الميغناوان اللذان أرسلتم لنا صحبة الأجل المحترم صهركم القائد مادي بلغونا كما ذكرتم كثر الله خيرك شكر سعيك والواصل إلينا مع المذكور بندقية ذات جعبتين وزرج غدارى كل واحده فيها جعبتين يبلغوك على وجه البركة وأنه على أسر حال، وأنم منوال، ونحن وانتم على المحبة الكاملة، والمودة الشاملة، لا نحولوا عن ذلك المحال، ما دامت الأيام والليالي، والله مطلع على ما في السرائر، وما نخفيه الضمائر.

وما تعرض ل من حاجة في هذا الجنب عرفنا مها نقضوها بجول الله و قوته ودمه و دامت لك الخيرات، والسعادة الأوقات، بجرمة صاحب المعجزات، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الكمات، عدد ما مضى وما هو آت. والسلام، وكتب عن إذن أمير اللواء صاحب ولاية طرابلس الغرب عبده يوسف باشا قرمانلي.

المصدر: - A. D. H. Bivar, Arabic Documents of Northern Nigeria, B. S. O. A. S, University of London, Vol. 22, No. 1/3 (1959), pp. 344-349.

الملحق رقم: 10 الورقة رقم واحد من مخطوط وثيقة أهل السودان لعثمان بن فودي



المصدر: الأرشيف الوطني كادونا، المادة: 4، المرجع 23 L/AR:

الملحق رقم: 11. قصيدة التوحيد باللغة الفلانية للشيخ عثمان بن فودي



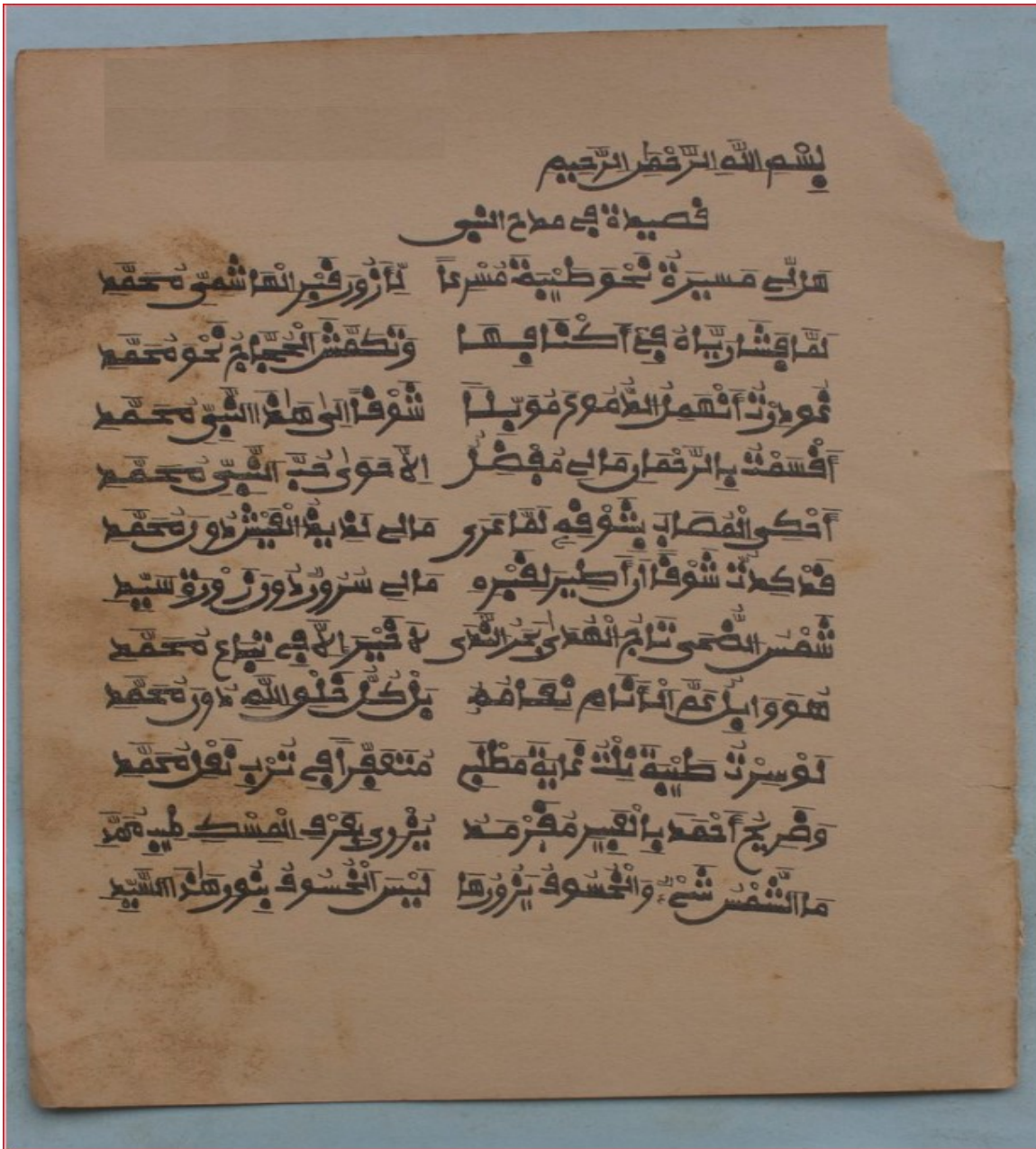
المصدر :

عثمان بن فودي، مخطوط قصيدة والله والأرشيف الوطني كادونا للمخطوطات العربية.

نقلا من الموقع الالكتروني:

http://eap.bl.uk/database/overview_item.a4d?catId=231890;r=28253

الملحق رقم: 12 قصيدة الدالية في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم للشيخ عثمان بن فودي



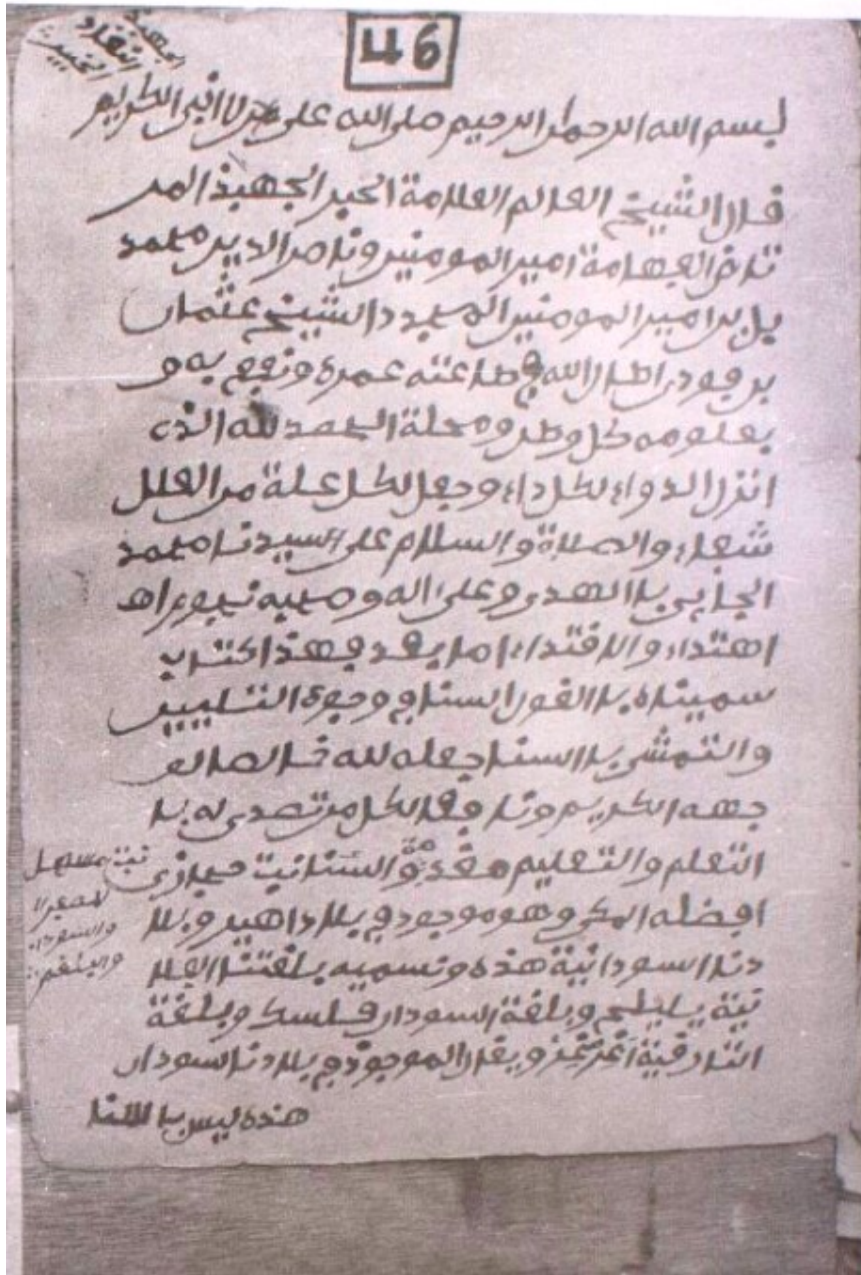
المصدر : عثمان بن فودي، مخطوط قصيدة الدالية، المادة 7، المرجع O/AR19 الأرشيف الوطني كادونا للمخطوطات العربية. نقلا من الموقع الالكتروني:

http://eap.bl.uk/database/overview_item.a4d?catId=160857;r=3557

نص قصيدة الدالية في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم للشيخ عثمان بن فودي

هَلْ لِي مُسَيِّرٌ نَحْوِ طَيِّبَةٍ مُسْرِعًا لِأَزُورُ قَبْرَ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدًا
لَمَّا فَشَّاهَا رِيَاءَهُ فِي أَكْنَافِهَا وَتَكَمَّشَ الْحُجَّاجَ نَحْوَ مُحَمَّدٍ
غَرَدَتْ مِنْهَا هَلِ الدُّمُوعِ مُؤْبَلًا شَوْقًا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ مُحَمَّدًا
أَقْسَمْتُ بِالرَّحْمَنِ مَا لِي مُفَضَّلًا إِلَّا حَوَى حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا
أَحْكِي الْمَصَابَ بِشَوْقِهِ لَمَّا عَرَى مَا لِي سُرُورٍ دُونَ زُورَةِ سَيِّدِ
قَدْ كُنْتُ شَوْقًا أَنْ أَطِيرَ لِقَبْرِهِ مَا لِي لَدَيْدُ الْعَيْشِ دُونَ مُحَمَّدٍ
شَمْسَ الضُّحَى تَاجَ الْهَدْيِ بِحُرِّ النَّدِيِّ لَا خَيْرٌ إِلَّا فِي اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ
هُوَ وَابِلٌ عَمِّ الْأَنَامِ نِعَامَةً بَلْ كُلَّ خَلْقِ اللَّهِ دُونَ مُحَمَّدٍ
لَوْ سَرْتُ طَيِّبَةً نُلْتُ غَايَةَ مَطْلَبِي مُتَعَفِّرًا فِي تَرْبِ نَعْلِ مُحَمَّدٍ
وَضَرِيحُ أَحْمَدَ بِالْعَبِيرِ مَغْرَمَد يَزْرِي بِعُرْفِ الْمَسْكَ طَيْبِ مُحَمَّدٍ
مَا الشَّمْسُ شَيْءٌ وَالْحُسُوفُ يَزُورُهَا لَيْسَ الْحُسُوفُ بِنُورِ هَذَا السَّيِّدِ

ملحق رقم 13 مخطوط القول بالسنا في وجوب التمشي في السنا للسلطان محمد بن بلو



المصدر:

محمد بن بلو، القول بالسنا في وجوب التمشي في السنا، مخطوط الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، المادة رقم

70، المرجع رقم 1 / AR .P

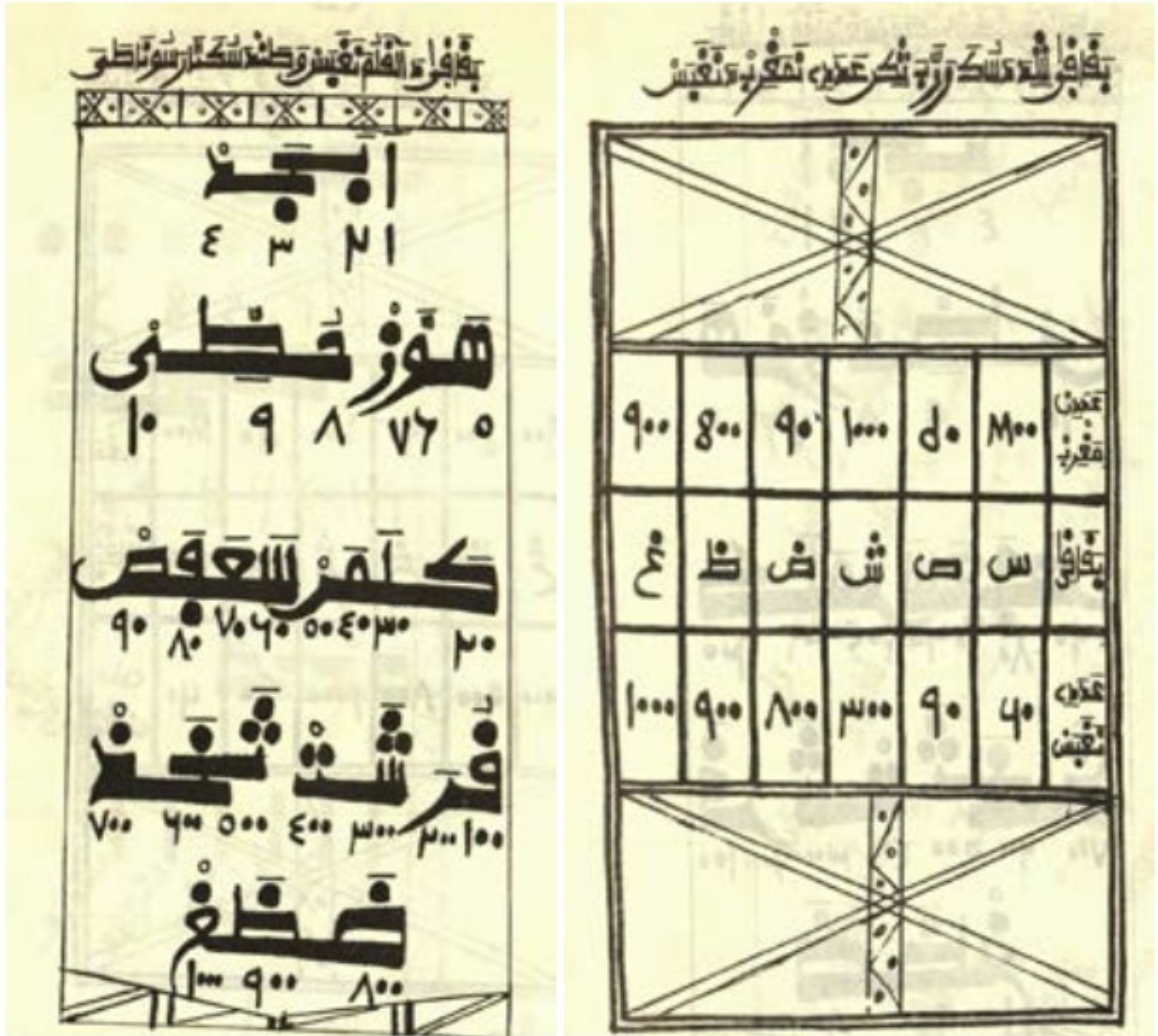
الملحق رقم 14 صفة الأرض وكيفية دوران فلك القمر



المصدر:

Musa Salih Muhammad, Science And Mathematics In The Arabic Manuscripts Of Nigerian Repositories: An Analysis Ofmagic Squarefrom The Collections Of Arewa House, Ahmadu Bello University, Kaduna Nigeria, p20.

الملحق رقم 15 الأرقام والحساب في بلاد الهوسا



المصدر:

Musa Salih Muhammad, Op.cit , p17.

الملحق رقم: 16

قصيدة في سند الشيخ عثمان بن فودي وعبد الله بن فودي في قراءتهما لصحيح البخاري :

لِللّهِ وَالصَّالِحِينَ فِي ذِي الْمَجْدِ	يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ الْحَمْدِ
أَحَبَّ رَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ رَاجٍ	أَيَّ عَمَّنَا خُلَاصَةَ الْحُجَّاجِ
وَالشَّيْخَ عُثْمَانَ عَلَيْهِ الْقَارِي	الْجَامِعَ الصَّحِيحَ لِلْبُخَارِيِّ
الْعَالَمِ السَّنَدِيِّ حَافِظَ السَّنَنِ	عَنْ شَيْخِهِ بِطَيْبَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ
عَنْ ابْنِ سَالِمٍ عَنِ الثَّقَاتِ	عَنْ شَيْخِهِ مُحَمَّدَ حَيَاةِ
عَنْ سَالِمِ أَبِي النَّجَّاسِ السَّنْهَوْرِيِّ	مُحَمَّدَ الْبَابِلِيِّ الْمَصْرِيِّ
عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ بِمَا عَنْ أَحْمَدَ عَنْ	عَنْ شَيْخِهِ الْقَيْطِيِّ أَيَّ مُحَمَّدَ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ التَّنُوحِيُّ عَنْ	ابْنِ عَلِيِّ حَجَرِ الشُّبُوحِ
عَبْدِ الْأَوَّلِ عَنِ السَّادِ	عَنْ أَحْمَدَ الْحُجَّازِ عَنْ زَيْدِ
عَنِ الْبُخَارِيِّ الْعَظِيمِ الْأَمْرِ	عَنِ السَّرْحَسِيِّ عَنِ الْفَرَبْرِيِّ

المصدر :

Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Edited With A Translation A Introductory Study Of The Author's Life And Times, Ibadan University Press, 1963, P38.

الملحق رقم: 17 رسالة السلطان محمد بلو إلى الحرمين الشريفين

الحمد لله ذي الجلال والإكرام لمنته علينا بنعمة الإيمان والإسلام وبيانه لنا معالم الحق هاديا لنا بنوره إلى الصراط المستقيم ولا نختبئ خبط عشواء في الظلام وأثني عليه في بادئ الأمر وعائده، وأشكره على وافر عطائه ورافده وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الفرد الصمد الذي ليس لنهايته أمد وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله من بختم النبوءة والرسالة انفرد صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه في كل أمد، من أمير المؤمنين محمد بل نجل الشيخ الإمام الأعظم العارف الرباني عثمان بن فودي محمد إلى حضرة أهل الله تعالى الذابيين عن سنة رسول الله ﷺ الموالين لمن والاه المعادين لمن عاداه أهل الطريقة ومعادن الشريعة والحقيقة ممن جاز عليه كتابنا وألقي إليه من أهل المشرق العالمين لأمر الله تعالى بالحق بأننا نقرأ عليكم السلام ونحييكم بأحسن تحية وأطيب كلام ونعلمكم بأننا مشتاقون إلى لقاءكم والانتظام بكم ونعلمكم أيضا حقيقة أمرنا فيما جرى بيننا وبين ملوك بلادنا مما عسى أن يبلغكم على غير وجهه لبعد المسافة لتكونوا منه على يقين وبصيرة وتقفوا على العين منه والصورة وما دعت إليه من ذلك الحاجة والضرورة فتعلموا رحمكم الله تعالى أنا ما حاربنا ملوك بلادنا إلا دفعا عن أنفسنا وديننا وأهلينا لما آذونا واستفزونا وطلبوا منا أن نعود إلى ما لا يجل لنا، وقد بين الشيخ المبارك عثمان بن فودي الحق فاتبعناه، فأغروا بنا سفهاءهم يؤذوننا وينهبون أموالنا ويقطعون طرقنا ونحن نجتهد في إصلاح ديننا ونشرنا ما عندنا من العلم وأرشدنا من وصل إلينا وهذا دأبنا ودأبهم، ولما رأوا أننا لا ننتهي عن ما نحن فيه ولا يزداد أمرنا إلا حسنا وابتهاجاً ولا يزال عوام الناس يدخلون في دين الله أفواجا غاظهم ذلك فأجمعوا كيدهم على نصب القتال بيننا ولا يشكون أن الدولة لهم لما يرون من ضعفنا عن القتال.

المصدر:

موسى أحمد كامره، زهور البساتين في تاريخ السّوادين، تح: نصر الدّين سعيدي، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010، ص ص 99-100.

الملحق رقم: 18 قصيدة موصوفات السودان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّفِيعِ النَّاصِرِ
صَلَاتُهُ مَعَ السَّلَامِ الدَّائِمِ
وَاللَّهِ وَصَّحْبِهِ الْأَخْيَارِ
وَبَعْدُ فَالْمَقْصُودُ بِالتَّطَامِ
فَهَذِهِ مَوْصُوفَةُ السُّودَانِ
أَحْكِي بِهَا مَا نَظَّمْتُ أَسْمَاءُ
أَرِيَمَةُ الصَّفَاتِ أُمُّ الْكُرَمَاءِ
هُنَاكَ فَاحَ طَيْبُهَا فِي التُّجَبَاءِ
تَبَرُّكَ بِهَا وَيَالِ الْمُجْدِّدِ
لَكِنَّ أُنَالَ حَلْبَةَ التَّوْفِيقِ
عَلَيْهِمَا مِنْ رَبِّمَا رِضْوَانُ
وَأَسْمَعُ بَعْدَ اللَّهِ بِالتَّرْتِيبِ
لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ نَصْرَ السُّودَانِ
نُورَ الزَّمَانِ شَرَفِ الْإِسْلَامِ
شَيْخِ الشُّيُوخِ سَيِّدِ السَّادَاتِ
إِمَامِنَا قُدُّوتَنَا الرَّبَّانِ
إِعَانَةَ السَّالِكِ وَالْمُرِيدِ
أَخْبِرْ إِلَى مَا أَنْتَ مُخْبِرٌ بِهِ
وَقَدْ بَدَأَ فِي الْأُمْرِ بِالْمَعْرُوفِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ
لَوْلَاهُ لَا الرَّافِعُ مَا مِنْ نَاصِرِ
لِسَيِّدِ الْمُجَاهِدِينَ الْحَمَاتِمِ
الْقَاهِرِينَ جُمَّلَةَ الْكُفَّارِ
حِكَايَةَ الْأَخْبَارِ بِاسْتِفْهَامِ
تَنْفَعُ مَنْ يَأْتِي مِنَ الزَّمَانِ
بِالْعَجْمِيَّةِ لَهَا إِمْسَالُ
أَنْتَ بِحُكْمِ الْوَقْتِ فِيمَا عَلِمَا
وَعَدَهَا أَهْلُ الرِّضَى فِي النَّقْبَا
وَالسُّودَا الْمُكَاشِفِ الْمَمَجِّدِ
وَنَلْتَقِي غَدًا عَلَى التَّصْدِيقِ
وَالجُودِ وَالرَّحْمَةَ وَالْإِحْسَانُ
عَلَى حِكَايَةِ مَعَ التَّهْذِيبِ
أَعَانَةَ بِالْعَارِفِ الْأَمِينِ
مُجْدِّدِ السُّودَانِ أَبِي الْكُرَامِ
مُحْيِي الْهُدَى وَصَاحِبِ الرَّايَاتِ
غَوْثِ الْعُلُومِ قُطْبِ الْعُرْفَانِ
يَقْبِهِمَا مِنْ فِتَنِ الْمُرِيدِ
مَنْ نَبَأَ الشَّيْخِ نَعَمَ وَحَزْبِهِ
يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعُتُوفِ

المصدر: عبد القادر بن المصطفى، موصوفات السودان، تح: أبو ألفا عمر بن محمد شريف بن فريد، المعهد

الإسلامي، سنار، السودان، 1991.

ثبت المصادر والمراجع

1-المخطوطات:

- الحاج عمر بن أبي بكر عثمان الكنوي ، السرحة الوريقة في علم الوثيقة، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا،المادة رقم 4، المرجع 8 M/AR.
- حياة سعيد، طب الإعانة إلى أهل المودة، مخطوط، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا،مادة رقم 70، المرجع رقم P/AR2.
- عبدالله بن فودي، طريق الصالحين، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا،مخطوط المادة رقم 17 المرجع P/RA 2.
- عبدالله بن فودي، كتاب النسب، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، رقم 1، المرجع O/AR 27.
- عثمان بن فودي، تبشير الأمة الأحمدية، مخطوط الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، رقم 2، O/R6
- عمر بن محمد البخاري، تنبيه الإخوان على أمر السودان، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا،المادة رقم 5، المرجع O/AR1 .
- غداد بن ليم، إيراد أصحاب أمير المؤمنين محمد .د بل، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا،تحت رقم: NHRS 41/6 .
- غداد بن ليم، مجموع جمعه أمير المصالح القائم بأمر النصائح، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، تحت رقم: NHRS 41/6.
- محمد بلو، القول السنا في وجوب التمشي في السنا، مخطوط الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، المادة رقم 70، المرجع رقم P / AR 1.
- محمد البخاري بن أحمد بن عثمان، ما جرى بيني وبين أمير هطيجا، مخطوط ، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا، المادة رقم 8، المرجع رقم O / AR 27.
- محمد بلو، كشف الغطاء والستر في موالاة الكافرين، الأرشيف الوطني كادونا، نيجيريا،رقم 53، المرجع P/AR2.
- محمد بن صالح، تقييد أخبار جماعة الشيخ الذين بكنو، ميكروفيلم، علي أبو بكر، برنين كيدي، جامعة إبادان، 1963.

2-الوثائق المنشورة:

- عثمان بن فودي، كتاب الفرق، مجلة دراسات إسلامية مسيحية، المعهد البابوي للدراسات العربية و الإسلامية، مطبعة دون بوسكو، ع 6، 1980.
- عثمان بن فودي، كتاب نور الألباب ، تح: إسماعيل حامت ، المجلة الإفريقية، مج، 42، 1898.
- عثمان بن فودي، المسائل المهمة التي يحتاجها أهل السودان، تح: حسين عيسى عبد الظاهر، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ع3، 1984.
- Celeste Intartaglia، Il Sirāğ Al—Iḥwān Del Muğaddid Nigeriano 'UṯMān Dan Fodio (1754–1817 A. D.), Celeste Intartaglia, Oriente Moderno, Nuova Serie, Anno 4 (65), Nr. 7/9 , 1985.
- D. H. Bivar، The Wathiqt Ahl Al-Sudan، A Manifesto Of The Fulani Jihad, Vol. 2, No. 2, J.A. H, 1961.
- G. Martin،Unbelief In The Western Sudan، 'Uthmān Dan Fodio's "Ta'līm Al-Ikhwān", Vol. 4, No. 1, Middle Eastern Studies, 1967.
- H. R .Palmer، The Kano Chronicle, The Journal Of The Royal Anthropological, Vol 38 Institute Of Great Britain And Ireland, ,1908.
- M. Hiskett An Islamic Tradition Of Reform In The Western Sudan From The Sixteenth To The Eighteenth Century, Bulletin Of The School Of Oriental And African Studies, University Of London, Vol. 25, No. 1/3 (1962),
- M. Hiskett، Material Relating To The State Of Learning Among The Fulani Before Their Jihād, Vol. 19 No. 3, B. S. O. A. S, University Of London, 1957.
- Umar Al-Nagar ،The Asānīd Of Shehu Dan Fodio، How Far Are They A Contribution To His Biography?., Vol. 13, Sudanic Africa, Sudanic Africa 1979-1987 (2002).

-Uthman Dan Fuduye، Usuul'l-Wilaayat, Edited And Translated Muhammad Shareef, Institute Of Islamic , African Studies International, Published By SANKORE, 2000 .

3-المصادر:

- القرآن الكريم برواية ورش.
- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1، ج2، تح: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987.
- ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة، تح، جمعة شيخة، الدار التونسية للنشر، 1984.
- إكوكورو أبو بكر ، أخبار القرون في من أمراء مدينة إلورن، تح: آدم عبدالله الألوري، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، 2012.
- البخاري أبي عبدالله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري، ط1، دار بن كثير، بيروت، 2002.
- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد بن عبدالله الهرامة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ، 1989.
- الحاج سعيد، تاريخ سكت، مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشر هوداس، باريس، 1966 .
- السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان، طبعة هوداس، فرنسا، ط1، 1898.
- السيوطي جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، ط1، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2008.
- السيوطي جلال الدين، الحاوي للفتاوي، ط1، تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
- الشباني عبد السلام ، من فاس إلى تمبكتو، تر: محمد عبد الغني، إرث للتشر والترجمة، 2020.
- القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.



- المغيلي محمد بن عبدالكريم: أسئلة الأسئلة وأجوبة المغيلي عليها، تقديم وتحقيق عبدالقادر زباديه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، عام 1989.
- المغيلي محمد بن عبدالكريم بن محمد، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلطين، تح: محمد خير رمضان يوسف، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر، بيروت، 1994.
- الولاقي أبو عبدالله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، ط1، تح: محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981.
- الزركلي خير الدين، الأعلام، ط15، ج7، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.
- الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، 1983.
- عبد القادر بن المصطفى، موصوفات السودان، تحقيق أبو ألفا عمر محمد الشريف بن فريد، المعهد الإسلامي للدراسات الإفريقية الدولية سنكوري، سنار، 1991.
- عبدالله بن فودي، الحصن الرصين في علم التصريف، تح: محمد صالح حسين، ط1، دار الأمة، نيجيريا، 2007.
- عبدالله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، تح: أحمد أحمد أبو السعود، عثمان الطيب، ج1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1961.
- عبدالله بن فودي، منظومة مصباح الراوي في علم الحديث، تح: محمد المنصور إبراهيم، ط2 دار العلم للطباعة والنشر، نيجيريا، 2005.
- عثمان بن فودي، إحياء السنة وإخماد البدعة، تح: أحمد عبدالله باجور، مجمع البحوث الإسلامية، ط2، 1985.
- عثمان بن فودي، أصول الولاية وشروطها، تح: عمر بلو مالم سراج، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج3، 2013.
- عثمان بن فودي، إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان، تح مالم سراج موسى ثلاث مفرا، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج3، 2013.

- عثمان بن فودي، إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان، تح: مالم سراج موسى ثلاث مفرا، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج3، 2013.
- عثمان بن فودي، أصول الدين، تح علي غواند، ثاني يوسف برنن تد، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013.
- عثمان بن فودي، أصول العدل لولاية الأمور وأهل الفضل، تح ثاني يوسف برنن تد، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.
- عثمان بن فودي، أصول العدل لولاية الأمور وأهل الفضل، تح ثاني يوسف برنن تد، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.
- عثمان بن فودي، أصول الولاية وشروطها، تح: عمر بلو مالم سراج، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج3، 2013.
- عثمان بن فودي، الأمر بموالاتة المؤمنين والتّهي عن موالاتة الكافرين، تح: ثاني يوسف برنن تد، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.
- عثمان بن فودي، الأمر بموالاتة المؤمنين والتّهي عن موالاتة الكافرين، تح: ثاني يوسف برنن تد، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.
- عثمان بن فودي، بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان نصب الإمام وإقامة الجهاد، تح: ثاني يوسف برنن تد، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج2، 2013.
- عثمان بن فودي، سوق الأمة لاتباع السنة، تح: الشيخ أبو ألفا عمر محمد شريف بن فريد، المعهد الإسلامي للدراسات الإفريقية والدولية، سنار، 2010.
- عثمان بن فودي، شفاء العليل فيما أشكل من كلام شيخ شيوخنا جبريل، تح: سليمان موسى، مختارات من مؤلفات عثمان بن فودي، دار إقرأ، غدايو، غوسو، نيجيريا، مج1، 2013.

- عثمان بن فودي، فتح البصائر لتحقيق وضع علوم البواطن والظواهر، تح سيني موموني، سالو الحسن، ليون، 2012.

- عثمان بن فودي، نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان، تقديم أحمد مصطفى أبو الخير، مركز أبحاث الوثائق والمخطوطات وتحقيق التراث، جامعة المنصورة، 1990، ص 25-26.

- كاتب وثيقة الأمير عبد القادر، النور المصون في أخبار أمراء إلورن، تح: آدم عبدالله الألوري، مكتبة وهبة للطبعة والنشر، 2012.

- كرنجال مارمول، إفريقيا، ج3، تر: محمد حجي و آخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989.

- كعت محمود التنبكي: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، دراسة وتعليق: د. آدم بمبا، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2014.

- كلابرتون، دنهام، أوديني، رحلة لاكتشاف إفريقيا، تر: عبدالله عبد البرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.

4-المصادر باللغة الأجنبية:

- Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Edited With A Translation A Introductory Study Of The Author's Life And Times, Ibadan University Press, 1963.

- Baillaud Emile, Sur les routes du Soudan, Toulouse, Privat, 1902.

- Bonnefon, Louis-Edmond , Afrique politique en 1900, paris HENRI Charles-Lavauzelle ,Éditeur militaire.

- Donald Mackenzie, The flooding of the Sahara : an account of the proposed plan for opening Central Africa to commerce and civilization from the north-west coast ; with a description of Soudan and western Sahara, and notes of ancient manuscripts, London, 1877.

- Gidadu Ibn Muhammad Layma, Rawdat'l-Janaan, Trans : Abu Alfa Umar Muhammad Shareef, Institute Of Islamic-African Studies International, Sennar, 1995.
- Harry Alis, Nos africains, Jules Hippolyte Percher, Librairie Hachette, paris 1894.
- Hugh Clapperton, journal of a second expedition into the interior of Africa, from the Bight of Benin to Soccatoo, London : J. Murray, London, 1829.
- Monteil, Parfait-Louis, De Saint-Louis à Tripoli par le lac tchad, paris.
- Paul Marty, Études sur l'islam et les tribus du Souda, Tome 1 , Éditions Ernest Leroux , paris, 1920.
- Heinrich Barth, Travels and discoveries in North and Central Africa. Being a journal of an expedition undertaken under the auspices of H.B.M.'s government, in the years 1849-1855 New York, Harper & Brothers,1857, vol 1.

5-المراجع العربية:

- الألوري آدم عبدالله، لمحات البلور في مشاهير علماء الورد، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 2012.
- الألوري آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، دار الكتاب المصري، 2014.
- الألوري آدم عبد الله، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 1912.



- الآلوري آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، 2012.
- الآلوري آدم عبدالله، الاسلام اليوم وغدا، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 1912.
- الآلوري آدم عبدالله، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، 2012.
- السكاكر محمد بن علي بن محمد، محمد بل والدولة الصكتية في عهده 1232-1235 هـ./1817-1837م، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 2000.
- السيد مصطفى حجازي، أدب الهوسا الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2000 ...
- العراقي السر سيد أحمد، نظام الحكم في الخلافة الصكتية، ط1، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، السودان، 1983.
- العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- الفلاني عمر صالح، الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، ط3، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، 2015.
- النحوي الخليل، بلاد شنقيط، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، 1987.
- بابا يونس محمد، فهرس مخطوطات دار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا، حققه وأتم حواشيه جون هنويك، ج2، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1997.
- باري عثمان برايم، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، دار الأمين، القاهرة، 2000.
- بلعالم محمد باي، قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، دار هومة، 2004.

- بوعتروس أحمد، الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- بوعزير يحيى، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، ط خ، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- بوفيل إدورد، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب، تر: زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص 127
- جعفري أحمد أبا الصافي، المخطوطات الجزائرية وأعلامها في الخزان والمكتبات الإفريقية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015.
- حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976، ج 1.
- حوتية محمد، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة والثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، ج 1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
- رؤوف عماد عبد السلام، الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ط 1، مطبعة الإرشاد، بغداد، ج 1، 1974 .
- زبادية عبد القادر، الحضارة العربية و التأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- زبادية عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.
- زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- زناتي محمود سلام ، الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1969.
- زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ألفية السيرة النبوية المسماة نظم الدرر السنية في السير الزكية، تح: السيد محمد بن علوي المالكي الحسني، ط 1، دار المنهاج، بيروت، 2005.



- سيدي باب هارون بن الشيخ، كتاب أخبار المدون في أخبار الموريتانيين ومن جاورهم من النواحي المحيطة بهم، ج1، قدمه للطباعة باب بن هارون، 1998.
- عبد الرزاق إبراهيم عبدالله، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، القاهرة 1990.
- عبد الرزاق إبراهيم عبدالله، الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دت.
- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985.
- عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، منشورات عالم المعرفة، عدد 128، الكويت، 1988.
- عطاءالله شوقي، عبدالله عبد الرزاق، تاريخ شمال وغرب إفريقيا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2012.
- علي باري محمد فاضل، سعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
- علي خالد عبد القادر، انتشار الإسلام في إمارات الهوسا بالنيجر و نيجيريا و أثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2014، ص 68.
- علي طرخان إبراهيم، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1970.
- عمر أحمد سعيد، عبدالله بن فودي رائد الآداب والعلوم في غرب إفريقيا، دار جامعة إفريقيا للطباعة والنشر، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، 2006.
- غلادينث شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، دار المعارف، 1998.
- قداح نعيم، حضارة الإسلام و حضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

- كامره موسى أحمد، زهور البساتين في تاريخ السوادين، تح: نصر الدين سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010.
- كاني أحمد، ملامح من الجهاد في غرب إفريقيا، نشر الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987.
- لواء الدين أحمد محمد، الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.
- مجموعة مؤلفين، الإسلام والمسلمون في إفريقيا و آسيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008.
- محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ط1، عالم الكتب، 2005.
- محمود حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا القاهرة . 1963.
- مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة و الإسلام و التعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث للدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 1998.
- مؤنس حسين، الطرق الصوفية و أثرها في نشر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، د ت.
- ناجي علي بن أيوب، لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين أمس واليوم، دار الكتاب الحديث، الكويت، الكويت، د ت.
- هلال عمار، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمرات، منشورات وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، 1988.
- 6-المراجع المعرّبة:**
- أجايي. ج. ف. أ، إفريقيا في مطلع القرن التاسع عشر قضايا و توقعات، تاريخ إفريقيا العام، ج 6.
- آدامو مهدي، الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط، إشراف ج. ت. نياني، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1988، مج4.
- آدامو مهدي، الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، م 4، 1988.

- أرنولد توماس، الدّعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957.
- إيوان ميردين لويس، الحدود القصوى للإسلام في إفريقيا وآسيا، ضمن تراث الإسلام، بإشراف، شاخت وبوزوروث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1978.
- بطران عبد العزيز، الثورات الإسلامية في القرن التاسع عشر، إشراف ج.ف. آدای آجابي، تاريخ إفريقيا العام، مج6، اليونسكو، 1996.
- بلانحول كزافييه دو، تاريخ أرض الإسلام الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام، تر معاوية سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008.
- بوفيل إدورد، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي بولقمة محمّد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1988.
- ترمنجهام سبنسر، الفرق الصّوفية في الإسلام، تر: عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعية، 1994.
- فيج جي دي، تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1982.
- لاست موري، دولة الخلافة في سكوتو وبلاد بورنو، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، 1996، مج6.
- لايا. د، دول الهوسا، إشراف ب. أ. أغوث، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، مج5، 1997.
- هوبكنز أ ج، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تر: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998.
- 7-المجالات :**
- قداح نعيم، التأثير العربي الإسلامي في مجتمع إفريقيا الغربية، المعرفة، ع 14، سوريا، 1963.
- علي كلطغ ديالو، الثقافة الإسلامية في إفريقيا، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، الرباط، العدد 266، 1987.

- أحمد يوسف القرعي، الثقافة الإسلامية واللغة العربية في إفريقيا واقع و مستقبل، مجلة الفيصل، ع42، الرياض، 1980.
- أبو بكر، محمد الثاني، الأثر الحضاري والثقافي للغة العربية على لغة الهوسا نيجيريا نموذجاً، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، مج 6، ع 12، 2010، ص ص 84-85.
- الكيالي سامي، آثار لغة القرآن في لغة المسلمين العجم، اللسان العربي، المغرب، مج 7، ع1، 1970.
- مسعود بوبو، من تاريخ انتشار اللغة العربية في الآفاق، مجلة دراسات تاريخية، ع ع 63-64، جامعة دمشق، سوريا، 1998.
- عمر أحمد سعيد، جهود الشيخ عبد الله بن فودي التعليمية في نظم العلم . . .وم العربية والإسلامية، ع33، دراسات افريقية.
- أبو البشر علي ادم، الشيخ عبدالله بن فودي لمحات من آثاره العلمية، دراسات افريقية، ع24، جامعة جامعة الخرطوم العالمية، 2000.
- علي يعقوب، شيخ الإسلام في السودان الغربي جبريل بن عمر الأغدسي حياته وحركته الإصلاحية، مقالة مجلة الرابطة، ع548، الرياض، 2012.
- لطيف أونيريتي إبراهيم، عيسى ألي أبو بكر، الأدب العربي في إمارة إلورن الإسلامية في نيجيريا، الموقف الأدبي، ع508، جامعة إلورن، 2013.
- زيد بن عبد الكريم الزيد، وظيفة المسجد في المجتمع، مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع11، 1415 هـ..
- عبد الرشيد محمود مقدم، الشيخ موسى أتيري، علماء الإمارة، ترجمة نخبة من أعلام إمارة إلورن، ط1، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2015.
- عبدالله عيسى، التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا خلال القرن 16م مجلة البيان، دراسات تاريخية 24/09/2014 العدد 328 .
- عبد الرشيد محمود مقدم، الشيخ موسى أتيري، علماء الإمارة، ترجمة نخبة من أعلام إمارة إلورن، ط1، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2015.



- عمر أحمد سعيد، نظرات حول أثر الإسلام في التشكيل الثقافي في غرب إفريقيا بتركيز على الدور الحضاري لخلافة صكتو، ع 28، دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 2002.
- الأمين أبو منقا محمد، أثر الإسلام واللغة العربية وآدابها في نشأة وتطور أدب الهوسا، دراسات إفريقية، ع 11، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، 1994.
- تکر أبوبکر، دقة دلالات ألفاظ عبدالله بن فودي في كتابه سلاله المفتاح في علوم القرآن، مجلة البحوث والدراسات العلمية، مج 17، ع 2، جامعة إفريقيا العالمية الخرطوم، 2016.
- عمر احمد سعيد، نظرات حول اثر الإسلام في التشكيل الثقافي في غرب إفريقيا بتركيز على الدور الحضاري لخلافة صكتو، ع 28، دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 2002.
- الأمين أبومنقا، دور القوائد الدينية الاسلامية باللغتين والهوسوية في نجاح حركة الجهاد السكتية، ع 17، دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 1997.
- الألوري آدم عبدالله، تاريخ دخول الإسلام في افريقية الغربية المسماة بنيجيريا من مستعمرات بريطانيا، مجلة الأزهر، المجلد السابع عشر الجزء السادس، مطبعة الأزهر، 1946.
- السيد مصطفى حجازي، الإسلام و نشأة الكتابة في بلاد الهوسا، مجلة مجمع اللغة العربية، ج 61، القاهرة، 1987.

8- الرسائل الجامعية:

- إبراهيم أمامة بنت مصطفى محمد، الصلات العلمية الثقافية بين مملكتي الكانم والبرنو مع الدول الإسلامية (ق 05-12 هـ .. / 11-18م) رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: شافع راوية عبد الحميد، كلية التربية، جامعة طيبة، السعودية، 2010.
- أبو بكر علي، الثقافة العربية في نيجيريا، رسالة دكتوراه منشورة، آداب جامعة القاهرة، 1963.
- أزهر محمد حنيفة محمد، كتاب هداية الطالبين للشيخ عثمان بن فودي رحمه الله : ت 1232 هـ . 1232 هـ / 1817 م : تحقيقا وتخریجا ودراسة، رسالة ماجستير في السنة وعلم الحديث، إشراف: محمد علي بن عمر أبو بكر، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2008.



- السيد سلمى عمر، تحقيق كتاب تنبيه الراقد على ما يتعور الحج من المفاصد للشيخ محمد بلو بن عثمان، إشراف: عمر عبد الرزاق النقر، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الخرطوم، 1992.
- أمادو علي، أبو بكر، واقع التعليم الإسلامي في النيجر مع تصور مقترح لتطويره، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه إشراف خالد بن حامد الحازم، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، السعودية، 2014 .
- بلو محمد، الغيث الويل في سيرة الإمام العدل، تح: عمر بلو، أطروحة دكتوراه فلسفة، المدرسة الشرقية للدراسات الشرقية، لندن، 1983.
- سايبو دجيبو، الدور الحضاري لشعب لهوسا في الفضاء النيجيري من القرن الرابع عشر الميلادي إلى بداية الاستعمار الأوربي، إشراف، نجم الدين الهنتاني، رسالة دكتوراه، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2008 .
- عبد الخالق نيفين فؤاد ، عصر الخليفة محمد بلو في شمال نيجيريا 1817-1837م، اطروحة دكتوراه، إشراف عبدالله عبد الرزاق إبراهيم، جامعة القاهرة، 1999.
- عطية عومار، حركة الشيخ الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية جذورها وتأثيراتها على غرب إفريقيا 1168-1233هـ/1804-1903م، مذكرة ماجستير، إشراف محمد حوتية، جامعة غرداية، 2016.
- محمد عبد الصمد عبدالله: الشعر العربي في غرب إفريقيا منذ الاستعمار السنغال ونيجيريا، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية.
- معاذ إبراهيم يوسف، ملامح تطور الشعر العربي في ولاية كشنه (نيجيريا)، عرض ودراسة لنماذج مختارة من قصائد علماء ولاية كشنه 2008 - 1987م، إشراف الأمين، محمد الحسن علي مذكرة ماجستير، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان، 2010.

- مكّي عبد الرحمن علي، مؤسسات التعليم العربي الإسلامي في شمال نيجيريا 1200-1400 هـ .. ، رسالة ماجستير، إشراف: الفاتح أحمد عبد السلام، معهد الدراسات الإفريقية والأسبوية، جامعة الخرطوم، ، 1987.
- نمادي محمد تاسع، منهج عبدالله بن فودي في التفسير، إشراف د: محمد عبد التواب، أطروحة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، 2004.
- نور الدين موسى محمد، عبدالله بن فودي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن ، دراسة عن مجهوداته الجبارة خلال تفاسيره الثلاثة، - ضياء التأويل في معاني التنزيل، - كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، - نيل السؤل من تفاسير الرسول، إشراف: وراق أحمد محمد عبد الرحمن رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2002.
- يعقوب محمد الأمين عيسى، جهود علماء نيجيريا في خدمة السنة النبوية، أطروحة دكتوراه، إشراف أبو حماد زياد عواد عبد الرحمن، جامعة العلوم الإسلامية العلمية، الأردن، 2017.

9-الموسوعات و المعاجم والأطالس:

- الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، ط1، مكتبة، النور، طرابلس، 1968.
- شلبي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط 7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج6، 1986.
- يسري عبد الغني عبدالله، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، ط1، دار الكتب العملية، بيروت، 1991.
- سليم عبابنة، معجم اعلام الطب في التاريخ العربي الاسلامي، دار البيروني للنشر والتوزيع، عمان، 2012.
- كحالة عمر رضا ، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج9، 1957.

10-البحوث والمؤتمرات باللغة العربية:

- إبراهيم دياب أحمد، اللغة العربية في اللغات الإفريقية الخلفية التاريخية، الملتقى العربي الإفريقي حول العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى ، السنغال، 1984 .



- أبوبكر محمد مي، أثر اللّغة العربية في شعوب شمالي نيجيريا دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار، المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، دبي، 7-10 ماي 2014.
- أيبكن موسى عبد السلام، محمد علي جامع، أثر القرن الكريم في الشعر العربي النيجيري، مؤتمر اللغة العربية، أبو ظبي، 2014.
- إسماعيل رفاعي الحاج، دور المخطوطات العربية الإسلامية لقادة الخلافة الصكتية، في إثراء اللغة العربية في نيجيريا، مقالة مقدمة إلى المؤتمر الدولي للغة العربية الثاني، دبي، 2013.
- البيلي عثمان سيد احمد إسماعيل، ملاحظات وخواطر حول الحياة الفكرية في الخلافة العثمانية الصكتية، الندوة العالمية في ذكرى الشيخ عثمان بن فودي، الجامعة العلمية، الخرطوم، 1995.
- الثقافي عثمان عبد السلام محمد، خليل الله محمد عثمان بودوفو، دور إمارة إلورن النيجيرية في استثمار اللغة العربية، المؤتمر الدولي الثالث: (دبي) 7-10 ماي 2014.
- الشاذلي بهيجة، دور زعماء الإصلاح الأفارقة (ق19) في إثراء الثقافة العربية الإسلامية نموذج عثمان بن فودي، المؤتمر الدولي الاسلام في افريقيا، الكتاب الخامس، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 26-27 نوفمبر 2006.
- الشيخ البشير عبدالله، التربية في المسجد والكتاب (الخلوة)، ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، السعودية، 1980.
- الطاهر محمد داود، المدارس القرآنية في نيجيريا نشأتها نظامها وأفاق المستقبل، جامعة إفريقيا العالمية، المؤتمر العالمي للقرآن الكريم، السودان، 2011.
- بما آدم، حركة تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى لغات غرب إفريقيا الكبرى دراسة تاريخية تحليلية، المؤتمر العالمي للقرآن الكريم، السودان، 2011.
- سيلا الحاج، دور اللغة العربية في العلاقات الإفريقية العربية، الملتقى العربي الإفريقي حول العلاقات بين اللّغة العربية واللّغات الإفريقية الأخرى، السنغال، 1984.

- عبدالله محمّد جامع، من أعلام الأدب العربي التّيجيري المعاصر، إسهامات الشّيخ عبدالله بن فودي في فودي في تطوير اللّغة العربية وآدابها قسم الدّراسات العربية والإسلامية، جامعة ولاية كوغبي.
- فاروق إمام محمّد، تدريس اللّغة العربية والعلوم الإسلامية في المدارس الابتدائية والثانوية في شمال نيجيريا، ترجمة خير الدين جيرة، الخرطوم ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا المحور 02 غرب إفريقيا: مركز البحوث والترجمة، جامعة إفريقيا العالمية، 1988.

11-المراجع باللّغة الأجنبية:

- A. Babs Fafunwa, , J. U. Aisiku, Education in Africa : a comparative survey, G. Allen & Unwin, Boston ,London , 1982.
- Abdul-Rasheed Na'Allah, Yoruba Oral Tradition in Islamic Nigeria, Routledge, New York, 2020.
- Albert Ozigi et Lawrence Ocho, Education in Northern Nigeria, London, 1981.
- Amuel Crowther and John Christopher Taylor, The Gospel on the Banks of the Niger ,London, 1859, reprinted London, 1968.
- Centre Régional De Documentaion Pour La Tradition Orale Niamey, Traditions Historiques De Katsinaawaa Après La Jihad, Issaka Dankoussou.
- Fage J., An Introduction to the History of Africa , Cambridge, London, 1961.
- Jean Boyd, Beverly Mack, Collected Works of Nana Asma'u: Daughter of Usman 'dan Fodiyo 1793-1864, Michigan State University Press, 1997.
- Jean Boyd: Distance Learning from Purdah in Nineteenth-Century Northern Nigeria: The Work of Asma'u Fodiyo, Journal of African Cultural Studies, Vol. 14, No. 1, Islamic Religious Poetry in Africa, 2001.

-
-
- John .E .Flint, Nigeria and Ghana, Englewood Cliffs, N.J., Prentice-Hall, 1966.
 - Joseph Smaldone, Warfare In The Sokoto Caliphate, Cambridge University Press, London, 1977.
 - M. G. Smith, Government in Kano 1350-1950, West view Press.
 - M.G.Smith, Government In Zazzau 1950-1800, International African Institute, Oxford University Press, London, 1960.
 - Ralph A Austen ,Trans-Saharan Africa in World History ,Oxford University Press, New York, 2010.
 - S J Hogben, The Muhammadan Emirates Of Nigeria, Oxford University Press, London, 1930.
 - Umar faruk adamu, medicine in the qua'an and sunnah, safari books ltd, Ibadan, 2012.
 - J. S. Trimingham, Islam in West Afric, Oxford, 1959.
 - Isma'ila A Tsigia , Islam and History of learning in Katsina, Kembim press –LTD, Ibadan, 1997.
 - A. Babs Fafunwa, History of Education in Nigeria Edition1, Routledge, London, 1974.
 - A. Babs Fafunwa, History of Education in Nigeria Edition1, Routledge, London, 1974, p63.
 - A. S. Thakur and A.N. Ezenne, A short history of education in Nigeria, De Ayo publication, Ibadan, 1980.
 - Beverly Mack , Nana Asma'u's Instruction And Poetry For Present-Day American Muslimahs, History In Africa, Vol. 38 , African Studies Association, 2011.
 - Bonnefon, Louis-Edmond : Afrique Politique En1900, Paris Henri Charles-Lavauzelle ,Éditeur Militaire.
 - Camille Lefebvre, Frontières De Sable, Frontières De Papier Histoire De Territoires Et De Frontières, Du Jihad De Sokoto A La Colonisation Française Du Niger, Xixe-Xxe Siècle, Sorbonne, 2015.

-Claire Hirshfield , The Diplomacy Of Partition· Britain, France And The Creation Of Nigeria, 1890-1898, Studies In Contemporary History, Number 2, Martinus Nijhof, Boston.

Jean Boyd and Beverly Mack, Educating Muslim women the West African legacy of Nana Asma'u (1791-1864).

- J. F. A. Ajayi, History of West Africa, vol. 2, Longman, England, 1984, .

-John O. Hunwick, Arabic Literature of Africa, The writings of central Sudanic Africa, Vol.2.

- Metz Helen Chapin, Nigeria: a country study, Washington, 1992.

-Murray Last, The Sokoto caliphate. Ibadan History Series, Longmans, London, 1967.

-Murray Last· The Sokoto caliphate. Ibadan History Series, Longmans, London, 1967.

-NADEL, S. F., A Black Byzantium, London, Oxford University, Press, 1942.

-Pierre Kalck, Historical dictionary of the Central African Republic, Lanham (Md.) Scarecrow Press 2005.

-R.Olufemi Ekundare, An Economic History of Nigeria, 1860 - 1960, Methuen & Co Ltd, London, 1973.

-Roland Oliver Anthony Atmore Medieval Africa, 1250 -1800 Cambridge University Press 2001.

-Temple, Olive Susan Miranda Macleod, Notes on the tribes, provinces, emirates and states of the northern provinces of Nigeria, C.M.S. Bookshop, Lagos, Nigeria 1922.

-Titus Burckhardt, Art Of Islam, Language And Meaning, World Wisdom, 2009.

12-المجلات الأجنبية:

- Abba Idris Adam: Re-Inventing Islamic Civilization In The Sudanic Belt: The Role Of Sheikh Usman Dan Fodio, Volume 4, No. 6, Journal Of Modern Education Review, Usa, 2014.
- H. F. C. Smith, Source Material For The History Of The Western Sudan, J.H.S.N, Vol. 1, No. 3 , Historical Society Of Nigeria, 1958.
- Paul E. Lovejoy, Plantations In The Economy Of The Sokoto Caliphate, J A H, Vol. 19, No. 3 Cambridge University Press ,1978.
- W. Hodder, Some Comments On The Origins Of Traditional Markets In Africa South Of The Sahara, Transactions Of The Institute Of British Geographers, No. 36, 1965.
- A. D. H. Bivar, Arabic Documents Of Northern Nigeria, B. S. O. A. S, University Of London, Vol. 22, No. 1/3 (1959).
- Abubakre, Razaq D. Reichmuth, Stefan, Arabic Writing Between Global And Local Culture: Scholars And Poets In Yorubaland Southwestern Nigeria, Research In African Literatures, Vol. 28, No. 3, Indiana University Press, 1997.
- Ann O'hear , Political And Commercial Clientage In Nineteenth-Century Ilorin, African Economic History, No. 15, University Of Wisconsin Press, 1986.
- Jean Boyd: Distance Learning from Purdah in Nineteenth-Century Northern Nigeria: The Work of Asma'u Fodiyo, Journal of African Cultural Studies, Vol. 14, No. 1, Islamic Religious Poetry in Africa, 2001.

-
-
- John O Hunwick, A Supplement To Infāq Al-Maysūr: The Biographical Notes Of ‘Abd Al-Qādir B Al-MuṢṬafā, Sudanic Africa, Vol. 7 , 1996.
 - H. F. C. Smith, Nineteenth-Century Arabic Archives Of West Africa , J.A.H, Vol. 3, No. 2, Third Conference On African History And Archaeology: School Of Oriental And African Studies, Cambridge University Press, University Of London, 1962.
 - Mukhtar Umar Bunza, Arabic Medicinal Manuscripts Of Pre-Colonial Northern Nigeria: A Descriptive List, Annual Review Of Islam In Africa .Issue No 11, 2012.
 - Nikki Merritt, Nana Asma'u, Her Elegies And The Possibility Of 'Insider Alternatives', African Languages And Cultures, Vol. 7, No. 2, Taylor & Francis, Ltd, 1994.
 - Percy A. Clive, Notes On A Journey To Pali And Mamaidi, In The Kingdom Of Bauchi, The Geographical Journal, Vol. 14, No. 2 , The Royal Geographical Society 1899.
 - W. E. N. Kensdale, Field Notes On The Arabic Literatures Of The Western Sudan: Muhammadu Bello, J. R. A. S. , No. 1/2, Cambridge University Press, 1958.
 - H. R. Palmer: History Of Katsina, Vol. 26, No. 103, J.R.A.S, Oxford University Press, 1927.
 - M. Hiskett, The Arab Star-Calendar And Planetary System In Hausa Verse, Bulletin Of The School Of Oriental And African Studies, University Of London, Vol 30, No. 1, Fiftieth Anniversary Volume ,1967.
 - S. A. Balogun, Succession Tradition In Gwandu History, 1817-1918, J.H.S.N, Vol. 7, No. 1, Historical Society Of Nigeria.

- Sa'ad Abubakar, The Emirate-Type Of Government In The Sokoto Caliphate, Vol. 7, No. 2, J.H.S.N, 1974.
- W. E. N. Kensdale, Field Notes On The Arabic Literature Of The Western Sudan: Shehu Usumanu dan Fodio, J. R.A.S, No. 3/4, Cambridge University Press, 1955 .
- W. E. N. Kensdale, Field Notes On The Arabic Literatures Of The Western Sudan: Muhammadu Bello, J. R. A. S. , No. 3/4, Cambridge University Press, 1955.
- W. E. N. Kensdale, Field Notes On The Arabic Literatures Of The Western Sudan: Shehu Usumanu dan Fodio, J. R. A. S. , No. 1/2, Cambridge University Press, 1956.
- Paul E. Lovejoy, Les Empires Djihadistes De l'Ouest Africain Aux XVIII^e – XIX^e Siècles, Cahiers D'histoire. Revue D'histoire Critique, N° 128, 2015.

-

13- الأبحاث و المؤتمرات باللغة الأجنبية:

- Mukhtar Umar Bunza , The Sokoto Caliphate After 200 Years : A Reflection, Being A Paper Presented At The Ulam'conference On The Bieentenary Commemoration Of The Sokoto Caliphate Helde At Attahiru Bafarawa Institute For Qur'an And General Studies, Sokoto, 23-24 July 2004.
- Murray LAST, The Book In The Sokoto Caliphate, Dans Shamil Jeppie, Souleymane Bachir Diagne, The Meanings Of Timbuktu, Cape Town, Codesria, 2008.
- Mohammed Abu Mohammed Imam, The Supremacy Of The Malikite Trend In Africa, South Of The Desert, Under The Sovereignty Of Islamic Kingdoms The International Conference

Islam In Africa , 26-27 Nov 2006, 9th Book, International University Of Africa.

-Salisu Bala, The Significance Of Astronomy In The Ancient Arabic Manuscripts Of Northern Nigeria And Their Preservation, Arewa House Center For Historical Documentation And Research, Kaduna, 2006.

- Slahi Abdul Azim, Shehu Uthman Dan Fodio And His Economic Ideas, Mpra, No 40916,29, August,2012.

14-المذكرات والأطروحات باللغات الأجنبية:

- Abdal-Aziz Abdallah Batran, Sidi Al-Mukhtar 'Al-Kunti And The Recrudescence Of Islam In The Western Sahara And The Middle Niger C. 1750-1811, Ph. D. Thesis Submitted To The University Of Birmingham, Centre Of West African Studies, 1971.

- Ahmed Mohammed Kani, The Life And Works Of Abd Alk.Adir B. Al-Mustafa A Critical Edition Of His Works And Historiographical Approach, A Thesis In Partial Fulfilment Of The Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy In History, Department Of History, Faculty Of Arts And Social Sciences, Ahmadu Bello University, Zaria, 1987.

- Ahmed Mohammed Kani, The Life And Works Of Cabd Al-Q.Adir B. Al-Mustafa A Critical Edition Of His Works And Historiographical Approach, A Thesis For The Degree Of Doctor Of Philosophy In History, Department Of History, Faculty Of Arts And Social Sciences, Ahmadu Bello University, Zaria, 1987.

- Hassan Ibrahim Gwarzo, The Life And Teachings Of Al-Maghili With Particular Reference To The Sahara Jewish Community, T.D. PH, Arabic And Islamic Studies, London,1972.

-
-
- Ismail Hussein Abdalla, Islamic Medicine And Its Influence On Traditional Hausa Practitioners In Northern Nigeria, University Of Wisconsin--Madison, 1981.
 - John E. Philips, "Ribats In The Sokoto Caliphate: Selected Studies, 1804-1903" Ph.D. Dissertation University Of California, 1992.
 - Mohammed Sani Zahradeen, Abdullahi B. Fudio's Contribution Of The Fulani Jihad In Nineteenth Century Hausaland, Institute Of Islamic Studies ,Mcgill University Montreal,Canada ,1976.
 - Nasiru Ibrahim Dantiye, A Study Of The Origins, Status And Defensive Role Of Four Kano Frontier Strongholds (Ribats) In The Emirate Period (1809 - 1903), Submitted To The Faculty Of The Graduate School In Partial Fulfillment Of The Requirements Of The Degree Doctor Of Philosophy In The Department Of History, Indiana University, 1985.
 - Omar Bello,The Political Thought Of Muhammad Bello (1781-1837) As Revealed In His Arabic Writings) More Especially Al-Ghayth Al-Wabl Fl Sirat Al-Imam Al_Adl , Thesis Submitted For The Degree Of Ph.D, School Of Oriental And African Studies In The University Of London,1983.
 - Sambo Wali Junaidu, The Sakkwato Legacy Of Arabic Scholarship In Verse Between 1800-1890, Thesis Submitted For The Degree Of Phd In The University Of London School Of Oriental And African Studies, 1985.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهر الأماكن والبلدان

فهرس القبائل والشعوب

فهرس المحتويات

فهارس الأعلام

أ

- إبراهيم بتوري الأغداسي , 40, 39, 50, 52, الأستاذ ماجي إسحاق 96 ,
 53, 54, 56 أسماء بنت عثمان بن فودي 8, 60, 79, 80 ,
 إبراهيم مدابو 139 , 77, 203, 202, 239, 215, 233
 ابنأبي زيد القيرواني 98 , آغال 20 ,
 ابن الصباغ الكشناوي 87 , أفنجا 120, 121, 122 ,
 ابن بطوطة 131 , الإمام الفلاني بيسانى 86 ,
 ابن خلدون 23, 182 , الإمام الملوي أبو بكر 86 ,
 ابن عثمان بن يحيى البكري 103 , الإمام الهوساوي عبد المؤمن 87 ,
 أبي حمزة الأزدي الأندلسي 179 , الإمام مالك 174, 161 ,
 أبي محمد محمود 239 , الإمام متاشي 121 ,
 ابي محمد بن عبدالله بن جبريل بن محمد 97 , الأمير إبراهيم بن يعقوب 119, 118 ,
 أحمد الرفاعي 86, 22, 191 , أميرزرو محمد كوسو 107 ,
 أحمد بابا التمبكتي 83 , الأمير زكزن ربوا 106 ,
 أحمدباه 143 , الأمير عبد الرحمن 111, 162 ,
 أحمد بن سعد بن محمد الأمين 176, 187 , الأمير عبد السلام 21, 20 ,
 193 الأمير عثمان بن ابراهيم 118 ,
 أحمد بن عبد الله الزواوي 128 , الأمير علي بابا 21 ,
 أحمد بن محمد الأمين 172 , الأمير مايمونغا 118 ,
 أحمد بن محمد المقرئ 167 ,

أحمد بن سعيد 160 ,

الأمير يعقوب بن داد 160 ,

أبو زيد عبد الرحمن الأخضر 241 ,

أبوبكر بوبي 124 ,

ب

باوجن غوزو 136 ,

ج

جبريل بن عمر 56, 155, 151 ,

جلال الدين بن الوالي عبد الرحمن الكبوي 177 ,

جلال الدين السيوطي 84, 225 ,

خ

الخليفة أحمد الرفاعي 190 ,

الخليفة علي بابا 88, 141 ,

الخليفة عبد الرحمن 33, 22 ,

خليل بن إسحاق 13 ,

ح

الحاج أسقيا محمد الأول 95 ,

الحاج سعد 213, 115 ,

س

سسبط المارديني 70, 243 ,

سيدنا وهيب الأموي 219 ,

ش

- الشيخ مودي 200
 الشيخ المختار الكبير 219 ,
 الشيخ حمّد ساني 97 ,
 الشيخ إبراهيم الخليل 71 ,
 الشيخ أحمد التجاني 98 ,
 الشيخ الحاج محمّد بن راج بن مودب 179 ,
 الشيخ تيم الزنفرى 71 ,
 الشيخ حسين طنّاب 86 ,
 الشيخ سليمان جيحي 124 ,
 الشيخ عثمان بن إسحاق 86 ,
 الشيخ عمر الفلاقي 72 ,
 الشيخ عمر بن مختار 97 ,
 الشيخ قمر الدين 76 ,
 الشيخ كاسو 176 ,
 الشيخ محمّد مود 114 ,
 الشيخ مود مامار 86 ,
 الشيخ هارون بن جبريل 106 ,
 الشيخ يعقوب 85 ,
 الشيخ إبراهيم نظفي الكري 97 ,
 الشيخ ابناي بكر كورو 125 ,
 الشيخ عبد الله بن فودي , 173, 174, 177 ,
 181, 182, 186, 191, 195, 198,
 199
 الشيخ عبد الله بن محمّد بن صالح الكنوي 221 ,
 الشيخ عمر بن محمّد البخاري 233 ,
 الشيخ عمر بن مختار 169 ,
 الشيخ غواني مختار 85 ,
 الشيخ محمّد التاكني النفوي 124 ,
 الشيخ محمّد السنسي 121 ,
 الشيخ محمّد بن الصبّاغ بن محمّد الكشناوي ,
 160
 الشيخ محمّد بيفوري الفلاني 124
 الشيخ محمّد توكور 233 ,
 الشيخ محمّد راجي بن علي بن أبي بكر 243 ,
 الشيخ محمّد غيغظ 103 ,
 الشيخ محمّد ينبو 121 ,
 الشيخ مصطفى الملقب بمالم تفا 112 ,
 الشيخ معاذ بن تراكن بوثي علي 215 ,
 الشيخ موسى أتيري 125, 123 ,
 الشيخ موسى البرنوي الأبيجي 121 ,
 الشيخ والي عمر 106 ,

- الشيخ أبو بكر الفلاني (بوبي) 124 ,
 الشيخ أبو بكر بن الأرض البيضاء 194 ,
 الشيخ أبو بكر بوس 124 ,
 الشيخ أحمد بن عثمان بن البنالجدالي 241 ,
 الشيخ الحاج محمد العافية 220 ,
 الشيخ ألفانوح ابن الطاهر الفولاني 219 ,
 الشيخ بوصيري بن بدر الدين 125 ,
 الشيخ راجي بن صاحب الرما 194 ,
 الشيخ يوسف الإهامي 241 ,
 الشيخ "كسكو غمبراوا 104 ,
 الشيخ شئت أبو حجي 194 ,
 الشيخ ظاهر بن إبراهيم هارون بن مالي الفلاني ,
 241
 الشيخ عالم 121, 122, 123 ,
 الشيخ عبد القادر أفنو 124 ,
 الشيخ سعد بن محمد الثالث 123 ,

ط

الطاهر بن إبراهيم الملقب بخيرم 169 ,

ظ

الظاهر سيف الدين برقوق 156 ,

ع

- عبد الرحمن السيوطي 98 ,
 عبد الرحمن بن أبو بكر عتيق 22, 33 ,
 عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري 232 ,
 عبد الرحمن بن محمد 152 ,
 عبد القادر بن الوزير محمد البخاري 171 ,
 عبد القادر بن مصطفى 112, 113 ,
 عبد القادر بن مصطفى 212, 213, 215 ,
 عثمان بن إسحاق التوردي الصكتي 19 ,
 عثمان بن فودي 157, 159, 163, 164 ,
 19, 24, 36, 37, 38, 91 60, 62,
 63, 64, 61, 66, 67, 68, 69, 70, 81,
 84, 90, 72, 75, 77, 78, 79, 128,
 136, 137, 143, 155 ,
 علي بن عبد الله بن فودي 215 ,

عبد الله بن سالم الفلاني الكشناوي 183 , علي بجاغل 177 ,
 عبد الله بن فودي , 63, 70, 71, 72, 69 , علي بن السلطان محمد بلو 170 ,
 74, 73, 87, 86 عمر الوالي بن أحمد الفلاني الزكزي 207 ,
 عبد الله سيكا , 40,41, 42, 43, 44, 45 , عمر بن أحمد بن محمد البخاري 190 ,
 46, 48, 55, عمر بن سعيد الفوتي 7 ,
 عبد الله بن فودي 55 , عمر بن علي بن محمد بلو 221 ,
 عثمان بن إدريس 156 , عمر بن محمد البخاري بن عثمان 216 ,
 عمر دلاج 85 ,

غ

غداد بن ليم 89, 70, 79, 78, 111 ,

م

محمد القاضي جول 214 , محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذختي 84 ,
 محمد البخاري بن أحمد بن عثمان 214 , محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي 161 ,
 مالك بن الأمير شعث 124 , محمد بن عبد الكريم المغيلي , , 128, 135 ,
 ما لم موسي 228 , محمد بن علي الفلاني 193 ,
 محمد البخاري 114 , محمد بن عمر النفاوي 216 ,
 محمد الفربري 227 , محمد بن كند 103 ,
 محمد بن عبد الكريم المغيلي 220 , محمد بن يوسف التلمساني 167, 128 ,
 محمد سلغا 97 , محمد راجي بن علي بن أبي بكر 193 ,

- محمد كزولي 95 , محمدفودي الملاوي المساوي الفوتاوي 239 ,
 محمد الأمين الكانمي 157, 161 , محمد كنگبا الزكزي 214 ,
 محمد الملقب بمي زوري 97 , محمدالوردي التواتي 86, 136 ,
 محمد الوالي بن سليمان 70, 168, 189 , محمود الزنفرني التوري 177 ,
 192 مصطفي البرناوي 205 ,
 محمد بلو 139, 144, 155, 159 , معاذ بن محمد بلو 159 ,
 160, 162, 60, 64, 65, 66, 63, المعلم عمرآنو 97 ,
 69, 71, 76, 77, 97, 78, 79, 75, الملك إبراهيم سورا 100 ,
 89, , 20, 21, 26, 33, 35, 39, الملك مقجن خالد 102 ,
 51, 57, 213, 220, 219, 222, المولى سليمان 159 ,
 230, 234, 237, 238, 239, ,
 171, 175, 177, 186, 196, 203,
 204, 202
 محمد الملقب بحميو 119 ,

ك

- كلابرتون 26, 28, 32, 33, 34, 35 , الكابتين بارفيه لويس 33 ,
 36, 37, 229, 228, 233, 235,
 242

هـ

- هانريش بارث 109, 211, 116, 34 , هات صالح 229 ,

ي

يوسف باشا القرمانيلى 159 ,

يعقوب بن عبد الله بورجا 94 ,

يعقوب بن الحاج محمد 107 ,

فهرس الأماكن والبلدان

أ

إفريقيا 126, 129, 128, 137, 138, 141, أغاديس 90, 150, 160,
 140, 143, 145, 154, 155, 153, إنجلترا, 33,
 164, أويو 120, 119, 111,
 إلورن 21, 51, 111, 118, 119, 129, إبيادان 120,
 123, 121, 122, 120, 127, 159,
 162, 163

ب

باجو 113, بورنو 153, 56, 43, 35,
 بادغري 226, بيدا 208,
 باوتشي 124, 119, 115, بلما 36, 31,

ت

تاودني 31, تمبكتو 107, 98, 97, 81, 61,
 تلمسان 82, 137, 150, 151, 160,
 توات 212,
 تونس 211,

ج

الجزائر, 219 الحجاز 145
 جنى, 93, 52, 127

د

ديجل 60, 63, 151 ,
 دندى 111, 137 ,
 دماغرم 117 ,

ز

زاريا 26, 27, 32, 90, 94, 95, 93 ,
 زمفرا 27 ,
 102, 103, 104, 101, 119, 165,
 172, 190, 208, 231, 232, 238

س

السودان الغربى 61, 80, 81, 82, 79 ,
 سكوتو 18, 19, 20, 21, 22, 23, 24 ,
 25, 26, 27, 28, 29, 31, 32, 33, 132, 137, 147, 150, 149, 158,
 34, 35, 36, 37, 39, 41, 42, 43, 159, 161, 101, 166, 168, 170
 السنغاي 39, 98, 127 ,
 45, 48, 50, 51, 57, 58, 59

ش

شمال إفريقيا 29, 30, 31, 56, 58, 90 ,
 107, 140, 158, 159

ط

طرابلس 91, 90, 152, 51 ,

غ

- غات 31, 91 , غسوكمو 165 ,
 غاو 81, 97 , غمبي 117 ,
 غدامس 31, 51, 91 , غوارزو 136 ,
 غرب إفريقيا 19, 26, 27, 34, 49 , غواندو 69, 95, 102, 105, 104, 109,
 110, 113, 112, 124 94, 50, 52, 53, 54, 55, 127,
 126, 129, 139, 140, 141, 142, غوبر 20, 52, 56, 97, 106, 133, 226 ,
 137, 144, 148, 149, 150, 151, غورين 113, 114 ,
 147,

ف

- فاس 151, 51, 54 , فوتاتورو 104 ,
 فزان 150 , فومبينا 113

ق

- القضاوا 136 القيروان 62

ك

- كاتسينا 19, 20, 26, 32, 56, 74 , كانو 23, 25, 27, 28, 32, 34, 35, , 36, 10 ,
 51, 52, 56, 74, 91, 92, 93, 94, 95, 91, 93, 97, 98, 99, 100, 101,
 96, 97, 90, 101, 103, 104,, 117, 121, , 107, 119, 124, 127, 150, 96
 124, 131, 136, 140, 151, 153, 154, 179
 161, 207, 208, 222, 224, 229, 238, , كانم 56 ,
 26, 29, 32, 56 , كي 92, 150 ,

م

المغرب الأوسط 140, 143, 145, 219, ,
 153, 155,
 مصر 142, 140, 137, 165, 163,
 151, 159, 161, 150,
 ماغامي 140, ,
 مدينة المنورة 153, ,
 مراكش 34, 54, ,
 مرزوق 31, ,

ن

النيجر 154, 228, ,
 نيجيريا 18, 19, 20, 39, 51, 53, 55, ,
 نوبي 216,
 نوفي 215, 229,

هـ

الهوسا 129, 128, 137, 136, 142, 141, 143, 145, 154, 153, 158, 157, ,
 159, 161, 164, 168, 169, 170, 171, 172, 167, 176, 179, 184, 183,
 185, 189, 198, 192, 191, 195, 196, 197, 207, 172, 173, 177, 180,
 218, 219, 220, 217, 224, 183, 207, 211, 210, 213, 214, 216, 217,
 227, 228, 229, 230, 231, 232, 226, 235, 234, 239, 240, 238, 243,

و

ولاية 137, 150, , 140, 153, ,
 ورنو 136, 26, 78, 139, 29, ,
 وسط السودان 229, 243, ,

فهرس القبائل والشعوب

الغدامسيين 193 ,	الأمازيغ 97, 116 ,
الفلان 76, 88, 92, 23, 38, 56, 21 ,	الانجليز 156 ,
58, 127, 50, 97	إيجيپو 28 ,
الفوڊيين 23 ,	البربر 192 ,
المشاركة 166, 168, 175 ,	الرومان 30 ,
المغاربة 175, 179 ,	سراكوليين 138 ,
الهوساويون 127 ,	السنغاي 127, 98 ,
الونغارة 91, 97, 192 ,	الطوارق 31, 35 ,
اليوربا 20, 111, 119, 118, 120, 121 ,	العرب 30, 38, 47, 51, 96, 192 ,
122, 221	195, 197

.....	شكر
.....	الإهداء.....
.....	قائمة المختصرات.....
(16-1).....	المقدمة.....
1817	الفصل الأول: الخلفية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لخلافة سكوتو الإسلامية (1817-1903م).....
18.....	تمهيد.....
18.....	المبحث الأول: الحياة السياسية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا).....
23.....	1- أثر الحياة السياسية على التّاحية العلمية.....
24.....	المبحث الأول: الحياة الاقتصادية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا).....
25.....	1- الزراعة في خلافة سكوتو الإسلامية.....
27.....	2- الحرف والصناعة التقليدية في خلافة سكوتو الإسلامية.....
29.....	3- التّجار والمبادلات التجارية في خلافة سكوتو الإسلامية.....
36.....	أ- الأسواق التّجارية والنّظم المالية في خلافة سكوتو الإسلامية.....
38.....	ب- مصادر الدخل لبيت مال خلافة سكوتو الإسلامية.....
39.....	1- الزّكاة.....
40.....	2- الفياء والغنائم.....
41.....	3- الجزية.....

41.....	4- ضريبة العشور التجارية.....
41.....	5- الضرائب.....
42.....	- المبحث الثالث: الاحتفالات الدينية والعادات والتقاليد والطبقات الاجتماعية:.....
44.....	1- الشعائر الإسلامية.....
44.....	أ- عيد الفطر و عيد الأضحى.....
45.....	ب- المولد النبوي الشريف.....
45.....	ج- شهر رمضان.....
46.....	2- العادات والتقاليد.....
46.....	أ- اللباس.....
47.....	ب- الزواج.....
48.....	ج- الاهتمام بالمرأة.....
49.....	د- الجنائز ودفن الموتى.....
50.....	المبحث الرابع: الحياة الثقافية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا).....
51.....	1- تطور الحياة العلمية الثقافية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا).....
57.....	- خلاصة الفصل.....
60.....	- الفصل الثاني: جهود الخلفاء والعلماء في ازدهار الحياة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية.....
60.....	تمهيد.....
61.....	المبحث الأول: جهود الشيخ عثمان بن فودي (1168-1233هـ / 1754-1817م).....

- 70....- المبحث الثاني: جهود الشيخ عبد الله بن فودي (1180-1254هـ / 1766-1829م).
- 75.....- المبحث الثاني: جهود السلطان محمد بلو (1195-1253هـ - 1780-1837م).
- 79.....- المبحث الرابع: جهود السيدة أسماء بنت عثمان (1208-1282 / 1793-1865م).
- 81.....- المبحث الخامس: جهود العلماء والوزراء في الحركة العلمية لخلافة سكوتو الإسلامية.
- 81.....1- دور العلماء في خلافة سكوتو الإسلامية.
- 87.....2- دور الوزراء في خلافة سكوتو الإسلامية.
- 90.....- خلاصة الفصل.
- 93.....الفصل الثالث: الحواضر العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا).
- 93.....تمهيد.
- 93.....- المبحث الأول: حاضرة كانو (Kano).
- 99.....- المبحث الثاني: حاضرة كاتسينا (katsina).
- 104.....- المبحث الثالث: حاضرة زاريا (Zaria).
- 108.....- المبحث الرابع: عاصمة الخلافة حاضرة سكوتو (Sokoto).
- 113.....- المبحث الخامس: حاضرة غواندو (Gwando).
- 116.....- المبحث السادس: حاضرة أدماوا (Admawa).
- 118.....- المبحث السابع: حاضرة باوتشي (Bawtshi).
- 120.....- المبحث الثامن: حاضرة إلورن (Ilorn).

125.....	- خلاصة الفصل.....
128.....	الفصل الرابع: المنشآت العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا)
128.....	تمهيد.....
128.....	المبحث الأول: المنشآت العلمية ومراكز الطرق الصوفية:
128.....	1-المساجد والجوامع.....
131.....	2-الكتاتيب والمحاضر.....
133.....	3-المدرسة الدهليزية (المعاهد الدينية).....
135.....	4-قصور السلاطين.....
137.....	5-منازل العلماء.....
138.....	6-الرباطات.....
140.....	7-مراكز الطرق الصوفية.....
145.....	المبحث الثاني: نظام ومناهج التعليم في خلافة سكوتو الإسلامية.....
145.....	1-النظام التعليمي في المدارس القرآنية.....
148.....	2- نظام التدريس في المعاهد الدينية.....
149.....	3-المناهج الدراسية المقررة.....
150.....	المبحث الثالث: الحركة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية.....
150.....	1-الإجازات العلمية.....
152.....	2-الرحلات العلمية.....
154.....	3-المجالس العلمية.....
156.....	4-المراسلات.....
160.....	المبحث الرابع: المخطوطات وحركة التأليف.....
160.....	1-المخطوطات.....

162.....	2- حركة التاليف.....
165.....	- خلاصة الفصل.....
167.....	الفصل الخامس: الدرّاسات الإسلامية وعلوم اللّغة العربية في خلافة سكوتو الإسلامية.....
167.....	تمهيد.....
167.....	-المبحث الأول: علوم العقيدة.....
170.....	-المبحث الثاني: علم التّفسير.....
178.....	المبحث الثالث: علم الحديث.....
182.....	المبحث الرابع: الفقه وأصوله.....
192.....	المبحث الخامس: النّحو والصرف.....
196.....	المبحث السادس: النثر.....
197.....	المبحث السابع: الشّعر.....
199.....	1-شعر الفخر.....
200.....	2- شعر الرثاء.....
202.....	3-شعر المناظرة.....
203.....	4-الشعر التعليمي.....
204.....	- خلاصة الفصل.....
207.....	الفصل السّادس: العلوم الاجتماعية والعلمية في خلافة سكوتو الإسلامية (بلاد الهوسا).....

207.....	تمهيد.....
207.....	-المبحث الأول: التاريخ.....
213.....	-المبحث الثاني: السياسة الشرعية.....
215.....	-المبحث الثالث: علم التصوف.....
221.....	-المبحث الرابع: الفلسفة والمنطق.....
224.....	-المبحث الخامس: الجغرافيا.....
226.....	-المبحث السادس: العلوم الطبية.....
236.....	-المبحث السابع: علم الفلك.....
239.....	-المبحث الثامن: الرياضيات.....
241.....	- خلاصة الفصل.....
244.....	- الخاتمة.....
253.....	- الملاحق.....
274.....	- ثبت المصادر والمراجع.....
299.....	- الفهارس.....
300.....	- فهرس الأعلام.....
307.....	- فهرس الأماكن والبلدان.....
311.....	- فهرس القبائل والجماعات.....
312.....	- فهرس المحتويات.....

الملخص:

إن هذه الدراسة المقدمة بعنوان (الحياة العلميّة في خلافة سكوتو الإسلامية خلال الفترة (1233-1321 هـ / 1817-1903م) تبرز النشاط العلمي والفكري المتمثل في جهود علماء خلافة سكوتو الإسلامية خلال فترة البحث، ودورهم في التقدم والرقي العلمي وأثر ذلك في التراث والحضارة الإسلامية. اشتملت الدّراسة على مقدمة، وتمهيد وستة فصول بمباحثها. ففي المقدمة: عرضت أهمية اختيار الموضوع، ودراسة تحليلية لأهم مصادر البحث. وتناولت الدراسة: الأحوال العامة في خلافة سكوتو الإسلامية خلال فترة الدراسة وأثرها على الحياة العلمية، الحال السياسية وأثرها. الحال الاقتصادية وأثرها والحال الاجتماعية وأثرها. كما تناولت الدراسة عوامل ازدهار الحركة العلميّة في خلافة سكوتو الإسلامية من خلال اهتمام الأمراء، والحكام، ومساهماتهم في تنشيط الحركة العلميّة، ودور العلماء والوزراء أيضا في تنشيط الحركة العلميّة و أماكن التعليم ونظمه ووسائله والكتاتيب المساجد المجالس العلميّة، والمخطوطات وحركة التأليف وأثرها في النشاط العلمي وتناولت الدّراسة أيضا الإنتاج العلمي والأدبي في خلافة سكوتو الإسلامية خلال هذه الفترة، كالدراسات الشّرعية قراءات-تفسير-حديث- فقه عن علوم اللغة العربية علم اللغة-النحو-الأدب، أمّا عن العلوم الاجتماعية علم التاريخ والتراجم- والفلسفة والعلوم الأخرى مثل الجغرافيا الطب الرياضيات-الفلك، وأثبتت الدراسة أن خلافة سكوتو الإسلامية قامت بدور أساسي ورائد في تطور العلوم والآداب في بلاد الهوسا

Abstract:

The study presented under the title (Scientific life in Sokoto caliphate during the period (1233-1321 H/1817-1903G) highlights the scientific and intellectual activity mentioned in the efforts of Sokoto caliphate scientists during the research period , their role in the scientific advancement and the role they played in the Islamic history and culture, And African civilization. The study consists of Introduction, preface and six chapters with their indices. In the introduction the significance of the topic was tackled with an analytic study of the most important research sources. The study dealt with the general conditions in Sokoto caliphate during the period covered by the study and its effect on the scientific life ; As the political situations . And The Economics and its effect. And the Social life and its effect. As for the it was about the aspects leading to the nourishment of the scientific movement in Sokoto the care of princes, rulers, ministers, rich people and their contribution in the activation of the scientific movement. So is the role of scientists in activating the scientific movement ; The study also covered the Scientific centers such as Kano, Katsina; Zaria and The capital is Sokoto. She also studied the education places, systems and methods and it includes approaches It is about the Quranic Schools. and the mosques, scientific councils and Manuscripts and authorship movement. She also studied the scientific and literary production in Sokoto caliphate during the study period. Like the legal studies readingsinterpretation ; Hadith and the Arabic language aspects (Linguistics- SyntaxLiterature) And well the social sciences (history, autobiography And philosophy and other sciences like Geography medicine -mathematics-space). the study proved that Sokoto caliphate played a basic and pioneering role in the development of science and literature in the Hausaland.

